
القافلة
مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين • العدد 5 • مجلد 69 • سبتمبر / أكتوبر 2020
تراث وثقافة:
سيرة راسخة في نسيج الوطن..
الأميرة نورة بنت عبدالرحمن
يوم للوطن: الثقافة وفرادة الهويّة في يوم الوطن
جلسة نقاش: التأثير السيبراني على السلوك والذكاء العاطفي
علوم: مشروع الجينوم البشري السعودي
حياتنا اليوم: تحوُّلات التعليم في زمن ما بعد الكورونا
تقرير: مجموعة العشرين

القافلة

مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين
العدد 5 • مجلد 69
سبتمبر / أكتوبر 2020

توزع مجاناً للمشتركين
• العنوان: أرامكو السعودية
ص.ب 1389 الظهران 31311
المملكة العربية السعودية

• البريد الإلكتروني:
Alqafilah@aramco.com

• الموقع الإلكتروني:
Qafilah.com

• هاتف فريق التحرير:
+966 13 876 0175



صورة الغلاف

في يومنا الوطني، نستشعرُ البدايات العظيمة والأعمال الجليلة لوطننا الذي أحاط السعوديين بجدارٍ متين من الأمن وشعورٍ عميق من الأمان.. فكرة الغلاف مستوحاة من تصميم جدار قصر المربّع العريق.

تصميم الغلاف: فهد القثامي



الناشر

شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية)

الظهران

تصميم وتحرير



Mohtaraf.com

طباعة

شركة مطابع التريكي

Altraiki.com

ردمد ISSN 1319-0547

شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية)، شركة مؤسسة بموجب المرسوم الملكي رقم م/8 وتاريخ 1409/04/04هـ، وهي شركة مساهمة بسجل تجاري رقم 2052101150، وعنوانها الرئيس ص.ب. 5000، الظهران، الرمز البريدي 31311، المملكة العربية السعودية، ورأس مالها 60,000,000,000 ريال سعودي مدفوع بالكامل.

محتوى العدد

الرحلة معاً

المحطة الأولى

علوم وطاقة

حياتنا اليوم

تراث وثقافة

التقرير

الملف

تابعونا:

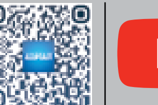
@QafilahMagazine



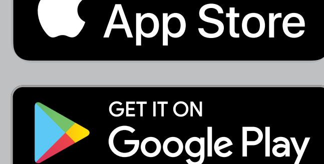


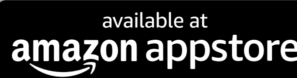
مجلة القافلة





يمكنكم الحصول على نسخة إلكترونية من المجلة عبر الوسائل التالية:







دليل المعلِّمين لمحتوى القافلة

هذه الصفحة هي للتفاعل مع المعلِّمين والمعلِّمات ومساعدتهم على تلخيص أبرز موضوعات القافلة في إصدارها الجديد، وتقريبها إلى مفهوم وأذهان الفئات العمرية المختلفة للطلاب والطالبات.



الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

لمناسبة اليوم الوطني، تخصِّص القافلة الموضوع الثقافي الرئيس في هذا العدد لفصل من تاريخ المملكة الحديث، مختصر بنبذة عن سيرة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، ذات السيرة الراسخة في تاريخ المملكة من خلال مؤازرة شقيقها الملك المؤسِّس.



التأثير السيبراني على السلوك والذكاء العاطفي

رغم هذا العنوان الذي يبدو وكأنه حول قضية معقَّدة، فإن محتوى جلسة النقاش فيه كثير مما هو في متناول كل الطلاب الذين يستخدمون الأجهزة الذكية، ويمكنه أن يكون موضع حوار معهم حول تأثيرات يتلمسُّونها هم بأنفسهم.



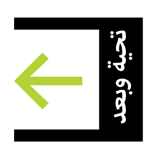
ملف الهدهد

ملف هذا العدد حول طائر الهدهد، بكل دلالاته ورمزياته الثقافية والأدبية والاجتماعية، ناهيك عن حضوره الدائم في الحياة الزراعية العربية.



بنوك البذور النباتية

موضوع علمي يتناول واحدة من وسائل الحفاظ على الأنواع النباتية المهدَّدة بالانقراض، عبر تخزين عيِّناتها في ثلاجات خاصة. وهو موضوع محفِّز للوعي البيئي.



"الرحلة معاً"

مِن نائب رئيس التحرير
محمد أمين أبو المكارم

اليوم الوطني التسعون .. تتداعى له كل الطاقات

يصدر هذا العدد والمملكة تحتفل باليوم الوطني التسعين، في ظلِّ ظروف استثنائية يعيشها العالم أجمع.

إن الخيط الفاصل بين الفشل والنجاح هو الاستسلام للظروف. والأبطال الحقيقيون هم أصحاب الإرادة الحديدية التي لا تعرف الصعاب وتُحوِّل التحديات إلى فرص تختبر جوهرها وتظهر حقيقة معدنها النفيس؛ إذ لم يخلِّد التاريخ إلَّا الذين صمدوا في وجه التيارات العاتية وصنعوا التاريخ بمواقفهم، أما الذين جرفهم التيَّار فقد باتوا في مطاوي النسيان. وهذا ما أثبته الوطن بكافة قطاعاته في ظل هذه الظروف الصعبة التي يمر بها العالم، فعندما وصل كوفيد - 19 إلى الوطن، تداعت لمواجهته كل الطاقات، وكان الأطباء والممرضون والعاملون في القطاع الصحي خط الدفاع الأول، وقد أثبتوا جدارتهم واستحقاقهم لقُبلة وطن على جباههم. وبعد مرور العاصفة التي انحنت لها السنابل لتمرّ من فوق الرؤوس، عادت السنابل الملأى لترفع رؤوسها فخراً بما قدَّمه أبناء الوطن في كافة القطاعات، وليس الصحية والأمنية فحسب.

وإذا كان هذا المنجز على صعيد التعامل مع الموقف داخلياً، فإن للتعامل مع المواطنين العالقين خارج المملكة قصة أخرى أصبحت حديث الرواة. فتحت مظلة القيادة الحكيمة التي أدارت الأزمة بحكمة واقتدار، أصبح المواطن السعودي موضع حسد العالم على طريقة تعاطي كل ممثليات المملكة مع مواطنيها في جميع دول العالم، وترتيب أوضاعهم حتى عودتهم إلى أحضان الوطن.

وعلى الصعيد الاقتصادي الذي بدا وكأنَّ الحياة جَمُدت فيه بينما كانت تمرّ مرّ السحاب، وكانت تعج بالحركة والحيوية وكلٌّ في موقعه يؤدِّي عمله ورسالته حتى أزِف موعد الحصاد، رأينا رئيس أكبر شركة متكاملة للنفط والغاز في العالم يعلن نتائج الربع الثاني من السنة، نتائج تظهر نجاح الشركة في تجاوز أزمة كورونا وتبعاتها، وتشكِّل نموذجاً لنجاح المؤسسات الوطنية الكبرى في كافة القطاعات الصحية والأمنية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

ومع بداية العام الدراسي وانطلاق قاطرة التعليم عن بُعد، فإن أول من نقف له إجلالاً وإكباراً هي المدرسة الكبرى للأجيال، إنها الأم التي كانت وما زالت تتحمَّل العبء الأكبر في تربية النشء وتعليمه، وهي الحاضنة الحقيقية منذ اليوم الأول .. ويزداد العبء ثقلاً ويتضاعف مع التعليم عن بُعد .. لكنها المثال الحقيقي الأبرز لتحويل التحدي إلى فرصة، حيث سيتعلَّم أبناؤها في أحضانها وهي تحوطهم برعايتها كما كانت تفعل دائماً وبجهد مضاعف تُضاف إليه أعباء المنزل والحياة اليومية الاعتيادية.

فبينما يُتوَّج الوطن بإكليل من تسعين وردة ونجمة على جبينه، يتجدَّد معها شبابه بحكمة قيادته وسواعد أبنائه، يصدر هذا العدد من القافلة ليشارك الوطن فرحته بتناول عدد من المقالات ذات الصلة، من أبرزها الاحتفاء بسيرة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، وأثرها في المحيط الاجتماعي والأسري، وهي التي نالت ثقة أخيها الملك المؤسِّس طوال حياتها.

وفي السياق نفسه، يتضمَّن هذا العدد قراءة في المشهد الثقافي السعودي وحراكه الكبير المترافق مع حركة التغيير والإصلاح، ودراسة في مشروع الجينوم البشري السعودي لمواجهة الأمراض الوراثية الذي يُعد أحد أفضل عشرة مشروعات على مستوى العالم ويهدف إلى الارتقاء بصحة المواطن.

وفي خطوة تستحق الشكر، تشاركنا وزارة الثقافة في هذه المناسبة بمقالتين مواكبتين لهذا اليوم واحتفاءً به معنا، إحداهما: الثقافة وفرادة الهويَّة في يوم الوطن، يناقش فيها د. جاسر الحربش تنوّع مناطق المملكة في مناخاتها وبيئاتها وتراثها، وكونه دليلاً على تعدُّد الوجهات والمظاهر الثقافية ومصدر اعتزاز لأبناء الوطن الواحد، إضافة إلى دوره في ترسيخ الانتماء والمواطنة؛ بينما جاءت المقالة الأخرى: العمارة نافذة التاريخ الوطني، لتؤكد فيها الدكتورة سمية السليمان أن العمارة فن ومكوّن اجتماعي وحضاري يجسِّد الهوية البصرية. وقد أبدت المملكة اهتمامها بهذا الجانب وأدرجته في برامجها التعليمية الجامعية، كما وضعته ضمن خطط رؤية 2030، من أجل مواكبة النهضة الثقافية الشاملة في المملكة.

وهكذا تتوالى المقالات لتحتفي بالوطن من خلال احتفائها بيومه وبمنجز أبنائه وبناته، فتعود بها الذاكرة لتفتح صفحة من ماضيها تطل على الحاضر والمستقبل، وتتحدَّث عن تاريخ التعليم في المملكة والخطوات الواثقة الأولى من مسيرة النهضة العلمية في المملكة، التي أهَّلتها لأن تقف اليوم في مصاف الدول المتقدمة، ولتقود قمة مجموعة دول العشرين هذا العام تحت شعار: "اغتنام فرص القرن الحادي والعشرين للجميع".



الثقافة وفرادة الهويَّة في يوم الوطن

د. جاسر بن سليمان الحربش
الرئيس التنفيذي لهيئة التراث

نحتفل في 23 سبتمبر الموافق للأول من الميزان باليوم الوطني لتوحيد المملكة، مسيرة من النماء والمجد، بدأت منذ إعلان الملك المؤسِّس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، طيب الله ثراه، توحيد البلاد عام 1932م في مرسوم ملكي، لتبدأ رحلة الازدهار والنمو التي تشكَّلت بعزيمة القيادة وطموح أبناء هذا الوطن المعطاء.

توحَّدت الأرض تحت راية التوحيد، وسكنت القلوب في جسد واحد يعبِّر عن الشكل الإنساني للوطن في حكاية تتجدَّد فصولها كل يوم، وصفحات تُسطَّر بالإنجازات في كل لحظة. تسعون عاماً من التكاتف والألفة والأحلام والوصول إلى منصات الصدارة على مستوى العالم، تراث ثقافي تناقلته الأجيال وفاءً للمكان وحفظاً لإرث الأجداد، عبر هوية سعودية عريقة التنوُّع تجتمع وتتناغم لتشكِّل صورة فريدة الأوصاف وواسعة الأفق.

في يوم الاحتفاء بالوطن، نستعيد الأمجاد ونجدِّد الولاء ونغوص في ذاكرة حيَّة وثرية رسمتها خطوات الرجال الذين مهَّدوا الدروب بمرونة تُذيب الصخر ونخوة ترفع الرأس، ومنحونا التراث وديعة للأجيال المقبلة بكل ما يحتويه من العادات والتقاليد والقِيم والآداب والمعارف المادية والحسية، متضمناً القصص والحكايات الشفهية والأساطير والأشعار والألعاب والأغاني والأمثال والفعاليات والفنون والحِرف، واللباس وأدوات الزينة والأكلات الشعبية والقهوة العربية والتراث العمراني، ولكل من هذه العناصر ملمس خاص وتفاصيل تعبِّر عن الثراء المناطقي والتنوُّع الملهم للثقافة السعودية.

وفي الواقع، يُعدُّ التراث السعودي عنصراً أساسياً في تكوين الثقافة السعودية عبر امتلاكه خصوصية تراكمية تتطوَّر وتحافظ على تكوينها الأساسي، أصالة وحداثة في الوقت نفسه تظهر على صورة نمط حياة وسلوك فطري وعفوي للمجتمع السعودي. ويبدو الاختلاف في كل سمة من سمات التراث السعودي مصدر قوة استجابة للظروف الطبيعية للمكان والمناخ والجغرافيا. ويأتي تقسيم مناطق المملكة إلى 13 منطقة، تتباين كلٌّ منها في المناخ والبيئة والتراث وحتى في العادات والتقاليد، ليكون دليلاً على تعدُّد الوجهات والمظاهر التراثية الثقافية.

وتأتي نهضة التراث السعودي اليوم في التنبُّه له وملاحظة قوالبه والتعاطي معه وليس في استعماله باعتباره موجوداً وفاعلاً فقط، ولكنه لم يخضع للدراسة والتطوير والمراجعة من قبل، حتى قرَّرت المملكة إحداث نقلة نوعية بتحويل النظرة إلى التراث الوطني ليكون مصدراً للاعتزاز ورافداً اقتصادياً إضافة إلى دوره في ترسيخ الانتماء والمواطنة، بدءاً من امتلاك رؤية فاعلة للنهوض بالتراث الوطني، مروراً بدعمها المتواصل لكافة الجهود الدولية المعنية بحماية التراث العالمي، وصولاً إلى خطوات فاعلة وملهمة، يساندها فوز المملكة العربية السعودية للمرَّة الأولى بعضوية لجنة التراث العالمي التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونيسكو"، وذلك بعد أيام من عضويتها في المجلس التنفيذي للمنظمة في العشرين في نوفمبر 2019م، ليكون ذلك بمثابة تأكيد دولي على المكانة المتميِّزة التي حققتها المملكة في مجال الاهتمام بالتراث الوطني، وكذلك إشارة إلى دعم المملكة للمنظمات الدولية والإقليمية العاملة في مجال حماية التراث وصوْنه وتطويره.

ويضاف إلى ذلك تسجيل خمسة مواقع تراثية سعودية في قائمة التراث العالمي باليونيسكو، وتسجيل منظمة اليونيسكو في فبراير 2019م الجمعية السعودية للمحافظة على التراث "نحن تراثنا" منظمة دولية غير حكومية في مجال التراث، لتصبح بذلك ثاني منظمة سعودية غير حكومية تُسجَّل لدى اليونيسكو، والأولى عربياً في مجال التراث. وقبل ذلك عضوية المملكة في اتفاقية التراث العالمي منذ عام 1978م، كجزء من الالتزام بدعم الجهود الدولية لحماية مواقع التراث البحري والعجائب الطبيعية حول العالم.

وقد تكفَّلت رؤية المملكة 2030 بعناية خاصة بالتراث الوطني، بغية تحقيق تنمية شاملة متكاملة في جميع المجالات وعلى المستويات كافة. وبذلك تطوَّرت النظرة إلى التراث الوطني وأصبحت أشمل مما كانت عليه. فإلى جانب دور التراث في ترسيخ الانتماء الوطني وتعزيزه لدى المواطن، أضحى له دور اقتصادي مهم، وبما يثبت أهمية إحياء مواقع التراث الوطني والعربي والإسلامي وتسجيلها دولياً، وتمكين الجميع من الوصول إليها بوصفها شاهداً حياً على إرث السعودية العريق، وعلى دورها الفاعل، وموقعها البارز على خريطة الحضارة الإنسانية، خصوصاً لأن المملكة أرض الكنوز الثقافية والتراثية التي احتضنت عديداً من الحضارات الإنسانية والغنية بإنسانها وتاريخها، ونتج عنها تراث بأوجهه المادية وغير المادية المحفّزة على العناية والتطوير والاكتشاف، وفي مجالات عدَّة تبرز بشكل ملموس من خلال مهرجان الجنادرية وسوق عكاظ وغيرها من المناسبات الثقافية الوطنية.

ويعكس هذا الاهتمام بالتراث صورة أكبر لنهضة ثقافية شاملة تعيشها المملكة في العهد الزاهر تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد الأمين - حفظهما الله - وفي ظل الرؤية الطموحة، رؤية السعودية 2030، التي تؤمن بقوة الثقافة وقدرتها على تحقيق التنمية المستدامة، وبناء مستقبل غني تنمو فيه مواهب الإنسان وتحقِّق أحلامه وطموحاته.



.. وفي يوم الوطن..
العمارة نافذة التاريخ الوطني

د. سمية بنت سليمان السليمان
الرئيسة التنفيذية لهيئة فنون العِمارة والتصميم

بمناسبة اليوم الوطني التسعين لتوحيد المملكة العربية السعودية على يد المؤسِّس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - طيّب الله ثراه -، يسعدني أن أنتهز هذه الفرصة للتعبير عن مدى فخري واعتزازي بإنجازات هذا الوطن المعطاء، وأعبِّر أيضاً عن فائق امتناني لكوني أعيش في المملكة العربية السعودية وفي ظل قيادتها الحكيمة.

تعيش المملكة اليوم نهضة ثقافية وحضارية بلغت مستوىً عالياً من الازدهار في شتَّى القطاعات الثقافية تحت إشراف وزارة الثقافة التي صمَّمت مشروعاً للنهوض الثقافي بمعايير عالمية مواكبة للمرحلة الراهنة للفنون الإبداعية. وبقراءة الواقع الثقافي اليوم، أستطيع القول إن المملكة أحرزت تقدُّماً ملحوظاً في مدة وجيزة، عملت خلالها على إنشاء البُنى التنظيمية للقطاعات الثقافية، ووضعت الأساس للانطلاق بمجهودات إبداعية وتقنية عالية المستوى بتضافر جهود المبدعين السعوديين في كافة التخصصات الثقافية.

العمارة ليست صناعة فقط، بل هي فن ومكوّن اجتماعي وحضاري أيضاً. وعند مقارنة الشواهد المادية التي يصنعها الإنسان، تأتي العمارة في مقدِّمتها بوصفها الشاهد الحضاري الأوسع حضوراً في حياة المجتمعات بالمقارنة مع وسائل التعبير الثقافية الأخرى، وتجسِّد الهوية البصرية الأوضح لأي دولة أو مدينة. وضمن هذا السياق، تسعى العمارة والتصميم بفنونها لما هو أكثر من هوية بصرية، لأن طريقة تشكيل المدن وتخطيطها تؤثر على طريقة تفاعل البشر مع بعضهم فيها، إلى جانب تسهيل الحياة اليومية وحل المشكلات البيئية والاجتماعية التي يفاقمها التوسُّع العمراني والزيادة السكانية وطبيعة المناخ والتضاريس.

وقد فطنت المملكة لأهمية العمران ودوره منذ عقود سابقة، وبدأت بإدراجه في البرامج التعليمية للدراسة في جامعاتها، كما وضعته ضمن خطط رؤية 2030 التي تدعو إلى المحافظة على الهوية كمكوّن أساسي للتطوُّر الاجتماعي والاقتصادي، لترسيخ الهوية الثقافية للمملكة، ولتحسين جودة الحياة والمشهد الحضري بشكل عام. ويأتي إنشاء وزارة الثقافة لهيئة متخصصة تحت اسم "هيئة فنون العمارة والتصميم" كمؤشر كبير ومهم لما يحظى به هذا القطاع من اهتمام على أعلى المستويات، انطلاقاً من الإيمان بأهمية العمران وضرورة دعم القطاع وتطويره وتمكين المواهب الوطنية المتخصصة فيه.

إن التطوُّر المتنامي الذي يشهده الوطن في ميادين العمارة والتخطيط الحضري، وارتفاع مستوى الاهتمام به، وإنشاء هيئة متخصِّصة فيه لرعايته وتنميته، كلها علامات على النهضة الثقافية التي يعيشها وطننا الغالي في ظل رؤية الخير والنمو؛ رؤية السعودية 2030 التي قرنت التطوُّر المادي والاقتصادي بالتطوُّر الإنساني، وأولت المجالات الإبداعية عناية كبيرة لانعكاسها المؤثر على مسيرة التنمية الحضارية.

في يومنا الوطني المجيد لا بدَّ من أن نُدرك أبعاد هذه النهضة الثقافية، ولا بدَّ من أن نستذكر معاً - كمهتمين بالعمارة - شكل هذا المكان والتحوُّلات التي مرَّ بها وطننا الغالي على امتداد أيامه، لأن هذا التذكر - أو الوعي - جزء تاريخي مهم ونقطة أساسية ننطلق منها في رحلة بناء المستقبل. إن دراسة المكان بتشكلاته العمرانية المختلفة عنصر مهم في دراسة التاريخ الوطني بمختلف اتجاهاته المادية وغير المادية.

لقد تميَّزت كل منطقة من مناطق المملكة قديماً بطرازها المعماري الخاص الذي يعبِّر عن ذائقة فنية متفرِّدة تعتمد على مواد بناء وأساليب تطوَّرت محلياً، وخلقت حلولاً معمارية تناسب الظروف البيئية لكل منطقة باختلاف مناخها وتضاريسها ومواد بنائها، من منازل الطين وحتى القصور والصروح المشيَّدة بالحجر إلى البناء الإسمنتي، ومن نمط البناء "المجتمعي" إلى ممارسة العمل المعماري "المحترف"، حيث أدَّت التحوُّلات الاجتماعية والاقتصادية إلى تغيُّر شكل العمران منذ ذلك الحين وحتى الآن، مثل ظهور النفط الذي كان منعطف التحوُّل الأهم في شكل العمران، وظهور تصاميم معمارية لا تمثِّل منطقة بعينها ليطغى وهج التجديد على الساحة، وموجة التمدُّن في الانتقال من الريف والبادية إلى المدن الكبرى وغيرها من الأسباب التي لا يتسع المجال لذكرها. لهذا كله تُعدُّ قراءة العمران وتأمل تفاصيله وسيلة لمعرفة هوية الوطن، وهوية الإنسان الذي صنع هذه التنويعات العمرانية العديدة. ودورنا في هيئة فنون العمارة والتصميم أن نعمل انطلاقاً من هذه الهوية الوطنية وندعم طموحات المعماريين الرامية إلى تعزيز هذه الهوية وتنميتها وتطويرها، وذلك لمواكبة النهضة الثقافية الشاملة التي يعيشها الوطن الغالي في مختلف المسارات الإبداعية، والتي تنهض على جهود مبدعي الوطن ورؤاهم الطموحة نحو وطن معطاء مؤثِّر ومُلهم ومتقدِّم حضارياً وثقافياً وإنسانياً.



مع القرّاء

تحية وبعد




أكثر من مرَّة، وفي معرض ردّنا على استفسارات القرّاء، ذكرنا في هذه الزاوية شروط الاشتراك في القافلة. ولكن فاتنا، على ما يبدو، أن بين آخر مرَّة واليوم، هناك شباب صاروا في عمر القراءة، كما أن هناك من اكتشفها قبل فترة وجيزة، ويرغب بالاشتراك فيها، بدليل العدد الكبير من الرسائل الذي يستفسر عن شروط الاشتراك، وأيضاً عن "كلفته". حتى إن البعض سجَّل اشتراكه على الموقع الإلكتروني وطلب إلينا أن نرسل له "الفاتورة".

ولكل هؤلاء الأخوة نقول مجدداً إن أرامكو السعودية تُصدر القافلة في إطار دورها في المواطنة، وتقدِّمها مجاناً لكل من هو مهتم فعلاً بقراءتها بالصيغتين الورقية والإلكترونية. والاشتراك بالنسخة الورقية يتم حصراً عبر الموقع الإلكتروني للمجلة. وهنا أيضاً نشدِّد على وجوب كتابة العنوان البريدي كاملاً، وبأدق صيغة ممكنة، تلافياً للعتاب بأن المجلة لم تصل.

وأيضاً، نرجو من الذين يكاتبون القافلة بالوسائل الإلكترونية أن يذكروا أسماءهم الحقيقية، إذ يكتفي البعض بالاسم المستعمل على الوسيلة، فيربكنا في التعامل معه. كما فعل الأخ الذي أشار إلى نفسه عبر البريد الإلكتروني بـ ragabse في إطار تفاعله مع ورشة النقاش حول "الفن في عصر الذكاء الاصطناعي"، فوافانا مشكوراً بترجمته لأول قصة يكتبها برنامج كمبيوتر، وهي قصة لافتة للنظر بلغتها وأسلوبها، غير أننا نعتذر عن نشرها هنا لضيق المجال.

من جهة أخرى، وردتنا رسالة تقدير رقيقة من الأخ **سعود الفالح** جاء فيها: "بعد قراءتي للعدد الأخير من القافلة، أودّ أن أنوِّه بفريق العمل الذي يقف خلفها لمهاراته الأدبية، وأيضاً لحسن اختيار الموضوعات التي تشمل الحديث منها كما القديم. لقد كانت قراءتي لها ملهمة وغنية بالمعلومات، وأنا متأكد من أن قرّاءً كثيرين يشاركونني الشعور نفسه، وتشوقي لاستلام العدد المقبل".

ونحن نشكرك يا أخ سعود على رأيك وثقتك بنا. فردود الفعل والملاحظات التي تردنا من قرّاء أعزاء مثلك، تحفِّزنا على العمل لأن نتقدَّم إلى الأمام أكثر فأكثر. ونرجو أن تكون أعدادنا المقبلة أيضاً عند حُسن ظنك.

وتعقيباً على مقالة الدكتور نادر كاظم حول "موسيقى الشباب" المنشورة في عدد مايو/يونيو من العام الجاري، كتب **دريد البسام**: "إن موسيقى الهيب هوب ليست احتجاجية، بل هي تصويرية لواقع الحياة اليومية في البيئة التي نشأت فيها، وهي أحياء ذوي الأصول الإفريقية والبورتوريكيين في المدن الأمريكية. وطبعاً لا يمكن للهيب هوب الذي ظهر ويظهر في بيئات مختلفة أن يحمل القيمة نفسها، حتى ليمكن القول إن لا قيمة له على الإطلاق. فقد نشأ هذا التيار الفني، وهو اليوم أطول التيارات الموسيقية عمراً في القرنين الماضي والحالي كردّة فعل على "العالم السعيد" الذي صورته موسيقى الديسكو في أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات، من خلال تلافي كل المؤثرات الخارجية الضاغطة على فن الموسيقى بما في ذلك الشعر الحالم والعواطف السائلة، وتصوير الواقع كما هو. وفي هذا، يمكن تشبيه بظهور الانطباعية في فن الرسم خلال القرن التاسع عشر. فلماذا يجوز للانطباعية ما لا يجوز للهيب هوب؟".

ومن القاهرة كتب الأخ **مصطفى يعقوب** يدعو القافلة إلى فتح صفحاتها أمام التراث العلمي العربي "الذي أصبح قليل الظهور في الدوريات العربية... الحاضر في مكتبات حواضر العالم شرقاً وغرباً، وتعلوه عناكب النسيان والإهمال عند أهله.. فلعل الأمل معقود على القافلة لحماية النشء الصاعد من الغزوات الفكرية التي تأتينا من كل اتجاه".

وللأخ يعقوب نقول إن القافلة فتحت صفحاتها على الدوام للتراث العلمي عند العرب، ومراجعة أعدادها السابقة تؤكد ذلك. كما أننا نرحِّب بأي بحث جدّي وجديد في هذا المجال. وكل ما يردنا بهذا الشأن، كما بغيره، يحال إلى فريق التحرير لاتخاذ قرار بنشره ضمن المجال المتاح.

وعلى موقع المجلة، وتعقيباً على موضوع "الموسيقى للجميع"، أعرب **محمد عبدالرحمن** عن سروره بأجواء الانفتاح الثقافي الذي تعيشه المملكة، "متمنياً إقامة حفلات تُعرِّف بتاريخ الموسيقى والأغاني في الجزيرة العربية، وأن يكون هناك توجيه للمقاهي والمطاعم بتفعيل دور الموسيقى بطريقة تلائم طبيعة المكان وهويته".





لأنَّ كلَّ ما كان ملحوظاً في العالَم السيبراني من حسنات وسيئات، ازداد وضوحاً خلال أشهر الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي، حين بقي هذا الفضاء مفتوحاً أمام الجميع بطبيعته الخاصة والمختلفة عن كل فضاءات التواصل التقليدية الأخرى. فما هو تأثير الفضاء السيبراني على السلوك والذكاء العاطفي؟
هذا ما سعت القافلة إلى استطلاعه في جلسة نقاش عقدتها لهذه الغاية عبر منصة "زوم"، شارك فيها أربعة من الاختصاصيين، وتابعها عن بُعد عدد من المهتمين بالموضوع، وأدارها الزميل وليد الحارثي.

فريق القافلة

التأثير السيبراني على السلوك والذكاء العاطفي



الحضارة الرقمية مدهشة ومفرحة.. ولكنها ذات جانب مظلم أيضاً

استهل الجلسةَ مديرُها بكلمة قال فيها إنه على الرغم مما قدَّمته التطوُّرات التقنية التي سهّلت الخدمات، واختصرت أوقات الانتظار، ووفَّرت أنماط عمل أفضل، إلا أنها تسبَّبت للبشرية بقلق خاص. فالمواجهات تتم من خلف الشاشات، أشباح تقابل أناساً حقيقيين، وتقابل أشباحاً مرَّة أخرى، معرَّفات بلا وجوه ولا أدلة. لا أحد يعلم من سيكون الضيف أو الخصم التالي. وصار المسؤول يلقى طفلاً يشاجره صباحاً، والفتى الغرّ يُسكت الشيخ الكبير. ثم طرح سؤالاً عاماً، كان بمثابة العنوان العريض للقضية المطروحة للبحث: "كيف أثَّر كل هذا على أفكار الناس، على تواصلهم، وعلى معنوياتهم ونفسياتهم، في عالم تحاصرنا فيه الأخبار والمستجدات من كل مكان؟".

كان الدكتور مصطفى حجازي أول المتحدثين، وبدأ كلمته منوِّهاً بأهمية طرح هذه المسألة للبحث، قائلاً: "إن هذا اللقاء يأتي في وقته المناسب. فنحن بحاجة إلى مثل هذه الندوات واللقاءات التي تُناقش قضية التأثير السيبراني؛ لأننا منخرطون في هذا المجال، ونتنافس في استخدامه بفرح، ولكننا لا نعرف وجهه المظلم".

وتابع يقول: "إن الحضارة الرقمية نشأت منذ خمسين سنة، وهي تتطوَّر بسرعة فائقة، وتحتاج بالضرورة إلى إنسان رقمي ومواطن رقمي. فالتقنيات الرقمية أسهمت في تغيير طرق حياتنا وتفكيرنا وسلوكنا، وأحاطت بكل تفاصيل يومياتنا، إذ عملت على إلغاء حدود الزمان والمكان".

واعتبر حجازي أن "جيل الكبار" هامشيون في الحضارة الرقمية، فهي تخصّ "جيل الشباب" الذين يحملون لواءها، ويُعدُّون أبطال الحضارة الرقمية وقادة المستقبل. وشدَّد على أهمية الاعتناء بهذا الجيل وتقديم الرعاية والدعم له حتى يتمكَّن من السيطرة على هذه الحضارة ويأخذ مكانته الخاصة فيها.

وأضاف حجازي أن الحضارة الرقمية باتت تقوم اليوم على الثورة الصناعية الرابعة التي غيَّرت الإنسان وطرق تفكيره وحياته، وكذلك على ثورة الاتصالات الحديثة التي مرَّت بأربع مراحل (الكلام، والكتابة، والطباعة، والتواصل الرقمي). وبعد إشارته إلى أن للتقنيات الرقمية خمسة عمالقة، هم: مايكروسوفت وبيل غيتس، وأبل وستيف جوبز، وغوغل ولاري بايج، وفيسبوك وزوكربرج، وأمازون وبيزوس، قال إن هؤلاء الخمسة ابتكروا لنا هذا العالم المدهش والساحر، وجعلوا كل شيء طوع بناننا، وذلك بأجواء من الفرح والنشوة والدهشة، إنه إنسان اللحظة وجيل الثواني التسع.

لكن ماذا عن الوجه الخفي لتقنيات التواصل أو وجهها المظلم؟

يقول الدكتور حجازي إن الهدف من التوصل إلى هذه التقنيات كان في البداية طوباوياً أي خلق عالم تواصلي وتشاركي، يجعل البشرية تتعاضد وتتآزر مع بعضها بعضاً في الكوارث والمصائب والمشكلات، لكن سرعان ما تحوَّل هذا الهدف إلى ربحي أو رأسمالي ربحي. وهنا بدأت الطامة الكبرى، إذ دخلنا في الاقتصاد الجديد، وهو اقتصاد المعلومة، ومنجم المعلومة، وأصبحت المعلومة توازي النفط. وذكر أنّ هناك 972 ألف عملية تواصل وتبادل بالدقيقة الواحدة على فيسبوك بحسب الإحصاءات. وهذا يُعدُّ غنىً وثراءً في التواصل، ولكن هذه المعلومات أصبحت تُباع إلى التجار والسياسيين والمهتمين، وصارت مئات المليارات من الدولارات تُنفق في شراء المعلومات. لكن الأخطر من ذلك هو أن هذه المعلومات باتت توضع بتصرف أجهزة ووكالات أمنية واستخباراتية عالمية.

وأكَّد حجازي أنّ المعلومات الخطرة والحسَّاسة هي التي تحمل بيانات الأشخاص، والتي تتيح وضع مخطط شخصي لكل مستخدم، فقد أصبحنا مكشوفين، ونحن سعداء بذلك، سواء عن علم أو غير علم. وكلما جُمِع مزيد من البيانات عنا، أصبحنا أكثر انكشافاً. من هنا أتت مقولة "الإنسان العاري". وأوضح أنّ المشكلة الحقيقية لا تكمن في الأدوات مثل فيسبوك وتويتر، ولكن في كيفية برمجة الخوارزميات من قبل المهندسين والمختصين، التي من شأنها أن تستقطب الانتباه وتمارس علينا نوعاً من العبودية التي تتحوَّل فيما بعد إلى قلق وتوتر وخوف.

واعتبر أنّ الحماس المفرط في العالم السيبراني هو كالمخدِّر الذي يحوِّلنا إلى مدمنين، فتنتج عنه عبودية واضطرابات اجتماعية تجعل الإنسان يعيش وحيداً ومنعزلاً عن جماعته. وحذَّر من ارتفاع وتيرة المخاوف جرَّاء الاستخدام المفرط للتقنيات الحديثة، ما يسبب حالات اكتئاب عميقة واضطرابات شديدة في عملية التفكير نتيجة ضياع الهوية الشخصية واختلاط الواقع بالزائف والجدي بالهزلي. فيما تحوَّلت اللقاءات الإنسانية والمناسبات المختلفة إلى رسائل عبر المحمول، حيث اضمحل التفاعل العاطفي والتعبير الوجداني.

وأوصى حجازي في ختام مداخلته بأن تقدِّم المحاضرات والندوات واللقاءات خطة توعوية لترشيد استخدام هذه التقنيات وكيفية الاستفادة منها، فضلاً عن خطط لتنشيط العلاقات الاجتماعية والطبيعية والرياضية وجهاً لوجه وليس افتراضياً، إضافة إلى سن قوانين تمنع هؤلاء العمالقة ومهندسيهم من التلاعب بعقول الناس واستغلال البشرية.

الحداثة السائلة.. ميزة العصر الرقمي والسيبراني

وفي ثاني أطروحات الجلسة، أشار الدكتور عبدالسلام الوايل إلى أن تناول تأثير التقنيات السيبرانية أصبح مجال اهتمام تخصصات أكاديمية مختلفة. وبما أننا نعيش في عصر تهدُّم الجدران بين التخصّصات كافة، فيمكن مقاربة الموضوع من منطلق علم الاجتماع وعلم النفس.

وقال: "جرت العادة عند علماء الاجتماع على دراسة السلوك الاجتماعي باعتباره ميَّالاً إلى الثبات عبر الأجيال والأزمان، وهو يحوي القيم الاجتماعية التي تعبِّر عن المشاعر، فيما ينتج عن هذه القيم معايير اجتماعية تؤثر على السلوك بشكل مباشر. وعادة، يدرس علماء الاجتماع المعايير الاجتماعية الأكثر ثباتاً من أجل فهم السلوك، وكيفية انتقاله من جيل إلى جيل، وكيف تُسهم الثقافة في صياغة هذه السلوكيات أو كيف تُسهم هذه السلوكيات في تعزيز الثقافة".

ولفت الدكتور الوايل إلى أنّ المصطلحات التي كانت سائدة قبل العالم السيبراني تتمحور حول الحداثة



المشكلة الحقيقية لا تكمن في الأدوات مثل فيسبوك وتويتر، ولكن في كيفية برمجة الخوارزميات من قبل المهندسين والمختصين، التي من شأنها أن تستقطب الانتباه وتمارس علينا نوعاً من العبودية التي تتحوَّل فيما بعد إلى قلق وتوتر وخوف

"هناك ضرورة لسنّ قوانين تمنع أصحاب التقنيات الحديثة من التلاعب بعقول الناس، والحماس المفرط في العالم السيبراني كالمخدِّر يحوِّلنا إلى مدمنين، وتنتج عنه حالات اكتئاب واضطرابات في التفكير".

د. مصطفى حجازي



من التأثيرات السيبرانية على السلوك هو تحوّل الإنسان إلى إنسان تسع ثوانٍ، أي الإنسان المتنقل السريع الميَّال إلى التحديث المستمر للسلوك.

وما بعد الحداثة. أما الآن فالجهد يصبّ في صياغة مفاهيم مختلفة، حيث صاغ المفكِّر وعالم الاجتماع باومان مفهوم الحداثة الصلبة والسائلة، لفهم عالم ما بعد الحداثة ورصد زمن العولمة.

والحداثة السائلة هي ميزة العصر الرقمي والسيبراني، والتحوُّل من مجتمع الاستقرار والثبات إلى مجتمع متغيّر ومتقدّم. إذ إنّ نماذج السلوكيات وقيم الأخلاق تتعرَّض إلى الميعان كما في لوحات سلفادور دالي. وبالتالي، هي بحاجة إلى التحديث المستمر وليس الثبات. فالسلوكيات يجب أن تتغيّر بسرعة، وإن لم تتغيّر فهي عُرضة للنقد، واعتبارها من القديم. فمن التأثيرات السيبرانية على السلوك هو تحوّل الإنسان إلى إنسان تسع ثوانٍ، أي الإنسان المتنقل السريع الميَّال إلى التحديث المستمر للسلوك.

وأضاف الوايل أن عالِم النفس جون سويلر، وهو أحد كبار دارسي تأثير السيبرانية على السلوك، طرح مفهوماً جديداً، هو "تأثير عدم التحفظ على الهواء". وقد أصبح هذا المفهوم شائعاً على نطاق واسع في أوساط الأكاديميين المختصين بهذا المجال. فعلى سبيل المثال إذا كنت في الحافلة لا تستطيع أن تُخبر أي غريب تقابله وجهاً لوجه بخصوصياتك وآرائك وهواياتك. ولكن بمجرد أن تجلس في غرفتك وتدخل إلى فيسبوك أو تويتر أو سنابشات تُخبر ملايين الغرباء عن خصوصياتك ومشاعرك وسلوكياتك بسبب تأثيرات عدم الإحساس بالتحفظ على الهواء. فهذا العالم السيبراني يغري بتكسير الحواجز وإتاحة الفرصة للتعبير عن المشاعر والقصص واليوميات. ولفت إلى أنّ "الاستراحة" التقليدية - وهي مكان خاص يكون مظلة للقاءات الأصدقاء بشكل يومي أو أسبوعي - أصبحت في العصر السيبراني خالية من النقاشات والأحاديث لأن هؤلاء الأصدقاء أصبحوا وحيدين معاً. ولكن عندما يعودون إلى منازلهم وغرفهم، يتحدثون بشكل أكبر عبر "القروبات" و"المسنجرات".

وذكر الوايل أن الدكتورة ماري آيكن، الباحثة في مجال السيكولوجيا السيبرانية، ترى أن السلوك يتضخم على الهواء، ويمكن لأي شخص أن يندفع بتهور إلى سلوك آخر ومعايير جديدة. وتسرد آيكن قصة جوردون هاسكنز، وهو شاب في الثالثة والعشرين من العمر قرَّر أن يسعى إلى الحصول على منصب سياسي على أمل أن يخدم كممثِّل

للمقاطعة 95 في ولاية ميشيغان الأمريكية. وقبل أن تبدأ حملته وجد نفسه مضطراً للكشف عن سجله الإجرامي، وسرعان ما تبيَّن أنه اتهم سابقاً وأدين بارتكاب أربعة اعتداءات وتجاوزات على الملكية الشخصية والعامة، والاستخدام غير المشروع لسيارات حكومية خلال مدة عشرة أشهر. وحين استجوبته الشرطة بعد اعتقاله، اعترف هاسكنز أنه كان في حالة ذهنية وعاطفية مزرية حين فعل ذلك. فالأمر يتعلق فقط بالرغبة في المرح وحُب المجازفة والإثارة، وقد اكتشف هذا السلوك في الإنترنت.
وخلص الوايل إلى التنبيه على أن العالم السيبراني يحرِّض النفس على إطلاق نوازع كامنة في الذات العميقة وتحويلها إلى سلوكيات، وأن الفضاء السيبراني بإمكاناته غير المحدودة قد يحوِّل العُقَد الاجتماعية والتجارب السلبية إلى عُقَد حقيقية، ويمكن تحويل الشخص العادي إلى مجرم في أي لحظة.

كيف يرسم العالم السيبراني سلوك الإنسان؟

ثم تحدثت الدكتورة فوزية البكر التي استهلت كلمتها بالإشارة إلى بعض ما شهده العالم السيبراني من إشكالات في الآونة الأخيرة. ومنها فضيحة شركة "أناليتيكا" التي حصلت على بيانات نحو 50 مليون مستخدم لفيسبوك من دون علمهم، وذلك من أجل التأثير على آرائهم قبيل انتخابات الرئاسة الأمريكية. كما أشارت إلى صراع الرئيس الأمريكي ترامب مع تويتر وفيسبوك بعد قيامهما بحذف وإزالة تغريدات ومنشورات له. وأيضاً التقرير الذي أعدته مؤسسة "غلوبال ويب إندكس" للأبحاث المتعلِّقة ببيانات مستخدمي الإنترنت في 34 دولة، حول أهم التوجُّهات في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وجاء فيه أن مستخدمي الإنترنت يقضون ست ساعات على الشبكة يومياً، وثلث هذا الوقت مكرّس لوسائل التواصل الاجتماعي.
ترى الدكتورة البكر أن وسائل التواصل الاجتماعي



تدفع معظم المستخدمين إلى إبراز الملامح الإيجابية في شخصياتهم، وإلى تقديم نسخ ربما تكون مثالية وغير واقعية إلى الآخرين. فأحياناً لا تكون هناك حدود واضحة لدى بعض المستخدمين في ما يتعلق بمشاركاتهم. كما أن وسائل التواصل تتيح للإنسان قراءة وسماع كثير من وجهات النظر المتعارضة وذات العلاقة بصراعات ثقافية أو سياسية قائمة. فيما لوحظ من الدراسات أن مستخدمي وسائل التواصل شعروا براحة أكبر في التعبير عن رأي مخالف للرأي السائد.

استخدام المراهقين لوسائل التواصل والدور المطلوب من الأسرة

ثم توقفت البكر عند دراسة حول استخدام المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي التي قامت بها الباحثة إميلي وينستين، ووجدت هذه الدراسة أن لدى المراهقين أربع طرق رئيسة لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وعلى الرغم من اعترافهم بالمشاعر السلبية في كل منها، وصف معظمهم تجاربهم بأنها إيجابية بشكل عام: التعبير عن الذات (مشاركة المنشورات التي تصوِّر من أنت وماذا يهمك)، والتفاعل في العلاقات (المراسلة والتواصل مع العائلة والأصدقاء والاهتمامات الرومانسية)، والاستكشاف (البحث عن مجالات الاهتمام)، والتصفح (المرور العام على الخلاصات والتطبيقات).

أصبح مفهوم "تأثير عدم التحفُّظ على الهواء" شائعاً على نطاق واسع في أوساط الأكاديميين المتخصِّصين بهذا المجال. فعلى سبيل المثال إذا كنت في الحافلة لا تستطيع أن تخبر أي غريب تقابله وجهاً لوجه بخصوصياتك وآرائك وهواياتك، ولكن بمجرد أن تجلس في غرفتك وتدخل إلى فيسبوك أو تويتر أو سنابشات تُخبر ملايين الغرباء عنها بسبب تأثيرات عدم الإحساس بالتحفُّظ على الهواء.

المشاركون في الجلسة

د. مصطفى حجازي
كاتب ومفكر وعالِم نفس لبناني
حاصل على دكتوراة في علم النفس من جامعة ليون بفرنسا، وعمل أستاذاً للصحة النفسية بجامعة البحرين. له أكثر من 13 كتاباً ومؤلَّفاً من أشهرها: الإنسان المهدور، والتخلف الاجتماعي مدخل إلى دراسة سيكولوجية الإنسان المقهور.

د. عبدالسلام الوايل
أستاذ اجتماعيات العلوم والمعرفة المشارك بجامعة الملك سعود. مهتم بعلم اجتماع المعرفة، وعلم اجتماع العلوم، والتغيُّر الاجتماعي، والتحوُّلات الاجتماعية.

د. فوزية بكر البكر
متخصصة في أصول التربية. درست بالولايات المتحدة، وفي بريطانيا، حيث حصلت على الدكتوراة في أصول التربية من معهد التربية بجامعة لندن. يتركز اهتمامها على الأصول الاجتماعية للتربية.

د. مروة عبدالباري
دكتورة في الموهبة والتفوق ومتخصصة في "متلازمة الموهوب".

وليد الحارثي
ماجستير في الإعلام الرقمي، مدير الجلسة.



> "العالم السيبراني يحرِّض النفس على إطلاق نوازع كامنة في الذات العميقة وتحويلها إلى سلوكيات. والحداثة السائلة هي ميزة العصر الرقمي والتحوُّل من مجتمع الاستقرار والثبات إلى مجتمع يغري بكسر الحواجز وإتاحة التعبير عن المشاعر والقصص واليوميات"
>
> د. عبدالسلام الوابل





مع ازدياد استخدام المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي، على الأسرة مواكبتهم للتكيف مع التقلبات العاطفية كي لا يصبحوا أرقاماً هامشية في الفضاء السيبراني

وبيّنت أنه لم ينتج عن أيٍّ من هذه الأساليب لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي عواطف سلبية بحتة، حسبما أفاد المراهقون.

وأشارت البكر إلى أنه في وضع التعبير عن الذات - بحسب الدراسة - شعر المراهقون بالمتعة والإثارة عندما شاركوا جوانب مهمة من هوياتهم مع الآخرين، واستمتعوا بالنظر إلى أخبارهم الشخصية على إنستغرام للتأمل في كيفية تطوُّرهم مع مرور الوقت. وبالنسبة للتفاعل في العلاقات، شعر المراهقون بالسعادة للبقاء على اتصال مع أقرانهم، وعزَّز عديد منهم بالفعل العلاقات غير الافتراضية مع الأصدقاء وغيرهم من خلال وسائل التواصل الاجتماعي. أما بخصوص الاستكشاف فاستمتع المراهقون بمعرفة مزيد عن اهتماماتهم مثل الطهي أو الرياضة أو استكشاف الرغبات الجديدة، مثل الحركات الناشطة أو السيطرة على السلاح، لكنهم أيضاً أفادوا بمشاهدة الصور والقصص المؤلمة والمحبطة. وعند التصفح، غالباً ما شعر المراهقون بالبهجة والإلهام من الصور ومقاطع الفيديو المختلفة التي صادفوها.

ولفتت البكر إلى دور الأسرة في كيفية مساعدة المراهقين على التكيُّف مع التقلبات العاطفية. وقالت إنه في الوقت الذي تعاني فيه الأسرة من القلق إزاء استخدام أبنائها المراهقين للهواتف الذكية، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار أن عديداً من المراهقين لديهم تجارب إيجابية بشكل روتيني على وسائل التواصل الاجتماعي. كما أن على الأسرة أيضاً أن تتذكَّر أن عديداً من هذه المشاعر السلبية طبيعية نسبياً. وأن الإفصاح عن الذات والمصداقية والمخاوف المتعلِّقة بالقبول والانتماء - كما جاء في الدراسة - هي مكوّنات أساسية لنمو المراهقين وصداقاتهم التي تسبق تفاعلات الشباب الرقمية وتوجد فيها.

ودعت الأسرة إلى أن تأخذ تجارب أبنائها السلبية على محمل الجد، خاصة إذا تغيَّر مزاجهم أو سلوكهم، أو إذا كانت هذه المشاعر السلبية تؤثِّر على أوجه النشاط اليومية. ولكن قد لا يكون عزلهم عن وسائل التواصل الاجتماعي بالكامل هو الحل الأمثل. كما دعت الأسرة إلى أن تتحدث مع أبنائها حول تجاربهم على وسائل التواصل الاجتماعي، وأن يكتشفوا معاً ما الذي يستمتعون به بالضبط، وما هي التحديات التي يواجهونها. وتطرَّقت إلى قول شيمي كانغ، وهي طبيبة نفس كندية متخصِّصة في تأثير الإدمان على الصحة النفسية للأطفال والمراهقين "ربط كثير من الأطباء في الآونة الأخيرة بين الاكتئاب والقلق وعدم الرضا عن شكل الجسم وبين الإفراط في استخدام الأجهزة والتقنيات الرقمية، وباتوا يشخِّصون الإدمان الرقمي كأحد الاضطرابات النفسية".

وخلصت شيمي بالقول "إن الأجهزة والتقنيات الرقمية، كشأن الأطعمة، بعضها أشد ضرراً أو أكثر نفعاً من البعض الآخر. وإذا أردنا أن نتجنب أضرارها ونجني فوائدها، فعلينا أن نفهم أولاً كيف تؤثِّر هذه الأجهزة على أدمغتنا".

ظاهرة التنمّر الإلكتروني وإمكانية مواجهته بتعزيز الثقة بالذات

ولأن التنمُّر الإلكتروني هو واحد من أسوأ سلبيات الفضاء السيبراني وأكثرها فجاجةً، كان لا بد للجلسة من أن تعرج على هذا الشأن مع الدكتورة مروة عبدالباري، التي وصفت في مداخلتها مفهوم التنمُّر الإلكتروني بأنه عبارة عن سلوك عدواني يحدث على وسائل التواصل الاجتماعي، من فرد إلى فرد أو من مجموعة أفراد إلى فرد واحد سواء أكان طفلاً أو مراهقاً، حيث يقوم هذا السلوك بإلحاق الأذى بالآخرين والإساءة إليهم؛ من خلال نشر أو مشاركة

"تتيح وسائل التواصل للإنسان قراءة وسماع كثير من وجهات النظر المتعارضة ذات العلاقة بصراعات ثقافية أو سياسية قائمة. فيما لوحظ من الدراسات أن مستخدمي وسائل التواصل شعروا براحة أكبر في التعبير عن رأي مخالف للرأي السائد".

د. فوزية البكر



الأجهزة والتقنيات الرقمية، كشأن الأطعمة، بعضها أشد ضرراً أو أكثر نفعاً من البعض الآخر. وإذا أردنا أن نتجنَّب أضرارها ونجني فوائدها، فعلينا أن نفهم أولاً كيف تؤثِّر هذه الأجهزة على أدمغتنا.

محتوى سلبي وضارّ عن شخص ما، ويتضمَّن مشاركة وتبادل المعلومات والصور الشخصية لشخص مما يُعرِّضه للسوء والإهانة والإحراج.

ورأت أنّ ضحايا التنمّر الإلكتروني المعرَّضين للإساءة والأذى من المتنمِّرين، يشعرون بالخوف والقلق دائماً، ويلجأون إلى الكحول والمخدَّرات، ويتغيَّبون عن المدارس، ويبدأون في التعرض لمشكلات صحية أكثر من غيرهم. ويصل الأمر ببعضهم إلى التفكير بالانتحار.

وحدَّدت مجموعة من أشكال التنمُّر الإلكتروني كالسخرية والتشهير ونشر الشائعات والمعلومات المغلوطة والصور المزعجة، إضافة إلى التحرُّش والإهانات وإفشاء الأسرار، والمضايقات الإلكترونية، وتشويه السمعة وانتحال الشخصية.

وروت الدكتورة مروة أنها التقت من خلال عملها بإحدى الأمهات برفقة ابنتها الصغيرة التي كانت تعاني مشكلة نفسية، وأخبرتها أن ابنتها كانت تلعب مع أختها وصديقاتها بشكل طبيعي، وفجأة صارت تنزوي وحدها في الغرفة وترفض الاندماج مع صديقاتها أو المشاركة في أي شيء، ولا تفارق الهاتف الجوَّال دقيقة واحدة. وفي الآونة الأخيرة كثُر حديثها عن الموت، وزادت أسئلتها حول هذا الموضوع. بدورها أخذت الدكتورة البنت وتحدثت معها، واكتشفت أنها تعرَّضت للتنمُّر الإلكتروني من إحدى صديقاتها في المدرسة، التي راحت تشوِّه سمعتها وتوجه لها الإهانات، فأصيبت بحالة نفسية بسبب هذا السلوك، ما جعلها ترفض الحياة وتخاف من الذهاب إلى المدرسة. وقالت:

"هنا يأتي الدور التوعوي في التصدي للمشكلات التي تسببها وسائل التواصل الاجتماعي من خلال العمل على وقف التنمّر الإلكتروني والتخلّص منه، وتثقيف المستخدمين بأخلاقيات الشبكة الإلكترونية وقوانينها".

وشدَّدت مروة على أهمية الدور الثقافي للأسرة في تجنيب أولادهم التعرُّض للتنمُّر الإلكتروني من خلال الحوار الدائم معهم، والتحقق من سلوكهم، ومراقبتهم في كيفية استخدامهم للإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وضرورة تقنين استخدام الإنترنت وتخصيص أوقات محدَّدة لها، لحمايتهم من الإدمان والمخاطر. بعض الأمهات يتسببن في تعرض أولادهن للخطر والتنمُّر الإلكتروني إما لنقص حقيقي في المعرفة بهذه المشكلة، أو لانشغالهن في العمل.

ونبَّهت مروة إلى ضرورة أن تلعب الأسرة دوراً كبيراً في تعزيز ثقة أولادها بأنفسهم وتنمية إحساسهم بالمسؤولية، وتقوية مناعتهم أمام أضرار سوء استعمال وسائل التواصل الاجتماعي. كما دعتها إلى توجيه الأولاد إلى ما هو مفيد ونافع لهم وتنمية مواهبهم وتشجيعهم على الانخراط في أوجه النشاط الاجتماعية.

زيادة الوعي بالذات

وفي ختام الجلسة، شارك عدد من متابعيها على الشبكة ببعض المداخلات والأسئلة. فقدَّمت حزوا العجمي مداخلة أشارت فيها إلى أن الأشخاص قد يعانون من متاعب في العالم الافتراضي بسبب







> ”الدور الثقافي والتوعوي يتصدَّى للمشكلات التي يسبِّبها العالَم السيبراني بالعمل على وقف التنمّر الإلكتروني والتخلّص منه. ومن الضروري تقنين استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لحماية الأولاد من المخاطر“.
>
> د. مروة عبدالباري



ضحايا التنمُّر الإلكتروني المعرَّضون للإساءة والأذى من المتنمِّرين، يشعرون بالخوف والقلق دائماً، ويتغيبون عن المدارس، ويبدأون في التعرُّض لمشكلات صحية أكثر من غيرهم.

عدم الحصول على الإعجاب والتفاعل. وهو الأمر نفسه الذي يحصل في الواقع حين يكون الأشخاص وحيدين معاً بسبب عدم حصولهم على الاهتمام المناسب والمحبة الكافية في محيطهم الاجتماعي، فالشعور بالاهتمام هو حاجة من حاجات الإنسان الأساسية، وعلينا أن نساعد الأشخاص من خلال التأهيل والبرامج على أن يكتسبوا صلابة أو مرونة نفسية للتعامل مع هذا الواقع الجديد.

وتساءلت لطيفة السبيعي حول ما إذا كان العالَم السيبراني ساعد الإنسان على التعبير عن رغباته المكبوتة وزيادة الوعي بالذات؟

كما استفسر الدكتور عطية الويشي، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية القانون الكويتية، حول الأبعاد القيمية ومدى قدرة الدول على مراعاة قواعد ومعايير الأخلاق في ترتيبات الأمن السيبراني، ومدى قدرة المؤسسات الحكومية وغيرها على صياغة اتجاه علمي وتقني في سياق ما يمكن تسميته حوكمة الأمن السيبراني.

وشارك الدكتور جبران يحيى من جامعة الملك خالد بمداخلة سأل فيها إن كانت السمات الشخصية والسلوكية لإنسان ما داخل المجتمع الافتراضي تختلف سماته عما هو في المجتمع الواقعي.

كما تحدث الدكتور علي الدوسري عن أهمية علاقة الفرد بالمؤسسات، لافتاً إلى أن الشيوع الهائل للمجتمع السيبراني مكّن كثيراً من الأفراد من إيصال أصواتهم وتحصيل حقوقهم، بناءً على الظواهر السيبرانية التي تجعل من الفرد الواحد قضية في المجتمع. بالتالي أصبح هناك تغيير وتعديل على مستوى المؤسسات وليس الأفراد.

ورداً على هذه الأسئلة والمداخلات اتفق المشاركون على أنّ العالم السيبراني أسهم كثيراً في دفع الإنسان نحو التعبير عن رغباته ومشاعره وأفكاره بلا حدود، وأن النظام الاجتماعي الذي كان سائداً ويقمع النزوعات المكبوتة تعرَّض لانتكاسة في العالَم السيبراني الذي حرَّر هذه المشاعر وحوَّلها إلى سلوكيات إيجابية وسلبية.

ولاحظوا أن وسائل التواصل الاجتماعي كسرت القوالب الفوقية، وغيَّرت السلطة الاجتماعية، وأتاحت المجال لإفلات الجيل الجديد من سيطرة جيل الكبار والتحرُّر من المرجعية الماضوية. "إلا أننا يجب أن نعي الجوانب الخفية حتى نحسن استخدام هذه التقنيات والتحكم بها بكل مناعة وقدرة ولا نكون أدوات لها".

واعتبر المشاركون أن من غايات نشأة الرقميات، التشارك والتواصل والتبادلية والذكاء الاجتماعي، ولفتوا إلى أن المجتمع السيبراني سمح أيضاً بإتاحة المشاركة لأشخاص كانوا لا يستطيعون المشاركة في حياتهم العادية.

ودعا المشاركون إلى التفاعل مع العالَم السيبراني بمشروعات وطنية حتى لا نظل أتباعاً، وكي ننتمي إلى قسم الروَّاد والنخبة وليس إلى قسم الأتباع. كما دعوا إلى ترشيد وقت استخدام الإنترنت وتقنين استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لحماية المجتمع، ومنعاً لهدر الوقت، فضلاً عن التركيز على العلاقات الاجتماعية والأنشطة المختلفة.



التعليم عن بُعد ... من وجهة نظر المتلقِّين



تجربة تستحق التطوير

ليالي الفرج
طالبة دراسات عُليا

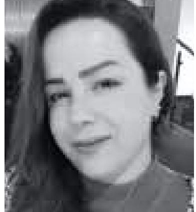


كانت العملية التعليمية في دوَّامة هذا التغيير المفاجئ. لذلك وجدنا تغيُّرات كثيرة بسبب الضغوط الصعبة على وزارات التعليم في جميع الدول. أما عن تجربتي مع أبنائي في الدراسة عن بُعد في الولايات المتحدة، فكانت غير مُربكة إلى حدٍّ ما. إذ تزامنت تلك الفترة مع إجازة فصل الربيع، ما أتاح الفرصة للمركز التعليمي لترتيب المهام مع كافة المدارس. فكانت هناك منصّة تعليمية تضم عدداً من المواقع التفاعلية للمواد المختلفة، يدخل عليها الطالب لمتابعة الدروس من خلال الشرح الصوتي المدعَّم بالرسوم التوضيحية، ويُنهي التطبيقات من خلال حل المسائل. ومما سهَّل المهمة أن هناك تغذية راجعة فورية تُمكِّن الطالب من اكتشاف الأخطاء وتصحيحها.
وتمَّ تزويد كل طالب بجهاز كمبيوتر محمول لمتابعة المهام المدرسية. وكان هناك تواصل يومي مع المعلِّمين عبر البريد الإلكتروني، ولقاءات مباشرة عبر برنامج "زوم" لشرح بعض الدروس ومناقشتها مع الطلاب والإجابة عن أي استفسار يتعلَّق بالدرس وبالمنهجية التعليمية. أما مدير المدرسة الابتدائية للفصول الدنيا، فكان له دور داعم ورافع لمعنويات الطلاب بسبب عدم تمكنهم من إكمال دراستهم بالصورة الاعتيادية. فإضافة إلى ما سبق، كانت له مبادرة إنشاء قناة على "يوتيوب"، وكان يخصِّص لهم ساعة مباشرة لتبادل الأحاديث وإجراء المسابقات وقراءة قصة. وتم تحديد يوم في الأسبوع ليتسلَّم ولي الأمر أوراق العمل التي كان مقرراً إنجازها خلال السنة الدراسية في ظروفها العادية. ولم تكن هناك اختبارات نهائية، بل كان الاعتماد في تقييم الطالب على أدائه في الأنشطة وإتمام المهام المحدَّدة.




لا غِنى عن المدرسة التقليدية

منار وسوف
مديرة برامج في مركز هالاند السويدي




أن أستيقظ قبل الدرس بخمس دقائق، لأكون في محاضرة الساعة الثامنة صباحاً كان ضرباً من الفانتازيا لطلاب المرحلة الثانوية والجامعية سابقاً. لكنه أصبح واقعاً عند الطلبة في السويد وفي أغلب دول العالم التي تحوَّل التعليم فيها بسبب وباء كورونا إلى محاضرات تُدرَّس أونلاين.
لا شك في أن للتعليم عن بُعد منافع عدَّة كونه يوفِّر مرونة وحرية أكبر للدارس في اختيار التوقيت والمكان والزمان الذي يحضر فيه محاضراته. وهو يناسب تماماً أولئك الذين يعملون ويدرسون في الوقت نفسه. لكن هذه الحرية لا تنفع جميع الطلبة في كافة مراحل التعليم. ففي رأيي الشخصي يحتاج الطالب في مراحل المدرسة جميعها إلى ترسيخ قيم معيَّنة أكثر بكثير من فكرة المرونة والحرية في التعلّم. وأهم هذه القيم هي تعلّم الالتزام والانضباط والاستيقاظ المبكر. كما أن التعليم الافتراضي أثَّر بشكل سلبي على الطلبة، لأن الجو الذي تخلقه المدارس التقليدية بين الطلبة أو حتى بين الطلبة والمدرِّسين ينمِّي كثيراً من المهارات الضرورية لمواجهة تحديات الحياة.
فمهما كان التعليم عن بُعد فعَّالاً من الناحية التدريسية، فإنه برأيي ليس الطريقة السليمة ليحيا الطلبة حياتهم المدرسية أو حتى الجامعية.



ثلاث جهات تتحمَّل المسؤولية

رجاء البوعلي
روائية



تُعدُّ منصة مدرستي التي دشَّنتها وزارة التعليم مؤخراً منصة متميزة ومتكاملة، تلبِّي الاحتياجات العملية التعليمية. وهذا ما صرَّح به كثير من كوادر التعليم من ناحيتهم. إلَّا أن تقييم التجربة لن يكتمل إلا بعد تضافر كافة الجهود المُشاركة والمسؤولة وهي ثلاثة عناصر:
أولاً: وزارة التعليم، التي تتحمَّل المسؤولية الأولى في إدارة العملية التعليمية عبر قراراتها الموجَّهة للمعلِّم والطالب، ومواقعها الإلكترونية المُعدة لأهداف واضحة، وأنظمتها المُقرَّر تطبيقها. ولا نغفل دورها المهم في إدارة الأزمة وضرورة الاستعداد بالخطط البديلة لضمان عدم تأثر أي عنصر من عناصر التعليم كالمعلِّم أو الطالب أو المادة العلمية.
ثانياً: مسؤولية المعلِّم، فهو أمام تجربة جديدة تتطلب مهارات داعمة لتحقيق الأهداف؛ كالتمكُّن الإلكتروني والتحلي بمهارات التواصل الإيجابي المهم جداً مع أولياء الأمور والطالب، خاصة وأن تواصله معهم أصبح - الآن - تواصلاً افتراضياً.
ثالثاً: الأسرة والطالب؛ فهؤلاء عصب إنجاح التجربة، والفرق شاسع بين أولياء أمور ناهضين بأبنائهم وداعمين لهم قولاً وفعلاً، وبين آخرين يحاولون التملص من المسؤولية بإلقاء كل اللوم على المدرسة والمعلم.



متطلَّبات التجربة الجديدة مع الأبناء

شفاء العقيل
معلِّمة وكاتبة

بعد إعلان منصة مدرستي التعليمية كحل تقني ضروري للتعلُّم عن بُعد، أطلقتُ صافرات الإنذار المنزلية لمواجهة هذا التغيُّر المفاجئ والصعوبات المصاحبة له، من توفير الأجهزة وباقات الإنترنت وتحميل المقرَّرات إلى تهيئة الجو المناسب للدخول المنتظم حسب المراحل التعليمية، والتغلب على التوتر المشحون بالقلق والرهبة من المجهول.
فالمسؤولية الوالدية الجديدة تقتضي الهدوء والتمهيد والتوضيح والحوار المرن، خاصةً عندما اكتشفنا الجهود الجبَّارة في المنصة لتهيئة الفصل الافتراضي بوضوح، وسهولة استخدامها التي تعزِّز مهارات طلابنا في التعامل التقني على مختلف الأعمار.
كما أن من الضروري دعم الاستقرار النفسي لمواجهة الحرمان من الذهاب للمدرسة. فهو يحتاج إلى كثير من المؤازرة والاحتواء والأمان الأسري وتعويض الصداقات، لبناء بيئة مدرسية مصغَّرة مع الإخوان والأخوات في جوٍّ تعليمي متعاون ونشط، كأي استراتيجية تعلُّم ناجحة تقود إلى مخرجات مُرضية بإذن الله ومواطن رقمي إيجابي وواعٍ ومسؤول.



كان علينا أن نكون جاهزين أكثر

باسمة فيصل
معلِّمة



منذ ستة أشهر أو أكثر، بدت الأوضاع التعليمية في السعودية في حالة استنفار. والجميع ينتظر ماذا سيكون عليه حال التعليم في العام الدراسي الجديد. هناك تجارب مختلفة، ولكل دولة خصوصيتها في التعامل مع منصات التعليم العالمية. فالمعاناة ليست فقط في أخذ الاحترازات، بل في توفير بيئة مدرسية صحيحة يستطيع من خلالها المعلِّم خدمة الطالب دون قلق. لذا كان قرار التعليم عن بُعد هو الأكثر ملاءمة لأوضاع مدارسنا في القطاع الحكومي.
انطلقت فكرة التعليم عن بُعد مع بداية العام بشكل مُربك، على الرغم من أن الوضع منذ البداية كان يوحي بضرورة تدريب العاملين في القطاع التعليمي عليه خلال الفترة الماضية. لذا أجد أن المدارس الخاصة كانت جاهزة بشكل أفضل في دخول التجربة، والتواصل مع طلابها ووضع البرامج التي سيستخدمونها من دون أي تأجيل. وربما يعود ذلك إلى وعي الطلاب والعاملين في الحقل التعليمي، وكذلك للحرية التي تتمتع بها إداراتها في اتخاذ القرار.
في القطاع العام كان يجب علينا أن نكون جاهزين بشكل أفضل، أو تأجيل انطلاقة العام الدراسي مثلما فعلت بعض الدول الأخرى، والتركيز على تدريب العاملين في القطاع التعليمي على آلية استخدام المنصات وتعليم الطلاب عن بُعد.

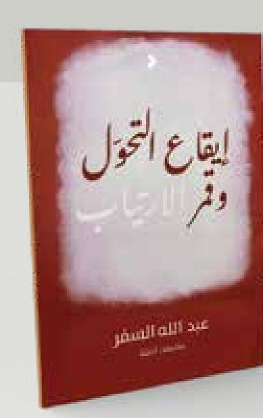


الإنسان على المحك: المركزية البشرية والتوازن البناء

تأليف: علي حرب

الناشر: الدار العربية للعلوم، 2020م

يوضح المفكِّر اللبناني علي حرب أن انتشار جائحة كورونا كان الدافع وراء نشر كتابه "الإنسان على المحك". ويُضيف في مقدَّمته أنه يتناول المأزق العالمي، الوجودي والحضاري، فقد أيقظ هذا الفيروس الذي وصفه بـ "الحدث الكبير الذي غيَّر مشهد العالم وترك بصمته على حياة البشر" الكثيرين ممن يهتمون بتناول الواقع الراهن من سباتهم فتوجهوا بالنقد إلى الإنسان ومشاريعه.
فالكتاب هو قراءة نقدية عامة لوضع العالَم الحالي بمشهده وتحوّلاته التي تؤكد تغيره استراتيجياً، وفيه ينطلق الكاتب من طرح يتجاوز صراعات الهويات والعقائد ويذهب إلى أن الإنسان نفسه هو مصدر الأزمة المستعصية، وهو أصل المشكلة، كما ينتقد الأفكار التي ينتجها هذا الإنسان والمتجسدة في أنساق المعرفة وأنظمة القيم.
ويواكب هذا العمل اللحظة الاستثنائية الحاضرة. ففي قسم رئيس منه يعالج المؤلف ما سمَّاه "الحراك الكوكبي" وتأثير أزمة "كوفيد 19" على المجتمعات الإنسانية. وذلك بعد قسمين آخرين هما "المشهد العربي، والاضطراب العالمي". فكتب تحت عنوان: "كورونا سيد اللعبة": "لم يكن العالم على ما يرام قبل اجتياح الوباء. ولكن الفيروس الذي تفشى بسرعة في هذا الزمن المُعولم والمتسارع، فاجأ البشر ليكشف جهلهم وهشاشتهم، من وراء ادعاءات العظمة والقوة والسيطرة". ونفهم من هذا كيف أغفل البشر أن ثمَّة أوبئة يمكنها أن تغزوهم وتتمكَّن منهم، وأن ثمَّة "كائناً لا يُرى بالعين المجرَّدة" سيطر فجأة على المشهد وهدَّد العالم أجمع. لكن مع ذلك، كما يُحلل الكاتب، يفرض هذا الحدث أسئلته الخاصة: فماذا تفيد الأسلحة المكدسة؟ وماذا يفيد غزو الفضاء؟ وما الجدوى من الرغبة في إطالة الأعمار؟ طالما لا يفيد ذلك كله في مواجهة خطر جسيم مثل كورونا الذي كشف ضعف الإنسان.
يرى الكاتب أن الإنسان رغم نجاحه في إنتاج آلات ذكية عبر تقنيات الذكاء الاصطناعي بوسعها حتى أن تحل محله، ورغم أن ذلك أوجد اعتقاداً أن ثمَّة طوراً جديداً سينتقل إليه البشر، يتزاوجون فيه مع تلك الآلات فتطيل أعمارهم أو تزيد من قدراتهم أو تهبهم وعياً مختلفاً، فالحقيقة تشير إلى أن مثل تلك المشروعات أو المغامرات التي تؤكد "مركزية الإنسان" حسب المفهوم الذي يستخدمه علي حرب، قد "تُدخلنا في المجهول" بالتلاعب على سبيل المثال في الخارطة الوراثية والمشهد الطبيعي. ويتمثل الحل الذي يقترحه في إعادة التوازن وترتيب الأولويات وتغيير الرؤية في التعامل مع الأشياء والأحداث وفي تشكيل "وعي كوكبي مضاد"، وفقاً لتسميته، من شأنه أن يحدّ من "وحشية البشر تجاه الأرض والطبيعة".



إيقاع التحول وقمر الارتياب

تأليف: عبدالله السفر

الناشر: مجموعة كلمات، روايات 2019م

على الرغم من كونه شاعر قصيدة نثر وصدر له ما يقارب السبع مجموعات شعرية، إلا أنه أكثر المتابعين لما يتم نشره على الساحة المحلية في السعودية وكذلك العربية. عُرف عن عبدالله السفر بأنه من جيل الثمانينيات الذي يكتب القصيدة الحديثة ويقدِّم القراءة النقدية ونشط في متابعة الإصدارات الثقافية.
في هذا الكتاب الذي قام بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام، احتوى الأول على 26 فصلاً، والثاني على 17 قراءة، بينما احتوى الثالث على 23 قراءة.
وحول هذا الإصدار يقول المؤلف إنه: "عبارة عن متابعات ومراجعات وقراءات.. ويمثِّل جولة ثقافية على مدار السنوات الأخيرة، نشرت سطورها في صحافتنا المحلية من صحف يومية ومجلات فصلية منها الوطن، وعكاظ، واليوم، والجوبة، والفيصل، ومجلة القافلة". ويضيف أن القسم الأول هو عن الرواية وكل ما ينتمي إلى السيرة الذاتية أو المذكرات واليوميّات، والقسم الثاني عن القصة القصيرة، وتم تخصيص الثالث ليكون عن المجموعات والنصوص الشعرية.
ويضيف السفر أنه قدَّم في هذا الكتاب ما يزيد على الستين كتاباً لمبدعين سعوديين وخليجيين ولمبدعين من عالمنا العربي (مصر، ولبنان، وسوريا، وفلسطين، والأردن، والسودان، وليبيا، وتونس، والعراق).
ففي القسم الأول كتب عن هناء حجازي "حالة يوسف التي أحب": "الكتاب كتلة مائجة هادرة من الانفعالات، لم أستطع أن أتصوَّر هناء في عذابها وألمها وحياتها إزاء يوسف إلَّا وأقرنها في الذاكرة بقصة السيدة هاجر وطفلها إسماعيل متروكين بلا زاد ولا ماء، وهي تنهب الجهات بين الصفا والمروة تتلمس ما يكفكف جوع صغيرها".
وفي الجزء الثاني من الكتاب، يتحدث عن كتاب عدي جاسر الحربش "أمثولة الوردة والنطاسي"، فيقول: "كثيراً ما أتصوَّر عدي الحربش واحداً من العاملين في مجال التعدين الورقي، ضارباً في جوف التاريخ، غائصاً بين آلاف الأوراق والحكايات الخام. يقوده حدسه، وتنبِئُهُ خبرته عن مكامن - الحجر الكريم - وبصبر الصيّاد وعناية الصائغ يعكف طارقاً ومقشراً".
وفي إطار المتابعات في القسم الثالث نراه يكتب عن أنسي الحاج قائلاً: "رسم خارطةً وأقام معياراً. مشى إلى الضدّ وعانقه، سوّاهُ أنموذجاً.. ولأنّ شهوةَ الهدم أبلغُ من خارطةٍ ومن معيارٍ ومن أنموذج، مزّق الخارطة وتنازل عن المعيار وطوى الأنموذج تحت إبط النسيان".



السينما العربية خارج الصندوق

تأليف: أمير العمري

الناشر: بتانة، 2020م

يتضمَّن هذا الكتاب مجموعة من الدراسات السينمائية والمقالات النقدية حول أفلام عدد من المخرجين العرب، وبوجه خاص الشباب الجدد منهم الذين أنجزوا أعمالاً حازت نجاحاً كبيراً وشاركت في مهرجانات السينما الدولية.

ويستند مؤلفه الناقد المصري أمير العمري في قراءته التحليلية لهذه الأعمال السينمائية إلى منهج يختلف عن توجه يعدّه سائداً في الكتابات النقدية السينمائية. فهو يرى أن لا بد من التوقف عن الانبهار أمام أي عمل لمجرد أنه يتفق مع القناعات الخاصة السياسية والأيديولوجية لصنّاعه، وهي الظاهرة التي تركت تأثيراتها السلبية على السينما والنقد معاً.

ينقسم هذا الكتاب إلى جزأين. الجزء الأول عن المخرجين بينما يتناول الجزء الثاني التجارب السينمائية الجديدة. ويتميَّز مضمونهما بأنه جاء متنوِّعاً وشاملاً، فعالج مسيرة وأعمال مخرجين ينتمون لأكثر من دولة عربية ويمثلون مدارس فنية مختلفة، منها السينما النخبوية، والسينما الشعبية الجماهيرية.

ويُحلل المؤلف الأعمال التي وقع اختياره عليها كنماذج سينمائية تستحق الاحتفاء النقدي من وجهة نظره الخاصة عن عملية الإخراج السينمائي وتصنيفات الأفلام وردود الأفعال على إبداعات المخرجين بعد عرض أفلامهم وتقييم تجاربهم. فهو، على سبيل المثال، لا يجد ضرورة لأن يعتذر أي مخرج عن فِلْم يكون قد أنجزه اختياراً واعياً منه ومن دون ضغوط إنتاجية، أو لأن يعترف أي مخرج أن أفلامه "تتعالى على الجمهور". فيقول: "لكل فِلْم جمهوره وأنواع الأفلام المختلفة لا تخاطب عادة جمهوراً واحداً"، و"هناك مستويات للتواصل مع الجمهور". كما يراجع أيضاً مفهوم "السينما التجارية"، ويُفضل استخدام مصطلح آخر هو "سينما التيار العريض" عوضاً عنه. فحسبه، كل الأفلام تسعى لأن تصبح "تجارية"، أي أن تصل إلى جمهورها الطبيعي الذي يدفع بعض المال مقابل مشاهدة الفِلْم، وذلك لضمان استمرار دائرة الإنتاج.

ويقدِّم الكاتب نقداً لعدد من أفلام السينما غير التقليدية التي أطلق عليها "السينما خارج الصندوق"، وهي وفقاً لتصوره الأفلام التي لا تلقى عادة فرصة حقيقية للعرض تجارياً على نطاق واسع. وهو حين يتناولها يركز على أسلوب مخرجيها، ويبحث في مدى صدقها الفني في التعبير عن أفكارها الرئيسة وذلك من نواحٍ جمالية ترتبط بمختلف جوانب الإبداع السينمائي. ويشير العمري في هذا الخصوص إلى أن للسينمائي الحق في العثور على ما يتفق مع مفهومه الخاص حين يعالج فكرته. لكن في الوقت نفسه، من حق النقد بل من واجبه تحليل العمل طبقاً لقدرته على الإقناع، وما إذا كان متسقاً مع طرح المخرج الخاص وأسلوبه الذي ارتضاه في معالجة موضوعه الرئيس بالشكل الذي يؤدي إلى تفاعل الجمهور معه اقتناعاً بمضمونه.

الخوارزمية البشرية: كيف يُعيد الذكاء الاصطناعي تحديد من نحن

تأليف: فلين كولمن

ترجمة: أوليغ عوكي

الناشر: الدار العربية للعلوم، 2020م

يُناقش هذا الكتاب مجموعة من القضايا المتعلقة بالذكاء الاصطناعي عبر سرد تفصيلي للتطوّرات التكنولوجية التي باتت تهيمن على الحياة الإنسانية بشكل غير مسبوق.

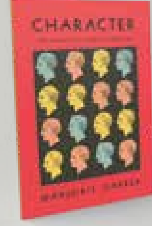
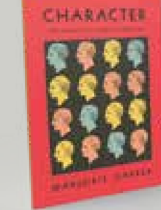
ووفقاً لما تعلنه مؤلفته فلين كولمن، فالكتاب رسالة أمل حذرة من أن التكنولوجيا ستكشف من هم البشر في النهاية، هل هم مخلوقات مرنة وغير محصنة، فضولية وإبداعية قادرة على التواصل الأصلي مع أنفسهم ومع الآخرين؟ لكن هذا الحذر الذي نوهت به الكاتبة لا يُخفف بأي حال من الحماس الشديد الذي يُغلف مضمون هذا العمل بشكل عام نحو التقنيات الحديثة بأنواعها العديدة وضرورتها المُلِحَّة، بسبب التغيير الذي أحدثته فعلياً والمتوقع أن تُحدثه على الواقع البشري في الأعوام القليلة المقبلة.

ينقسم الكتاب إلى عشرة فصول تستعرض كافة محاور العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والإنسان الذي أبدع تقنياته. وتقارن بين وعود المنتجات الذكية في ما يخص النمو والصحة والرفاهية وتوزيع الثروات وتهديداتها الخطيرة على الأمن الدولي بسبب زيادة الاعتماد على الأتمتة، الأمر الذي ربما يهدِّد ملايين الوظائف حول العالم وقد يوجد حالة من عدم المساواة وزيادة الفجوات بين من يملك التكنولوجيا ومن لا يملكها.

وتلفت كولمن الانتباه عبر تحليلها المستفيض للحالة التكنولوجية الراهنة في العالَم والتحوُّلات الجذرية التي أحدثتها إلى أن رحلة الإنسان إلى عصر الآلات الذكية لا تزال في بدايتها، فرغم التأثير العميق الذي أحدثته التكنولوجيا الرقمية على كافة نواحي العلم والحياة، يتبقى كثير لإنجازه بخصوص عمل هذه الآلات من النواحي القيمية والأخلاقية الذي يتطلب إعادة رسم الخريطة الاجتماعية، لكي يمكنها استيعاب التغيرات البنيوية التي تحدثها التكنولوجيا داخل المجتمعات، ولكي يتم الحفاظ على الخصوصية وحمايتها من الاختراق. لذلك، ثمَّة أهمية في الوقت الحاضر لتوقع نتائج هذه التكنولوجيا أكثر من التركيز على البحث في تأثيرها على الإنسانية ومستقبلها.

وفي ما يخص عنوان الكتاب توضح المؤلفة، التي تعمل محامية دولية في مجال حقوق الإنسان، مفهوم الخوارزمية البشرية باعتباره "المركز الفلسفي لأنفسنا". فهي، حسب تعبيرها، "عبقريتنا الشخصية والجماعية، إنها الحمض النووي لإنسانيتنا". وهي "كل الأشياء التي تجعلنا من نحن عليه". وتُضيف: "ترشدنا خوارزمياتنا البشرية إلى قيمنا، لطفنا، شفقتنا، شجاعتنا "، وتؤكد على أنه لا يمكن أن يصمم البشر آلة ذكية يمكنهم الوثوق بها إلا في ظل تمتعهم بخوارزمية أكثر إنسانية، فهي ترى أن ثمَّة علاقة وثيقة بين الآلات والبشر، تصل إلى حد التماهي. باختصار "الآلات هي نحن"، والتكنولوجيا مرآة للخوارزمية البشرية التي يتعين أن تحمي الإنسان، وأن تذكّر بأفضل ما فيه.

كتب من العالم


الشخصية: تاريخ هاجس ثقافي
Character: The History of a Cultural Obsession by Marjorie Garber
تأليف: مارجوري غاربر
الناشر: Farrar, Straus and Giroux, 2020

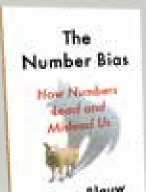
ما هي "الشخصية"؟ كيف يمكن قياسها أو تحسينها أو بناؤها؟ هل سمات الشخصية ثابتة أم قابلة للتغيير؟ هل الشخصية فطرية أم مكتسبة؟

في فترة ما قبل الميلاد، انخرط الفلاسفة الإغريق والفلاسفة والأدباء والعلماء في تفسير لغز شخصية الإنسان. وفي أقدم استخدام لها، كانت كلمة "الشخصية" مستمدة من الكلمة اللاتينية kharaktēr التي تعني أداة الختم، وبالتالي كانت تستخدم للدلالة على النقش أو الختم. ولكن بمرور الوقت، أصبحت تدل على فكرة أخلاقية أو نوع أو شخصية أدبية أو مظاهر جسدية أو فسيولوجية يمكن ملاحظتها في الأعمال الفنية والتجارب العلمية. كما أنها أصبحت مصطلحاً أساسياً في الأعمال الدرامية ومحور كتب المساعدة الذاتية.

في هذا الكتاب، تشير مارجوري غاربر، أستاذة اللغة الإنجليزية في جامعة هارفرد الأمريكية، إلى أن تعبير "الشخصية" يُستخدم اليوم أكثر من أي وقت مضى، فهو موجود في المناقشات السياسية أو تلك المتعلقة بالأخلاق أو الفضيلة أو الطب النفسي. إذ لا مفر من الإشارات إلى عيوب الشخصية وقضايا الشخصية واغتيال الشخصية ومزاعم الشخصية "السيئة" و"الجيدة" في وسائل الإعلام وفي المناقشات المعاصرة المختلفة.

ولكن ما العلاقة التي تربط "الشخصية" بمعناها الأخلاقي بمفهوم الشخصية في الرواية والمسرحية؟ هل تساعد أفكارنا حول الشخصيات الخيالية في إنتاج تصوُّراتنا للشخصية الأخلاقية؟ هل يمكن تشكيل الشخصية أو تدريسها في المدارس أو ضمن نطاق العائلة؟ من الفيلسوف والمؤرِّخ اليوناني فلوطرخس إلى الفيلسوف البريطاني جون ستيوارت ميل، ومن شكسبير إلى داروين، ومن الفيلسوف ثيوفراستوس إلى عالِم النفس سيغموند فرويد، ومن علم الفرينولوجيا أو علم فراسة الدماغ في القرن التاسع عشر إلى عمليات مسح الدماغ في القرن الحادي والعشرين، لا يزال البحث عن مصادر الشخصية البشرية ومكوّناتها يشغلنا إلى حد كبير.

باختصار، يستكشف هذا الكتاب "الشخصية" ليس فقط من خلال أبعادها اللغوية والأخلاقية، ولكن أيضاً من حيث أبعادها الاجتماعية والنفسية والعلمية والفرضيات الزائفة المتعلقة بها.





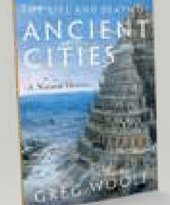
التحيّز الرقمي: كيف تقودنا الأرقام وتضللنا
The Number Bias: How Numbers Lead and Mislead Us by Sanne Blauw
تأليف: سان بلاو
الناشر: Hodder & Stoughton, 2020

ليس من المبالغة القول إن الأرقام تُملي علينا طريقة عيشنا، فهي تحدِّد حياتنا، من معدَّل الذكاء إلى الناتج المحلي الإجمالي، ومن استطلاعات الرأي إلى البحوث الطبية. لكن الأرقام ليست موضوعية بالقدر الذي نعتقده، ولا تدل على الحقيقة دائماً، بل يمكنها أن تكون متحيزة ومضلِّلة في كثير من الأحيان. ومع ذلك، غالباً ما يتجاهل أصحاب القرار والشركات ووسائل الإعلام ذلك فيستخدمونها لتحقيق مكاسبهم الخاصة.

تقول سان بلاو، الصحافية الهولندية المتخصِّصة في علوم الاقتصاد، إن الأرقام هي لغة بحد ذاتها، ولكن في حين أنه يسهل انتقاد الكلمات في أية لغة من لغات العالم، غالباً ما يتم الوثوق بالأرقام بشكل تام. وتحاول بلاو تفسير هذه الثقة العمياء بالأرقام، وتعيدها إلى علم النفس ورغبتنا في الإحساس بالسيطرة على الأمور لا سيما في عصرنا الحديث. فكل قرار حول ما يجب قياسه وكيفية قياسه، في الواقع، يتم من خلال افتراضات اجتماعية وأخلاقية معينة.

ولهذا السبب، فإن أنظمة "التعلُّم الآلي" مثلاً، المُدرّبة على مجموعات كبيرة من البيانات، تتحوَّل بشكل روتيني إلى عنصرية أو غير كفوءة بشكل أو بآخر. توضِّح بلاو هذا الموضوع من خلال دراسات حالة مختارة، بدءاً من الاستخدام الناجح للإحصاءات عند بداياتها، عندما لجأت الممرضة البريطانية المعروفة بـ "صاحبة المصباح" فلورنس نايتنجيل إلى الرياضيات من أجل تحسين ظروف المستشفيات وأوضاع الجنود الصحية أثناء حرب القرم، فأرسلت رسومات بيانية كانت قد جمعتها لوفيات الجنود البريطانيين في شبه جزيرة القرم وأرسلتها إلى السلطات.

وتقول بلاو إن نايتنجيل كانت من أوائل الأشخاص في العالم الذين استخدموا الرسوم البيانية لإحداث التغيير، وربما كان نجاح هذه الاستخدامات المبكرة هو الذي جذب الموجة اللاحقة من استخدام المحدِّدات الكمية فيما بعد، التي أصبحت مضلِّلة في كثير من الأحيان. فكلما ازداد استخدامنا للإحصاءات والأرقام، ازدادت الدوافع للتلاعب بها. وبمجرد تحديد هدف معين لها تتوقف عن كونها طريقة موثوقة للقياس. وتسلط بلاو الضوء على التاريخ الطويل للتلاعب في البيانات من قِبل جهات عدة من مصانع التبغ إلى عدد كبير من الاستفتاءات التي أجريت لأغراض مختلفة.

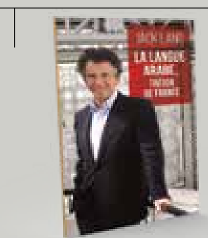


حياة المدن القديمة وموتها: تاريخ طبيعي
The Life and Death of Ancient Cities: A Natural History by Greg Woolf
تأليف: غريغ وولف
الناشر: Oxford University Press, 2020

كان نمو المدن حول العالم في القرنين الماضيين أعظم حلقة في تاريخنا الحضري. لكن هذه المدن لم تكن هي الأولى. فقبل ثلاثة آلاف عام، كان الجزء الأكبر من حوض البحر الأبيض المتوسط يضم عالماً من المدن والقرى من دون مال أو كتابة ولا معابد للآلهة أو قصور للأقوياء.

وعلى مر القرون التي تلت، ظهرت مدن في أماكن عديدة داخلية حول هذا البحر، بناها اليونانيون والرومان وكذلك الأتروسكانيون والفينيقيون وغيرهم. وكانت معظمها صغيرة بالمعايير الحديثة، لكنها كانت بمثابة حجر الأساس لجميع بلدان وإمبراطوريات العصور القديمة. وتحوَّلت أبرز هذه المدن من أثينا إلى كورنثوس وسيرقوسة ومرسيليا والإسكندرية وأفسس وبرسيبوليس وقرطاج وروما وبيزنطة إلى مراكز قوة للمجتمعات القديمة المتعاقبة، ليس فقط كمراكز سياسية ولكن أيضاً كأماكن انطلقت منها أبرز الأعمال الفنية والأدبية القديمة. وبعد ذلك، في منتصف الألفية الأولى، تلاشى معظم هذه المدن، إما بسبب الغزوات أو الجوائح أو الانهيارات الاقتصادية، تاركة وراءها أطلالاً سحرت كثيراً ممن جاؤوا بعدها.

استناداً إلى أحدث الأدلة التاريخية والأثرية، يقدِّم هذا الكتاب سرداً لإحدى أولى التجارب الحضرية العظيمة في العالم، من أوائل العصر البرونزي إلى زوال المدن في أواخر العصور القديمة. حيث يعيد غريغ وولف مدير معهد الدراسات الكلاسيكية في جامعة لندن، قراءة تاريخ المدن القديمة حول البحر الأبيض المتوسط على خلفية الأنماط الأوسع للتطور البشري والطبيعة القاسية التي بنيت في ظلها. باختصار يحاول هذا الكتاب إعادة الحياة إلى بقايا أسلافنا في المدن الحضرية القديمة، وهو بمثابة تذكير صارخ بهشاشة حتى أعظم المدن الحضرية القائمة في عصرنا هذا.



اللغة العربية، كنز فرنسا (كتاب باللغة الفرنسية)
La langue arabe, trésor de France
by Jack Lang
تأليف: جاك لانغ
الناشر: CHERCHE MIDI, 2020

على الرغم من كونها لغة معترفاً بها كإحدى اللغات الرسمية في الأمم المتحدة، ورغم اعتبارها خامس أكثر اللغات استخداماً في العالم مع أكثر من 430 مليون متحدث، ما زالت اللغة العربية في فرنسا غير معروفة، ولا تُدرّس بشكل كافٍ في فرنسا في خضم الخلافات التي تشوه صورتها.

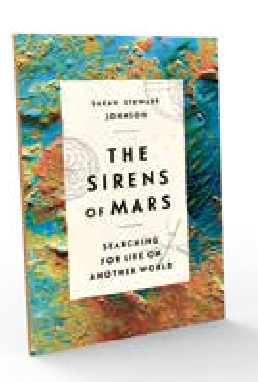
إلا أن جاك لانغ، وزير الثقافة الأسبق ورئيس معهد العالم العربي في باريس، يؤكد في هذا الكتاب أن اللغة العربية حيَّة وعالمية، وهي لغة أصبحت "خالدة" بفضل الوحي القرآني، ومن ثم تعزَّز وجودها بفضل أعمال الترجمة التي بدأها العلماء العرب في وقت مبكر من القرن الثاني عشر. ومن خلال تلك الترجمات أصبح الغرب مديناً للعالم العربي بإعادة اكتشاف النصوص العظيمة للفلسفة اليونانية، كما أن كثيراً من المعارف في علم الفلك والطب والفلسفة والجبر نقلت عن العرب بلغتهم أو ترجموها للغات أخرى مما أدَّى إلى إسهامات فكرية استثنائية.

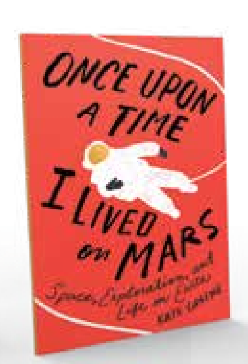
ويعيد لانغ التذكير بأن عديداً من المصطلحات التي لا تزال تستخدم اليوم مثل الجبر واللوغاريتم، أصلها عربي. ومن ثم يشرح إلى أي مدى تنتمي اللغة العربية إلى تاريخ الغرب، وإلى فرنسا بالذات، ويشير إلى أن فرانسوا الأول ملك فرنسا كان مدافعاً عن اللغة العربية من خلال رفع دراسة هذه اللغة إلى مرتبة "الانضباط المؤسسي"، إذ فرضها كلغة الطبقة الحاكمة في الإدارة والتعليم، وأن نابوليون بونابارت أحب اللغة العربية وأعجب بالحضارة المشرقية والمصرية، كما أن المجموعة الأسطورية كليلة ودمنة كانت مصدر الإلهام لأساطير الشاعر الفرنسي لا فونتين.

وما أراد لانغ أن يؤكد عليه في هذا الكتاب هو أن اللغة العربية لا تزال تحافظ على مكانتها التاريخية العريقة، ولا تزال رمزاً لحضارة عريقة ولغة الأدب والثقافة والفنون. ومن هنا يدعو إلى تعليمها في فرنسا للجميع. ويقول إن تعليمها لا يجب أن يكون مقصوراً على الفرنسيين من أصل عربي، بل إن اللغة العربية يجب أن تنتمي إلى جميع المواطنين وإلى جميع الأجيال الحريصة على اكتشافها أو إعادة اكتشافها.

مقارنة بين كتابين

بين استكشاف المريخ واستكشاف إنسانيتنا





(1) ذات مرَّة عشت على كوكب المريخ: الفضاء والاستكشاف والحياة على الأرض
تأليف: كيت غرين
الناشر: St. Martin's Press, 2020
Once Upon a Time I Lived on Mars: Space, Exploration, and Life on Earth by Kate Greene

(2) صفارات إنذار كوكب المريخ: البحث عن الحياة في عالم آخر
تأليف: ساره ستيوارت جونسون
الناشر: Crown, 2020
The Sirens of Mars: Searching for Life on Another World by Sarah Stewart Johnson

يتناول هذان الكتابان الاستكشاف والحياة خارج كوكب الأرض، ولكنهما يتطرَّقان أيضاً إلى أنواع مختلفة من العزلة وتوق الإنسان الدائم إلى تجنب الوحدة والسعي للعيش مع الآخرين. وبالتالي، فهما يتحدثان إلينا بشكل خاص في هذه الأوقات، إذ يحاكيان العُزلة التي نعيشها اليوم في ظل التباعد الاجتماعي الذي فرضته علينا جائحة الكورونا.

في عام 2013م، عاشت عالِمة الفيزياء كيت غرين، في مهمة وهمية إلى كوكب المريخ، حيث عاشت هي وخمسة أشخاص آخرين داخل قبة معزولة على رقعة صخرية قاحلة من بركان "ماونا لوا" في هاواي لمدة أربعة أشهر. وفي محاولة لمحاكاة الرحلات الفضائية الفعلية كانوا جميعهم يرتدون بدلات فضائية، ودون طعام طازج ولا هواء نقي ولا أي اتصال فوري مع العالم الخارجي. وتدير وكالة "ناسا" مثل هذه البعثات لمعرفة أفضل الممارسات للحفاظ على روَّاد الفضاء.

في كتابها "ذات مرَّة عشت على كوكب المريخ" تروي غرين كيف كان أفراد الطاقم الذين عاشت معهم تجربة محاكاة السفر إلى كوكب المريخ يتواصلون في ما بينهم، وما كانت تقرأه والطعام الذي كانت تتناوله والرسائل الإلكترونية التي كانت تصلها متأخرة من أحبائها على "كوكب الأرض". من خلال سلسلة المقالات التي تضمَّنها هذا الكتاب، تستخدم غرين هذه المهمة كعدسة لتفحص مختلف الأمور من أخلاقيات واقتصاديات السفر إلى الفضاء إلى طبيعة الوقت والحب والمنزل. كما أن وصفها للملل والعزلة يبدو ملائماً بشكل خاص في زمن التباعد الاجتماعي الذي نعيشه. حيث بالإمكان رؤية أوجه الشبه غير المقصودة بين مهمة غرين وواقع العالم الحالي في ظل جائحة كورونا. أما الفارق الوحيد، فهو أن غرين كانت تعرف بالضبط متى ستنتهي مهمتها. فتقول إن مع العُزلة يفقد كل شيء معناه، من الطريقة التي تسير بها جوانب معيَّنة من حياتنا إلى جدول أعمالنا اليومية وحتى محادثاتنا مع الآخرين.

أما كتاب "صفارات إنذار كوكب المريخ" فيبدأ بمشهد أوسع لاستكشاف المريخ حيث تروي سارة ستيوارت جونسون، أستاذة علم الكواكب في جامعة جورج تاون الأمريكية، كيف تأرجح إدراكنا للمريخ بين عالَم يعج بالحياة إلى كوكب ميِّت وممل منذ اختراع التلسكوبات.

تجمع جونسون عدداً من الشخصيات لسرد تاريخ استكشافنا للمريخ، من غاليليو إلى رجل الأعمال بيرسيفال لويل الذي سخَّر ثروته لبناء مرصد في ولاية أريزونا الأمريكية لرسم خريطة للمريخ من خلال التلسكوب، وكان يعمل عليها ليلة تلو الأخرى على أمل اكتشاف عالم يعج بالحياة. وهناك عالم الفلك كارل ساغان، الذي كان يعمل مع "ناسا" في سبعينيات القرن الماضي، لمعرفة ما إذا كانت توجد حياة على سطح الكوكب الأحمر. وهكذا استمرت محاولات استكشاف المريخ ولم يكن آخرها إطلاق مسبار الأمل لاستكشاف المريخ في الإمارات العربية المتحدة. وتخلُص جونسون إلى أن البحث عن الحياة على كوكب المريخ هو محاولة إنسانية للتأكد من أننا لسنا وحدنا في هذا الكون.



الشعراء العرب والحنين إلى الديار قبل المِعْمَار

المهندس نبيه البراهيم
عضو مجلس الشورى

في كل مراحله، كان للشعر العربي منابعه التي يستقي منها صوره الشعرية، وفقاً لعناصر الطبيعة ومعطيات الحياة المتاحة له ومن تلك المعالم أيضاً كانت المباني والقصور وما جادت به يد المعماريين من فنون ومنجزات وآثار. ولكن ما الذي ألهب وجدان الشعراء العرب؟ أهو المعمار بحد ذاته؟ أم الحنين إلى ديار الأحبة؟

في زمن الجاهلية وصدر الإسلام كان الاهتمام بالعمارة ينصبّ بشكل خاص على وظيفة المبنى سواء أكان داراً أو حصناً، يحمي من حر الصيف وبرد الشتاء وهجمات الأعداء ويحافظ على الخصوصيات. لذلك، لم يجد الشعراء في المعمار ما يستهويهم في الوصف. فكان الشاعر يقف على أطلاله متذكراً تلك الأيام الجميلة التي جمعته بالحبيب، ثم يشكو لوعة الرحيل والفراق. كما قال امرؤ القيس:

قفـا نبكِ من ذكـرى حبيب ومنزلِ
بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

ومثل ذلك ما قاله طرفة بن العبد في معلقته:

لخولـة أطـلال ببرقة ثهمـــدِ
تلوح كباقي الوشـم في ظاهر اليدِ

وعلى هذا المنوال سار كل شعراء المعلقات وغيرهم ممن جاء بعدهم. وقد أوضح تلك المقاصد بدقة في العصر الأموي قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى حين قال:

أمر علـى الديـارِ ديارِ ليلـــى
أقبل ذا الجدارَ وذا الجــــدارا

بعد الفتح الإسلامي ونشوء الدولتين الأموية والعباسية وما تبعها من دول، وما نتج من اختلاط العرب بحضارات أخرى أكثر اهتماماً بالعمارة والعمران، ظهرت أنماط جديدة من الصور الشعرية تتماهى مع الفن المعماري، كلٌّ حسب بيئته ومحيطه، ولكن مع الاحتفاظ بالنمط القديم في التخلص سريعاً للانتقال إلى ما هو أكثر ارتباطاً بالإنسان محبوباً كان أو ممدوحاً، أكثر من الاستغراق في وصف المباني والقصور والطبيعة.

فالبُحتري كان يمدح الخليفة منطلقاً من وصف أحد قصوره التي بناها في عهده، مثل قصر الجعفري والحير والغِرد والصبيح والمليح وقصر الزَّوّ المطل على نهر دجلة وقصر المتوكلية المشهور بمسجده ومئذنته الملوية. ومما قاله البحتري فيه:

أرى المتوكليـة قـد تعالـــت
محاسنها وأكملت التمامـــــا
قصـور كالكواكـب لامعـــات
يكدن يضئن للســاري الظلامـــا

ومثله وصف البحتري نفسه لإيوان كسرى في المدائن، الذي كان سابقاً مضرب المثل في الأنس والعمران، تقصده الجموع ترتجي الحظوة عند صاحبه، وتخطب ودّه، فأمسى مضرب المثل في انقطاع السرور وذهاب السلطة، لذلك نجد شاعرنا يستهل قصيدته:

صنت نفســي عما يدنس نفســي
وترفعــت عن جدا كل جبـــس
وتماسـكت حين زعزعنــي الدهر
التماســاً منه لتعسي ونكســـي

ليتجه بعدها في وصف الإيوان:

مشـمخر تعلـو له شرفـــات
رفعت فـي رؤوس رضوى وقدس
لابسـات مـن البياض فمـــا
تبـصر منها إلا غلائل بـــرس
ليـس يـدرى أصنع إنس لجـــن
سـكنوه أم صنع جن لإنـــس

وفي الأندلس نعرّج على قصر الحمراء التُحفة المعمارية التي بناها بنو الأحمر في غرناطة في القرن العاشر الميلادي، وهو إنجاز معماري باهر بعمارته الراقية وعناصره الزُخرفية الرقيقة. وقد ارتبطت بعض الموشحات الأندلسية به مثل أبيات ابن زمرك، وبذلك بدأ مصطلح شعر النقوش، حيث نقش كثير من شعره على جدران القصر مثل قوله:

ســلام الله يــا قصر الســلام
علـى أرجائك الغر الوســـام

وقوله يصف قاعة الأختين المشهورة فيه، يقول فيها:

ولم نـرَ قصراً منه أعلـى مظاهراً
وأوضح آفاقاً وأفسح ناديـــا

وتستوقفنا عند قصر الحمراء قصيدتان لشاعرين معاصرين مرّا به، وهما أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته المشهورة التي أنشدها عام 1916م ونعى فيها الحضارة العربية في الأندلس مجارياً فيها سينية البحتري الذي كان يشاركه الهمّ ولوعة فراق الوطن:

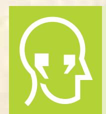
وعـظ البحتـري إيوان كسـرى
وشـفَّتني القصور من عبد شمس
لـم يرُعني سـوى ثرى قرطبـي
لمسـت فيه عبرة الدهر خمسـي

والوقفة الثانية مع نزار قباني في زيارته للقصر نفسه في ستينيات القرن الماضي، حين كان سفيراً في إسبانيا حتى عام 1966م، إذ كتب قصيدة بدأها بمخاطبة موظفة إسبانية تعمل في القصر مُرشدة سياحية، لينتقل بعد ذلك إلى مسقط رأسه دمشق ليتذكر أمه وبيته الدمشقي والبركة الذهبية بنافورتها التي تتوسط البيوت، كل ذلك من خلال هذه السمراء الأندلسية:

ورأيت منـزلنا القديـم وحجرة
كانـت بها أمي تمد وسـادي
واليـاسمينة رصعـت بنجومهـا
والبركة الذهبيـة الإنشـاد

وكما بدأنا رحلتنا بطرفة وأطلال حبيبته خولة في العصر الجاهلي، نختم بمنازل خولة مع عدنان العوامي وقصيدته التي أنشأها قبل أربعين عاماً واصفاً قلعتها القديمة ودروبها الضيّقة ودهاليزها المسقوفة وطُرقاتها المتشابكة ومعمارها القديم ومساجدها العتيقة، ليعطيها من عمق التاريخ بُعداً يتجاوز حاجز الزمن، ويبسط ذراعيه إلى عصر ما قبل الإسلام ليلتقي مع طرفة بن العبد الذي ينتمي إلى المكان نفسه.

سلاماً .. سـلاماً منازل خولـة
سـلام الخليل تذكر خلَّـــه
تذكَّـر مـدرج أحبابـــه،
ضفافاً ومشتلَ ضوءٍ ونخلـــه
وملهـى صبا سوسـنيَّ الأديـمِ
تطوف المواسمَ بالعشق حوله .



يُعدُّ مشروع الجينوم السعودي واحداً من المشروعات الضخمة التي من شأنها أن تحدث نقلة نوعية متميزة تضع المملكة في مصاف الدول المتقدِّمة في أكثر البحوث العلمية تطوراً. وقد انطلق هذا المشروع الذي يُعدُّ واحداً من أفضل عشرة مشروعات في علم الجينوم حالياً عام 2013م، ودشَّن مختبره المركزي صاحب السمو الملكي الأمير محمد ابن سلمان في عام 2018م، ليكون واحداً من المشروعات الاستراتيجية الهادفة إلى الارتقاء بمستوى العيش والصحة العامة في المملكة، من خلال مواجهة مستجدات الأمراض الوراثية وتحديد الأساس الجيني لهذه الأمراض باستخدام أحدث التقنيات المعملية والحاسوبية، مما يساعد في استحداث طرق تشخيصية وعلاجية دقيقة وسريعة.

د. ندى الأحمدي*

من أفضل عشرة مشروعات مماثلة في العالم

مشروع الجينوم البشري السعودي لمواجهة الأمراض الوراثية

* أستاذ مساعد في قسم الأحياء - كلية العلوم - جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل بالدمام



يُعدُّ تأسيس المختبر المركزي للجينوم البشري السعودي فتحاً طبياً جديداً ومرحلة مهمة في سبيل مواجهة الأمراض الوراثية وتطوير سبل الطب الحديث وتأصيل مفهوم الطب الشخصي في المملكة العربية السعودية، إضافة إلى وضع الاستراتيجيات الصحية المستقبلية للوقاية، وإعطاء الأولويات للأبحاث العلمية، وبالذات الأبحاث ذات العلاقة بالعلاج الجيني الذي يُعدُّ ثورة طبية في هذا القرن. وللتوصل إلى مثل هذه العلاجات الجينية كان لا بد من إنشاء قاعدة بيانات لشريحة كبيرة من سكان المملكة، ليتمكن من خلالها الباحثون من تحديد الأمراض الأكثر شيوعاً في المملكة ومواجهتها.

وتعاني المملكة العربية السعودية من ارتفاع معدَّل الأمراض الوراثية، مثل العمى الوراثي وأمراض الصمم الوراثي وأمراض التمثيل الغذائي. ومن المعروف أن الأمراض الوراثية هي كغيرها من الأمراض تشكِّل عبئاً ثقيلاً على مستوى الفرد ونظام الرعاية الصحية الوطني على السواء، إذ تُقدَّر التكلفة السنوية لعلاج الأمراض الوراثية في المملكة - حسب الموقع الإلكتروني للبرنامج السعودي للجينوم البشري - حوالي 30 مليار دولار. لذلك، كان لزاماً البحث عن حل جذري للكشف المبكر عنها، والحد من زيادتها، والسعي نحو مجتمع صحي وسليم.

وليس بمستغرب أن تتبنى المملكة مثل هذا المشروع. فقد سبقت هذه الخطوة الحديثة إنشاء برنامجين للوقاية الوراثية، أولهما يتمثل في برنامج فحص ما قبل الزواج، الذي أُطلق عام 2004م، ويشمل مرض الأنيميا المنجلية، وأنيميا البحر الأبيض المتوسط (الثلاسيميا)، حيث تم بفضل الله مواجهة ارتفاع هذين المرضين والحد من زيادة حالاتهما.

أما البرنامج الثاني فهو البرنامج الوطني للكشف والتدخل المبكر لأمراض التمثيل الغذائي والغدد عند المواليد، الذي تبناه مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة ووزارة الصحة كمعمل وطني مرجعي للفحص المبكر لجميع حديثي الولادة في المملكة، وقد أُطلق في عام 2005م، ويتضمَّن فحص 17 مرضاً وراثياً.

إضافة إلى ذلك، هناك عدد من المشروعات الأخرى، مثل مشروع الفحص الجزيئي للأمراض الوراثية في الأجنة قبل زراعتها في الرحم، ومشروع العلاج بالمورثات لبعض الأمراض الوراثية كالعمى، وبرنامج الكشف عن المسببات الوراثية لظاهرة التوحُّد، ومشروع دراسة العلاقة بين التركيبة الوراثية واختلاف التأثر بأنواع معينة من الأدوية عند مرضى الأوعية الدموية.

ولذلك، فإن وجود قاعدة بيانات من الجينوم البشري السعودي تتيح مجالاً أوسع لفحص أمراض وراثية أخرى، الأمر الذي يسهم في التدخل العلاجي المبكر والوقاية منها.

الجينوم والطفرات الوراثية

الجينوم هو المحتوى الوراثي الكامل للكائن الحي. فهو يحتوي على جميع المعلومات الوراثية الضرورية لنمو أي كائن حي واللازمة للقيام بوظائفه الحيوية، سواء أكان إنساناً أو نباتاً أو حيواناً أو من الكائنات الدقيقة مثل البكتيريا والفيروسات وغيرها.

يتكوَّن جسم الإنسان من ملايين الخلايا، وتمتلك كل واحدة منها مجموعة كاملة من الجينوم وهو بمثابة القاموس لجسم

الإنسان. وهذه المعلومات الوراثية مكتوبة بشفرة كيميائية تُعرف بالحمض النووي الريبوزي منقوص الأكسجين (DNA)، وتحوي كل خلية في جسم الإنسان على المجموعة نفسها من التعليمات الوراثية.

يحتوي الجينوم البشري على 3.2 مليار حرف وحوالي 20 ألف جين (مورثة). وكل فرد يملك جينوماً فريداً خاصاً به. وإذا طبعنا الحروف في الجينوم، فإنها ستملأ كومة من الكتب يصل ارتفاعها إلى 61 متراً. ولو أردنا قراءة حرف واحد كل ثانية لمدة 24 ساعة في اليوم سنحتاج إلى قرن لإنهاء قراءتها.

تتكوَّن الجينات من الحمض النووي الريبوزي منقوص الأكسجين، (DNA) الذي يتكوَّن بدوره من خيوط طويلة ومقترنة من أسس نوكليوتيدية (وحدة أساسية في بناء الحمض النووي)، وهي عبارة عن أربعة أحرف يطلق عليها أدينين (A) وسيتوزين (C) وغوانين (G) وثايمين (T). وتشكِّل الخلايا المترابطة فيما بينها الأنسجة، والأنسجة المترابطة تشكِّل الأعضاء، والأعضاء بمجموعها الكامل تشكِّل الكائن الحي، وكل هذا الفضل يعود للجينوم.

وتحدث الأمراض الوراثية بسبب طفرات في الحمض النووي، تؤدي إلى ترجمة البروتينات بطريقة خاطئة ما يسبب حدوث خلل في البروتين الناتج، وتغيُّر في خصائصه الفيزيائية والكيميائية، وبالتالي التأثير على وظيفة البروتين في الخلية، وإحداث المرض الذي تعتمد شدَّته على مدى أهمية البروتين المصاب ودوره الوظيفي داخل الخلية.

الجينوم البشري السعودي

لكل شعب محتواه الوراثي الخاص به الذي يميزه عن بقية الشعوب. ويعود سبب هذا التنوُّع لاختلاف البيئات التي يعيشون فيها، وتنوُّع العادات والسلوكيات المجتمعية. ونظراً لأهمية هذه الاختلافات الوراثية بين الشعوب، بدأت مراكز الأبحاث العالمية بالتركيز على إيجاد علاجات وأدوية مخصصة فقط لشعوبها، وذلك باعتمادها على قواعد البيانات الوراثية الخاصة بكل شعب، التي قد لا تعمل بالكفاءة نفسها فيما لو تم استخدامها على الشعوب الأخرى. ومن هنا برزت أهمية قواعد البيانات الوراثية الوطنية.

والحال أن المجتمع السعودي يتصف بارتفاع معدلات زواج الأقارب. فقد جاء في مقالة كتبها الدكتور أحمد الفارس، من جامعة القصيم في "مجلة الكيمياء الحيوية وعلم الوراثة السريرية السعودية" في العدد الأول عام 2019م، أن هذه النسبة تصل إلى 58%. ونتيجة لهذا النوع من الزيجات، تكثر الإصابة بالأمراض الوراثية المتنحية النادرة، التي تنتج بسبب أن كِلا الوالدين حاملان للجين الطافر، مما يؤدي إلى توريثه للأبناء بصفة متنحية. وهذا يعني أن أفراداً من الأبناء قد يحملون نسختين من الجين الطافر، واحدة من الأب والأخرى من الأم، مما يسمح بظهور الأمراض الوراثية النادرة.

في أواخر تسعينيات القرن الماضي، بدأ الباحثون في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث (KFSHRC) بإجراء دراسات واسعة استمرت لسنوات في البحث عن الأمراض الوراثية لدى السعوديين. ولاحظوا ارتفاع نسبة الأمراض المتنحية التي وصلت إلى 84%، فيما وصلت نسبة الإصابات غير المتنحية إلى 15% مما يجعلها أقل انتشاراً نسبياً. وهذا ما



دعا إلى التفكير في إنشاء قاعدة بيانات وراثية. وتبلورت هذه الجهود في النهاية في شكل برنامج الجينوم البشري السعودي (SHGP)، وهو مشروع وطني لدراسة الأساس الجيني للأمراض الوراثية في المملكة العربية السعودية.

من خلال هذا المشروع، يستطيع العلماء إحداث تطوير في ثلاثة مجالات:

- **الأول: تقليل الوقت اللازم للتشخيص.**
- **الثاني: زيادة دقة وكفاءة التشخيص.**
- **والثالث: الاستفادة من هذه المعلومات الوراثية وإضافتها إلى قواعد البيانات، لتصبح مرجعاً شاملاً خاصاً بالمحتوى الوراثي في المجتمع السعودي.**

وقد عبّر الرئيس السابق لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية الأمير الدكتور تركي بن سعود بن محمد آل سعود عن أهمية هذا المشروع بقوله: "إن مشروع الجينوم البشري السعودي هو مبادرة أكبر للنهوض بالبحث العلمي والتطوير التكنولوجي في جميع أنحاء المملكة. ووفقاً للموقع الإلكتروني الخاص بالجينوم البشري السعودي، فإن الجهود المبذولة لفهم التركيبة البيولوجية الأساسية للسكان ستقود للتقدُّم المباشر وغير المباشر في الرعاية الطبية لعقود مقبلة".

حالياً، يجب أن يخضع الأزواج في المملكة العربية السعودية لفحص الدم لتحديد ما إذا كانوا حاملين للأمراض الوراثية الشائعة. إلا أنه ومن خلال مشروع الجينوم البشري السعودي، سيكشف الفحص عن آلاف الأمراض، وليس فقط الشائعة منها. لذلك، ستشمل المرحلة المقبلة من مشروع الجينوم البشري السعودي اختبار ما قبل الزواج، لتمكين الأزواج من تحديد الجينات الحاملة للطفرات الجينية التي قد تؤثر على أطفالهم في المستقبل.

معملياً، لم يكن بالإمكان العمل على خرائط الجينوم في فترة وجيزة إلا بعد حدوث ثورة في التقنيات الحيوية المستخدمة في الهندسة الوراثية، وعلى رأسها ما يعرف بتقنية الجيل الجديد لتحديد التتابعات الوراثية التي مكنت الباحثين من اختصار الوقت من شهور إلى مجرد أيام، وقراءة أكثر من ثلاثة مليارات قاعدة نيتروجينية للجينوم الواحد. ويوفر مختبر الجينوم المركزي في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية خدمات التسلسل الوراثي وخدمات تحليل المعلومات الوراثية المتعلقة بها، إذ إنه يحتوي على تقنيات قادرة على معاينة وقراءة الجينوم والشفرات الوراثية على مختلف المستويات، ومنها الآتي:

- **تسلسل الجينوم الكامل (Whole Genome Sequencing):** يتم استعمال ثلاثة أجهزة من نوعية إلومينا (Illumina) لقراءة وتحديد الجينوم كاملاً. وهذا الجهاز قادر على قراءة اثنين وثلاثين جينوماً في المرة الواحدة.

- **تسلسل الإيكسوم الكامل (Whole Exome Sequencing):** في هذا المستوى، تتم قراءة التسلسلات المتعلقة بتحديد الخصائص الوظيفية فقط. ونعني بذلك أن المناطق التي تعمل بشكل أساسي على تشفير البروتينات القائمة بالوظائف الحيوية هي التي يتم استهدافها في هذا النوع من القراءات الجينية. وزيادة على أجهزة الإلومينا المذكورة سابقاً، هناك

مشروع الجينوم البشري السعودي هو مبادرة أكبر للنهوض بالبحث العلمي والتطوير التكنولوجي في جميع أنحاء المملكة. ووفقاً للموقع الإلكتروني الخاص بالجينوم البشري السعودي، فإن الجهود المبذولة لفهم التركيبة البيولوجية الأساسية للسكان ستقود للتقدُّم المباشر وغير المباشر في الرعاية الطبية لعقود مقبلة.

الأمير الدكتور تركي بن سعود بن محمد آل سعود
الرئيس السابق، مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية



أيضاً ستة أجهزة من الأيون بروتون (Ion protons) في المختبر المركزي في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وأيضاً أربعة عشر جهازاً آخر موجودة في معامل داعمة مختلفة. ولهذه الأجهزة الطاقة على تحديد الأكسوم لستٍ وتسعين عينة مختلفة عن طريق جهاز واحد من الإلومينا، بالإضافة إلى تحديد اثنين من الأكسوم عن طريق جهاز واحد من أجهزة الأيون بروتون.

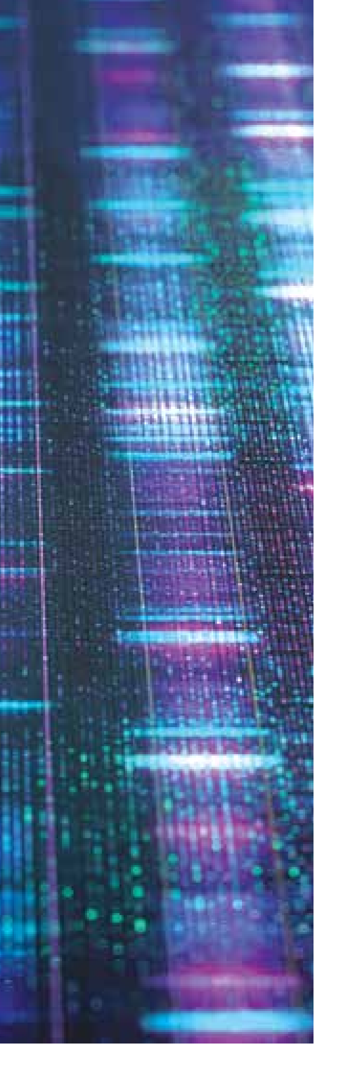
- **اللوحة الجينية (The Gene Panel):** في هذا النمط، يتم تحديد جينات معينة لقراءتها باستخدام ثمانية من أجهزة الأيون، بالإضافة إلى أجهزة الأيون بروتون. وهذا ما يمكّن من قراءة تسع وستين لوحة جينية في الدورة الواحدة.

- **تسلسل السانجر (Sanger Sequencing):** وهو النمط التقليدي الذي يستخدم لقراءة جزء بسيط من الحمض النووي وليس الجينوم كاملاً. وفي هذا النمط، يتم استخدام جهاز واحد من نوع "سانجر أبا" (Sanger ABI).

- **صفائح تغيُّر النوكليوتيدات من شكل واحد (SNP):** في هذا النمط يتم تحديد التغيرات النوكليوتيدية. ويستخدم جهازان من نوع الجين تايتان (Gene Titan) لهذا الغرض. وتستخدم المختبرات المتعلقة أحدث الأجهزة الروباتية ذات القدرة على معاينة 300,000 عيِّنة في السنة الواحدة، لتحديد 40,000 متغير نيكلوتايدي.

مستقبل العلوم الوراثية ودور العلماء السعوديين

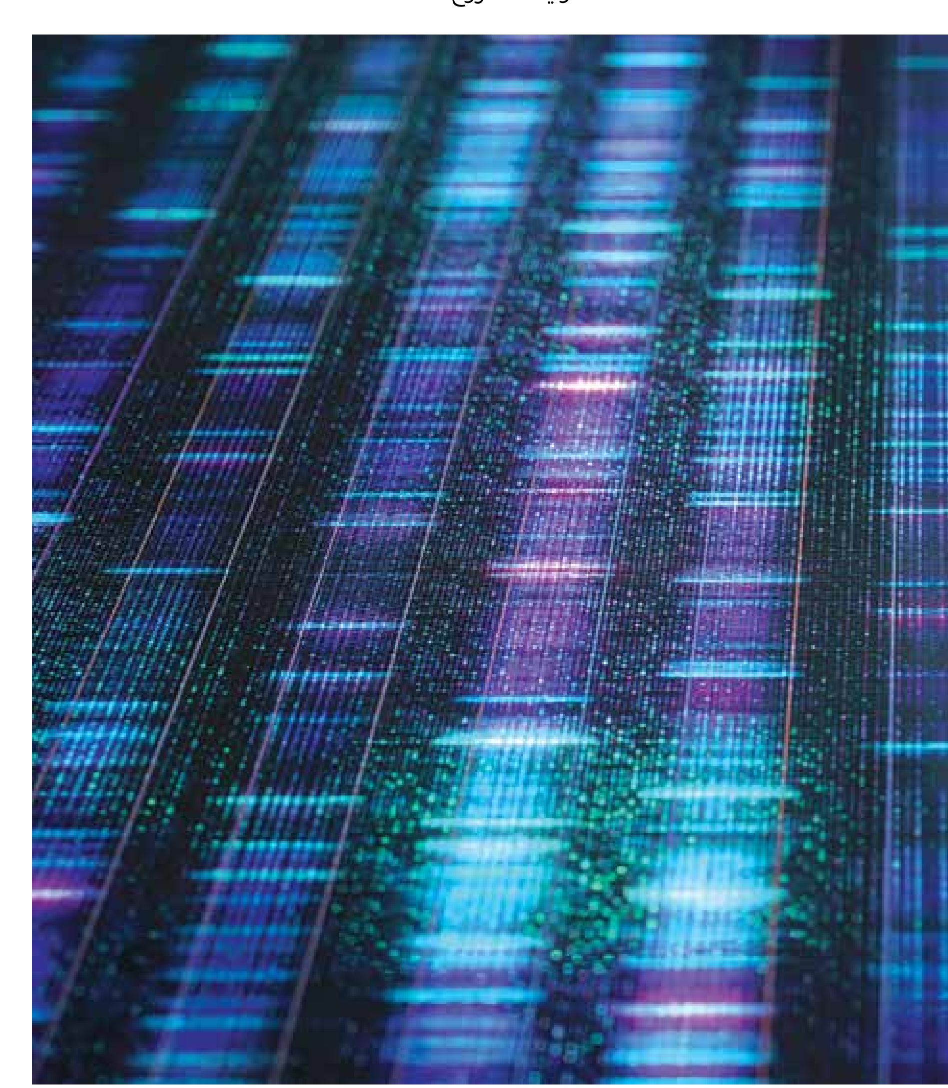
من خلال ما نُشر عن نتائج المرحلة الأولى من مشروع الجينوم البشري السعودي، تم تحديد أكثر من 1.7 مليون نيكلوتيدة



يبدأ طريق الألف ميل بخطوة، ولا يزال الدرب أمامنا طويلاً، إلا أن الدعم الحكومي لمثل هذه المشروعات الجوهرية يساعد في تسارع الإنجاز. كما أن تعاون المواطنين مع مراكز الأبحاث أسهم بشكل مباشر في نجاح هذا المشروع الوطني.



متعدِّدة التشكل (SNP)، التي يمكن اعتبارها المكوِّن الأساسي للبصمة الوراثية للمجتمع السعودي. وهي نتيجة قراءة الجينوم لـ 48 مواطناً سعودياً من الأصحاء وقت مشاركتهم في المرحلة الأولية للمشروع.



تعمل هذه البصمة الوراثية على تمييز الفروقات الجينية للأفراد، وهي عبارة عن الاختلافات في موقع محدَّد على الجين يحتوي على نكليوتيدة قد تتغير من فرد إلى فرد في السلسلة الجينية، مما يؤدِّي إلى اختلاف القراءات في الموقع نفسه، وبالتالي تكوين سلاسل متغيرة تؤدِّي إلى اختلاف في أنواع البروتينات المصنعة داخل الخلية. قد يكون هذا التغير ممرضاً، ويؤثر على الوظائف الحيوية للخلايا. وقد يكون غير مضر لكنه موجود بطريقة طبيعية.

وتأتي مبادرة مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بدعم وتنفيذ مشروع الجينوم البشري السعودي واستثمار فرص التطوُّر التقني في هذا المجال إيماناً منها بأهمية دراسة المجتمع السعودي وراثياً. ويضم هذا المشروع نخبة من العلماء السعوديين المتخصِّصين في علم الوراثة. كما حرصت المدينة على تدريب الكفاءات الوطنية من الباحثين والباحثات في هذا المجال. ويُعدُّ هذا المشروع هو الأول من نوعه في المنطقة العربية، ويهدف إلى تأصيل ثقافة البحث والتعاون العلمي داخلياً وخارجياً، كما أنه ينقل البحث العلمي إلى مجالاته التطبيقية المفيدة في التشخيص والعلاج.

وفي مجال الأبحاث الطبية، ينفِّذ المركز الوطني للتقنية الحيوية بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية عدداً من المشروعات الحيوية في مجالات أبحاث المناعة والعلاج المناعي وأبحاث السرطان والخلايا الجذعية. وحرصاً على نقل وتوطين أحدث التقنيات فقد تم بناء شراكات متكافئة مع عدد من المراكز البحثية العالمية المتميزة، يُستفاد منها في المجال الطبي والتشخيصي لكثير من الأمراض الشائعة في المجتمع، مثل أمراض القلب والأوعية الدموية والسكري والسرطان. ويتجاوز المشروع أهدافه العلمية والطبية إلى توفير المعلومات الجينية للمجتمع الطبي للاستفادة منها في تكييف العلاج ليناسب المريض في ما يسمى بالعلاج الشخصي.

إن طريق الألف ميل يبدأ بخطوة، ولا يزال الدرب أمامنا طويلاً، إلا أن الدعم الحكومي لمثل هذه المشروعات الجوهرية يساعد في تسارع الإنجاز. كما أن تعاون المواطنين مع مراكز الأبحاث أسهم بشكل مباشر في نجاح هذا المشروع الوطني.

المصادر

- Monies D, Abouelhoda M, AlSayed M, Alhassnan Z,Alotaibi M, Kayyali H, et al. The landscape of genetic diseases in Saudi Arabia based on the first 1000 diagnostic panels and exomes. Hum Genet 2017; 136(8):921–39; https://doi.org/10.1007/s004398-1821-017-.
- Alfares A, Alfadhel M, Wani T, Alsahli S, Alluhaydan I, Al Mutairi F, et al. A multicenter clinical exome study in unselected cohorts from a consanguineous population of Saudi Arabia demonstrated a high diagnostic yield.
- Mol Genet Metab 2017; 121(2):91–5; https://doi.org/10.1016/j.ymgme.2017.04.002.
- www.kfshrc.edu.sa/ar/home/research/departments/genetics
- مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية https://www.kacst.edu.sa/internal/4868



هاجس الخوف من انقراض الأنواع قديم جداً. فالبشر يسعون إلى حفظ التنوّع البيولوجي للأنواع والنُّظُم البيئية التي يعتمدون عليها في الحصول على الغذاء والأكسجين. وبعدما كان حفظ البذور منذ آلاف السنين حُلماً، حَوّلت حضارتنا الحاليّة الحُلم إلى حقيقة. فاليومَ، توجد بنوك للبذور هدفها الحفاظ على التنوّع البيولوجي الجيني لضمان الأمن الغذائي للأجيال المقبلة. وتخزن هذه البنوك بذور النباتات القابلة للعيش، حتى إذا ما انقرض نوعها في مواطنه الطبيعية، أمكن إعادة زرعه. فبعدما كانت هذه المواطن الطبيعية في الماضي معرّضة لكثير من المخاطر، فإن البشر أضافوا خطراً رئيساً، ألا وهو تأثيرهم في النُّظُم البيئية. ولذا، صارت مهمة حفظ الأنواع اليوم، أكثر إلحاحاً من ذي قبل.

رامان سينياكوف

بنوك البذور النباتية

للحفاظ على التنوُّع المهدَّد أكثر من أيّ وقت مضى



مدخل بنك قصر وايك هرست للبذور أكبر مجموعة في العالم من بذور النباتات البريَّة

يكمن واحد من أبرز الدوافع إلى حفظ البذور في التآكل الجيني. ويحدث هذا التآكل لأن البشر لا يزرعون إلا أنواع الغلال التي تغلّ أكثر والتي تتناسب بشكل أفضل مع الظروف المناخية. وفي دنيانا المعولَمة، صارت النباتات المستَولَدَة تنافس السلالات النباتية المحلية، على نحو يتّجه نحو انقراض هذه الأخيرة. ويؤدي هذا إلى زوال التنوُّع الجيني، حين تنقرض السلالات التي لا تُزرَع، فتضيع سماتها المميّزة إلى الأبد. غير أننا نحتاج إلى التنوّع الجيني في الأنواع النباتية نفسها، من أجل أن نتمكّن من مزاوجتها وتخليق أنواع أكثر تناغماً مع التغيُّر المناخي، وأقوى في مقاومة الأمراض الناشئة، والجفاف، والفيضان، وذات قيمة غذائية أفضل. لذلك، ثمَّة ضرورة كبيرة لحفظ تنوّع المزايا المختلفة التي نجدها في النوع نفسه.

ويتفاقم الانقراض الجيني لكوننا الآن نعيش في عصر الانقراض الجماعي السادس المسمّى انقراض عصر الهولوسين البشري (Anthropocene extinction)، وقد سمّي كذلك لأننا نحن البشر نسبب هذه الكارثة العالمية. فقد جاء في تقرير صدر عام 2019م عن "خدمات هيئة الأمم المتحدة المتعدّدة الحكومات الخاص بالسياسة العلمية في التنوّع البيولوجي" أن ما يصل إلى مليون نوع بيولوجي قد ينقرض بسبب النشاط البشري. فالتبدّل المناخي، والتلوّث، وإزالة الأحراج، وقتل الأنواع المهدّدة بالانقراض، والصيد الجائر، تسهم جميعها في هذه المشكلة البيئية الخطيرة. وكذلك تسهم الزراعة بكثافة في اجتياح النظم البيئية، إذ إن 33% من مساحة الكرة الأرضيّة و75% من مصادر المياه العذبة تُستخدَم في إنتاج الطعام. والانقراض الجماعي يهدِّد حتى النباتات المزروعة والحيوانات، على نحو قد يُحدث أزمات أمن غذائي، ومشكلات صحيّة للبشر، وتدهور جودة العيش. ولذا، فإن عناصر تحسين الإنتاج المستدام للطعام أصبحت ضرورية لتخفيف ضرر الزراعة في النظم البيئية. وبنوك البذور حاجة مُلِحَّة لتحقيق هذا التحسين.

تاريخ بنوك البذور العالميّة ومعاناتها من ويلات الحروب

تعود فكرة حفظ البذور من أجل حماية التنوُّع البيولوجي الجيني لعالِم الجينات الروسي نيكولاي فافيلوف (1887 - 1943م). وقد نظّم فافيلوف نحو 180 بعثة نباتية إلى خمس قارات من أجل جمع البذور. وأدت هذه البعثات إلى إنشاء أول بنك بذور في العالم. وقد قام على أرض معهد لينينغراد لأبحاث الصناعة الزراعيّة (وهو يُدعى اليوم معهد ن. إ. فافيلوف الروسي للموارد الجينيّة النباتية، سان بطرسبرغ). وفي عام 1940م، كانت مجموعة هذا المعهد تضم نحو 250 ألف عيّنة.

وتتجلّى أهميّة هذا العمل في القصة الحقيقية التي تُروى عن إخلاص فريق المعهد لقضيّة حفظ البذور. ففي أثناء حصار لينينغراد في الحرب العالمية الثانية، فضّل فريق العمل الموت جوعاً على أكل البذور المحفوظة في بنك المعهد، فمات بذلك 28 من أعضاء هذا الفريق.

واليوم، هناك أكثر من 1700 بنك بذور في العالم. وتلعب هذه البنوك دور الأرشيف الجيني، حيث يمكن خزن جينات النباتات بطريقة مُحكَمة، وبأقل قدر من الصيانة.

إن أفضل طريقة معروفة لحفظ البذور حفظاً طويل الأمد، هو تجميدها وخزنها في ظروف جافة وباردة في بنوك البذور. فبهذه الطريقة، لا حاجة إلى الغرس، وبذلك يتقلّص مقدار العمل المطلوب لحفظ الأنواع. فالبذور المتجمّدة تبقى ألوف السنين. وبنوك البذور هي نوع من الحفظ خارج الموطن الطبيعي للتنوّع البيولوجي، في مقابل الحفظ في الموطن الطبيعي، الذي يستلزم حماية نظام بيئي كامل، وحماية مواطن طبيعيّة بكل ما تحتويه من تنوّع بيولوجي في داخلها، وهذا يستدعي جهوداً جبّارة تتطلب بدورها نظماً تشريعيّة عديدة.

ومن المؤسسات المهمة التي تُعنى بحفظ البذور في البلدان النامية وبلدان الشرق الأوسط "المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة" أو (إيكاردا)، الذي يشمل بنكاً جينياً دولياً يحتفظ بالبذور نيابة عن البلدان الجافة في العالم، ومركزه في الشرق الأوسط هو في مدينة حلب السورية. وتم تنظيم المركز من خلال البنك الدولي وبتمويل من جهات مانحة دولية منها المجموعة الدولية الاستشارية للأبحاث الزراعية (CGIAR)، التي هي مؤسسة دولية غير ساعية للربح. ويحتفظ هذا البنك بعينات لنحو 131000 بذرة فردية للنباتات التي تشكِّل جزءاً من النظام الغذائي لمليار شخص يعيشون في وسط وغرب آسيا وشمال إفريقيا. وتشمل البذور أنواعاً مختلفة من الشعير والفاصوليا والحمص والعدس وغيرها.. مصنّفة ومخزّنة في عبوات بلاستيكية محكمة الغلق داخل أقبية مبردة عملاقة.

وكمثال على أهمية بنوك البذور، وإيكاردا بشكل خاص، نشير إلى أن من مهماتها تعويض الضرر بالتنوّع البيولوجي الذي تسببه الحروب والنزاعات المسلحة كما تبيَّن أخيراً من تدمير بعض بنوك البذور في الشرق الأوسط وآسيا.

ففي عام 2002م، خلال الحرب



عالِم الجينات الروسي نيكولاي فافيلوف ومعهد ن. إ. فافيلوف الروسي للموارد الجينيّة النباتية، سان بطرسبرغ



قبو سفالبارد العالمي للبذور

في أفغانستان، دُمّر البنك الوطني للبذور في كابول ونُهِب. وتقول مجلة نيتشر، 1 يونيو 2005م في تقرير لها إن المحاربين أخذوا الزجاجات البلاستيكية الفارغة، لاستعمالها في أغراضٍ أخرى، وتركوا البذور منثورة وراءهم. ولاحقاً، تمت الاستعانة بإيكاردا للتعويض عن ذلك.

وفي عام 2003م، دمَّرت الفصائل المتحاربة بنك البذور الوطني في العراق. لكن حصافة بعض العلماء قبل وقوع الحرب بقليل، أنقذت مخزون البذور في البلاد من خلال إرسال "صندوق أسود" عبر الحدود إلى مركز إيكاردا في حلب يحتوي على نسخ منها. وكان هذا الإجراء في الوقت المناسب، إذ تعرَّض بنك البذور العراقي في ضاحية أبو غريب ببغداد للنهب والتدمير أثناء الحرب. وقد ساعدت إيكاردا باستخدامها محتويات الصندوق في تجديد الزراعة العراقية.

وفي عامي 2015 و2016م، دُمّر مركز إيكاردا في حلب وتم نقله إلى بيروت مؤقتاً. فتم لاحقاً الاستعانة بقبو البذور الدولي في النروج للتعويض عن هذه الخسائر، قبل العودة إلى ترميم المركز في حلب.

قبو سفالبارد الدولي للبذور

قبو سفالبارد العالمي للبذور (Svalbard Global Seed Vault) هو هديّة النروج للعالم. فهذا القبو هو مؤسسة تخزين للبذور المجمَّعة من كل أنحاء الأرض، وهو يحتوي على تاريخ زراعي عمره 13,000 سنة. ويقع في أرخبيل سفالبارد بالقرب من مدينة لونغْيِربْيِن على مسافة نحو ألف كيلومتر من القطب الشمالي.

بدأ بناء القبو عام 2006م، واكتمل بعد عامين. وبلغت تكلفته 9 ملايين دولار أمريكي. وعديد من المنظمات غير الساعية للربح تدعم القبو. فمؤسسة "Crop Trust" (المؤسسة الائتمانيّة للمحاصيل)، التي هي مؤسسة دولية غير ساعية للربح، تشكّلت بشراكة بين منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (FAO) والمجموعة الدولية الاستشارية للأبحاث الزراعيّة (CGIAR)، توفّر التمويل لنقل البذور من البلاد النامية. ويدير العمل "المركز النروجي للموارد الوراثية" (نوردجين)، الذي يصنّف ويبوّب العيّنات في قاعدة معلومات عامة على الشبكة الدولية.

وقبو سفالبارد هو عبارة عن نفق في جبل. يبلغ طوله 120 متراً، له مدخل واحد يقود إلى ثلاثة أقبية منفصلة. ويحتوي المدخل على معدّات السلامة (معاطف وخوذات للحماية من الثلج المتساقط من السقف) ونفق طويل يفضي إلى الغرفة الرئيسة. ويكوّن النفق والغرفة الرئيسة قسم الجَمَد السرمدي

حفظ البذور في المملكة

في عام 2005م، وضعت الهيئة السعوديّة لحماية الحياة الفطرية وإنمائها (تغيَّر اسمها إلى المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية) "الاستراتيجية الوطنية للمحافظة على التنوُّع الأحيائي في المملكة العربيّة السعودية"، ومما جاء فيها:

"من المتفق عليه أن ثمَّة حاجة ماسة للمحافظة على سلامة الموارد الوراثية النباتية والحيوانية، ومن بين التقنيات والإمكانات المستخدمة للمحافظة خارج الموقع: إنشاء بنوك الوحدات الوراثية التي تشمل، بنوك البذور، والبنوك الحقلية الحية (الحدائق النباتية)، وبنوك الأجنة وبنوك الحيوانات المنوية، وبنوك البويضات... فمن المهم أن يكون بنك الموروثات في بلد المنشأ، حيث يمكن حفظ الموارد الوراثية المحلية".

فالمملكة موطنٌ لكثير من المحاصيل المهمّة والمعروفة شعبيّاً، مثل السرغوم والشعير والسمسم والبُن وكثير غيرها. ولحفظ مورّثات التنوّع الأحيائي النباتي في المملكة، افتتح بنك الأصول الوراثية النباتية بالمركز الوطني لبحوث الزراعة والثروة الحيوانية في الرياض عام 2012م، والذي يهدف إلى جمع وحفظ وصيانة المصادر الوراثية النباتية في المملكة العربية السعودية خاصة المهددة منها بالانقراض، وخزن مورثاتها الجينيّة للأجيال المقبلة، من أجل تطوير تنويعات جديدة من الأنواع الموجودة.

ويحتوي البنك أيضاً على معشبة وطنية تضم 20000 عينة نباتية تُعدُّ من أكبر المعشبات في العالم العربي.

وإنشاء بنوك المورثات الجينيّة هذه خطوة مهمّة في سبيل تحقيق الأمن الغذائي الوطني والاكتفاء الذاتي، خاصة في ظل ظروف بيئية قد تؤثر على المحاصيل مستقبلاً. ومن الجدير ذكره أن كثيراً من بذور المحاصيل الغذائية المهمة المخزونة في هذه البنوك، لها نسخٌ مماثلة في قبو سفالبارد العالمي للبذور.

إن قبو سفالبارد العالمي للبذور وبنوك البذور الأخرى في أنحاء العالم، توفر الوسائل لحفظ أحد أنفس الموارد الطبيعيّة التي تعرفها البشريّة. فحفظ تنوّع المحاصيل البيولوجي ضرورة وحاجة ماسّة لبقاء جنسنا البشري على هذا الكوكب، في ظروف التغيّر المناخي وتكاثر التعداد السكّاني في العالم. وفي عالمنا المعاصر ثمَّة مخاطر وجودية كثيرة على كلٍّ من الأنواع على حدة، ولمجمل النظم البيئيّة الشاملة.



بنك البذور في الجناح البريطاني في معرض إكسبو 2010 في شنغهاي الصينية

(الدائم التجمّد)، حيث الحرارة الطبيعية تبلغ نحو 5 درجات مئوية تحت الصفر. وتتسع الأقبية الثلاثة في الغرفة الرئيسة لخزن كل بذور المحاصيل من كل بنوك البذور في العالم. وحتى الآن، استُخدِم واحد فقط من هذه الأقبية. وفي داخله، توجد رفوف عليها أقفاص، وداخل الأقفاص صناديق رقائق ألومنيوم مليئة بالبذور. وأما سعة القبو الإجمالية فتبلغ 4.5 مليون عيّنة بذور، وفي كل عيّنة نحو 500 بذرة، أي





البنك الحافظ للتنوّع الحيوي

ما مجموعه حوالي 2.5 مليار بذرة. وتظل الحرارة في هذا المكان ثابتة بنظام التبريد عند 18 درجة مئوية تحت الصفر، وهي المعيار الدولي لحفظ البذور لأمد طويل. وحتى لو انقطع التيار الكهربائي في المنظومة، تبقى الحرارة باردة بفضل الجَمَد السرمدي. ويمكن للبذور أن تظل سليمة 30 عاماً من دون تيار كهربائي للتبريد الاصطناعي، وقروناً عديدة بنظام التبريد. وفي ما يتعلّق بالسلامة، فثمَّة عدسات وحسّاسات في أنحاء الأقبية وتفصل عدة أبواب موصدة الأقسام بعضها عن بعض في القبو. والموقع البعيد الذي تقع فيه المؤسّسة هو عنصر سلامة أيضاً: فعلى الجزيرة من الدببة القطبيّة أكثر مما عليها من البشر لحراسة المكان من الدخيل غير المرغوب فيه.

إن غرض قبو سفالبارد العالمي للبذور هو حفظ التنوّع الجيني للمحاصيل. وهو لا يحتوي فقط على النسخ المعروفة جيداً للمحاصيل المدجّنة، بل كذلك أنسبائها البرية. مثال على هذا: هناك 70,000 عيّنة مختلفة من الشعير، و150,000 من الأرزّ، و140,000 من القمح، مخزونة في القبو. والأقفاص تأتي من كل أنحاء العالم. فالعُلَب الآتية من روسيا مكدّسة بجانب العلب الأوكرانية، وتلك الآتية من كورية الشماليّة لا تبعد عن الآتية من الولايات المتّحدة الأمريكية. فليس في القبو مكان للنزاع الدولي.

إن ما يجعل قبو سفالبارد العالمي للبذور فريداً في نوعه أنه يحتوي على كل ما تحتويه بنوك البذور الأخرى في العالم في نسخة ثانية. ولا تدّعي إدارة القبو امتلاكها للبذور التي منحتها إياها حكومات ومؤسسات. بل إن الهيئات المانحة للبذور هي التي تملكها، ويمكنها استرداد ودائعها في أي وقت تراه. ولم يحصل هذا حتى الآن سوى مرّة واحدة. فبعد تعذّر الوصول إلى بنك البذور في حلب، على ما أسلفنا، استردّ المركز الرئيس الدولي للأبحاث الزراعية في المناطق الجافة بعض العيّنات من العدس والقمح والحِمَّص والبذور الأخرى من القبو عام 2015م، من أجل استعادة أعمالهم في مراكزهم الجديدة في المغرب ولبنان. ولو كانت هذه البذور غير محفوظة في نسخة ثانية في القبو لأمكن أن تضيع إلى الأبد.

إن قبو سفالبارد العالمي للبذور وبنوك البذور الأخرى في أنحاء العالم، توفر الوسائل لحفظ أحد أنفس الموارد الطبيعية التي تعرفها البشرية. فحفظ تنوُّع المحاصيل البيولوجي ضرورة وحاجة ماسّة لبقاء جنسنا البشري على هذا الكوكب، في ظروف التغيّر المناخي وتكاثر التعداد السكّاني في العالم. وفي عالمنا المعاصر ثمَّة مخاطر وجودية كثيرة على كلٍ من الأنواع على حدة، ولمجمل النظم البيئية الشاملة.



روبوتات صغيرة تطلق الثورة الزراعية الخضراء

تُعدُّ إزالة الأعشاب الضارة التي تنمو بين المزروعات والمحاصيل من أكبر التحديات التي واجهت وتواجه المزارعين منذ فجر عصر الزراعة. واعتبرت إزالتها عملاً مضنياً على مر العصور، إذ كانت تُقتلع بواسطة الأيدي حتى وقت قريب. أما في الوقت الحالي فتتم مكافحتها بالمبيدات الكيميائية التي تؤثر بشكل سلبي جداً على البيئة والصحة. لكن الذكاء الاصطناعي يعدنا بثورة زراعية خضراء تجعل صورة المستقبل أكثر إشراقاً.

حسن الخاطر

الحشائش الضارة هي نباتات غير مرغوب فيها، تستهلك كثيراً من موارد الأرض والمياه، وتُسهم في سد قنوات الري، وهذا بعض ما يؤدي إلى انخفاض جودة المحاصيل الزراعية وكمياتها. ومن الطرق الشائعة في الوقت الحالي في مكافحة الأعشاب الضارة استخدام المبيدات التي أثبتت فعالية عالية في إزالتها والقضاء عليها. لكن من جانب آخر، فإن هذه المبيدات الكيميائية رغم فعاليتها خطرة جداً ولها انعكاسات سلبية على البيئة وصحة الإنسان، خاصة المزارعين أنفسهم نظراً لعدم توفر معدات السلامة مثل أجهزة التنفس والملابس الواقية بأسعار مناسبة في متناول الجميع.

ويُعدُّ الغليفوسات (Glyphosate) من أشهر مبيدات الأعشاب ويستخدم على نطاق واسع. وهناك دراسات علمية عديدة أظهرت تسببه بأمراض السرطان ومشكلات صحية خطيرة أخرى. فعديد من الأوراق البحثية المنشورة حديثاً تُثبت وجود علاقة بين السرطان والغليفوسات والأضرار التي يسببها في الجهاز التناسلي، إضافة إلى اضطراب الغدد الصماء وتلف الأنسجة، والمشكلات الإنجابية مثل التشوهات الخلقية للأطفال.

وعلى هذا يوصي العلماء ومقدِّمو الرعاية الصحية بالتوقف عن استخدامه وحظره. وقد تم تصنيفه في عام 2015م، بأنه مادة مسرطنة بشرية محتملة من قبل الوكالة الدولية لأبحاث السرطان (IARC) التابعة لمنظمة الصحة العالمية. وقد بدأت عديد من الدول منها ألمانيا بإزالة الغليفوسات بشكل تدريجي وسوف تحظره بشكل كامل في نهاية عام 2023م، من أجل حماية البيئة والوصول إلى تحقيق أهداف البرنامج المناخي الألماني 2030م، ضمن رؤية أهداف الاتحاد الأوروبي للمناخ والطاقة 2030م.

لذلك فإن استخدام الروبوتات الصغيرة الذكية التي تستطيع التمييز بين الأعشاب الضارة والمحاصيل الزراعية سيكون حلاً فعالاً في تحسين الموارد والمحافظة على البيئة وصحة الإنسان وإنتاج محاصيل زراعية صحية وبجودة عالية. وذلك عن طريق إجراء استئصال ميكانيكي لها، أو التعامل معها بالكهرباء أو بأشعة الليزر، أو استخدام الرش الدقيق من المبيدات الكيميائية على الأعشاب الضارة فقط دون المحاصيل الزراعية، أي التقليل بشكل كبير جداً من المواد الكيميائية التي يرشها المزارعون في الحقل بكامله، إذ إنه يقلل من كمية المبيدات المستخدمة بمقدار عشرين مرَّة بحسب تقديرات الشركة السويسرية الرائدة في مجال الروبوتات لإزالة الأعشاب الضارة (Ecorobotix). وهكذا سوف تقل الحاجة إلى استخدام المبيدات

الكيميائية مما يعني تأثيراً بيئياً سلبياً أقل وانخفاضاً كبيراً في إنفاق المزارعين السنوي على مبيدات الأعشاب.

وتتميز هذه الروبوتات بكونها مقاومة للماء وصديقة للبيئة، لأنها تستمد طاقتها التشغيلية من الخلايا الشمسية. وهذه الخاصية تجعلها مستقلة تماماً من حيث الطاقة، كما أن خفة وزنها تساعدها على تقليل انضغاط التربة مقارنة بالآلات الثقيلة وبالتالي الحصول على تربة بجودة عالية.

كيف تعمل؟

يتم تمييز الأعشاب الضارة وفصلها عن المحاصيل الزراعية بواسطة نظامٍ يجمع بين عدَّة تقنياتٍ حديثة. يعتمد نظام هذه الروبوتات بشكل أساسي على نظام رؤية اصطناعية بواسطة كاميرا أو مجموعة من الكاميرات المتعدِّدة التي تكون بمثابة العين للروبوت. إضافة إلى وجود أجهزة استشعار وتوجيه تعمل بالموجات فوق الصوتية أو الليزر، وجهاز تحديد المواقع (GPS)، وخريطة دقيقة مبرمجة مسبقاً. وتتم تقنية المطابقة بين هذه التقنيات جميعها من خلال مجموعة من الصور الموجودة في الروبوت أو من خلال الأجهزة الذكية المرتبطة كالهواتف وغيرها، وذلك بواسطة تطبيقات وخوارزميات مخصصة لذلك، أو باستخدام الحوسبة السحابية مباشرة.

ويكون هذا النظام مبرمجاً بشكل يتيح للروبوتات الاستفادة مما يعرف بتعلم الآلة (Machine Learning) ويسمح لها باتخاذ قرارات بناءً على البيانات المدخلة وما اكتسبته من جديد في الأوضاع العينية الخاصة.

الخوارزميات

الخوارزميات هي إجراءات رياضية ومنطقية وسلسلة من التعليمات لحل مشكلة معينة يستخدمها الكمبيوتر من أجل اتخاذ قراراته، ولتبسيط الصورة بشكل أكثر، سنقوم بعمل خوارزمية بسيطة لحل مشكلة الأعشاب الضارة من خلال الخطوات التالية:

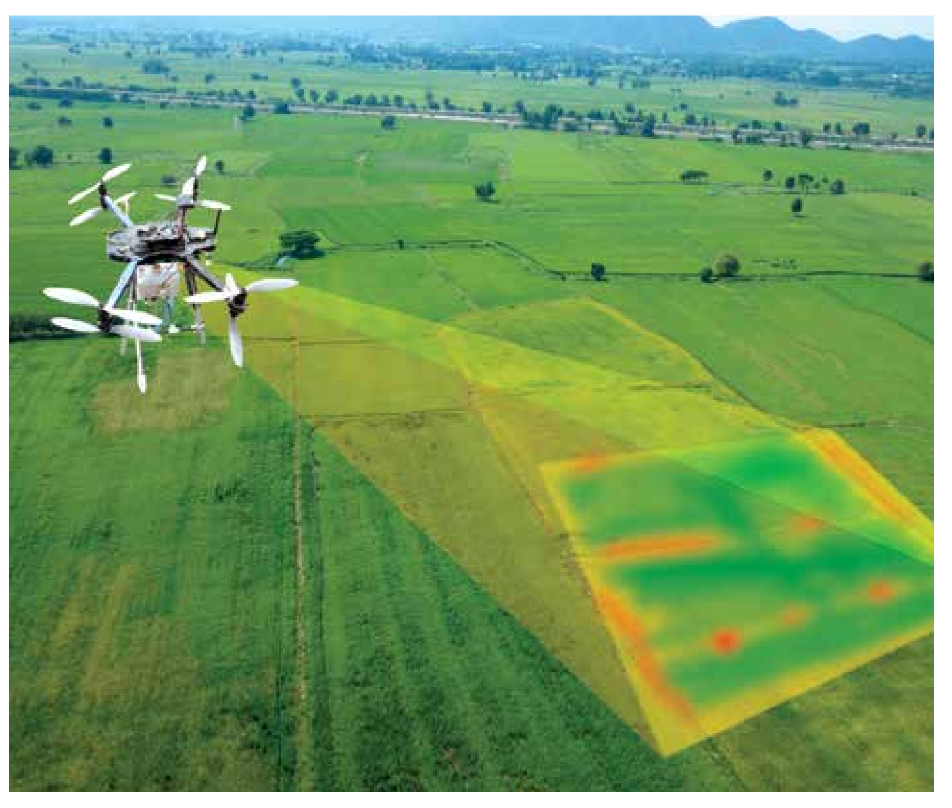
1 - ابحث عن العشبة.

2 - هل العشبة تتشابه مع الصور المدخلة (نعم/ لا)؟ إذا كانت الإجابة (لا) اذهب إلى الخطوة الأولى، وإلا اذهب إلى الخطوة الثالثة.

3 - قم بإطلاق شعاع ليزر على العشبة ثم الرجوع إلى الخطوة الأولى.

إزالة الأعشاب الضارة

بعد أن يتم تحديد الأعشاب الضارة، تتم معالجتها باستراتيجيات عديدة طبقاً لآلية عمل الروبوت والشركة المصنِّعة له. فالروبوتات التي تستخدم مبيدات الأعشاب تحتوي على خزان وأذرع ميكانيكية بداخلها تقوم بإخراج جرعة صغيرة من مبيدات



روبوت مجهَّز بتقنيات حديثة ورؤية اصطناعية يقوم بالتمييز بين الأعشاب الضارة وفصلها عن المحاصيل الزراعية

الأعشاب مباشرة إلى العشبة الضارة وحدها، أو عن طريق استخدام ذراع آلي يشبه المحراث لإزالة الأعشاب الضارة. وهناك بعض الروبوتات تعتمد على الكهرباء لقتل الأعشاب الضارة بتحويل تيار كهربائي إلى حرارة تغليها من الداخل إلى الخارج حيث تقتلها. وبعدها يتحلل النبات بشكل طبيعي ويعيد مغذياته إلى التربة.

لقد تم الإعلان عن هذه التقنية من قِبل "RootWave" و"Small Robot" وهما شركتان بريطانيتان تعملان في مجال الزراعة المستدامة. ومن المقرَّر أن تبدأ التجارب المبكرة على هذه التقنية في أواخر العام الجاري 2020م.

وتتميز هذه التقنية بأنها لا تستخدم المواد الكيميائية إطلاقاً مما سينعكس إيجابياً على جودة المحاصيل الزراعية وكثرتها، وبالتالي الحفاظ على التنوُّع البيولوجي والبيئة الطبيعية. وقد طورت شركة "Small Robot" بالفعل سلسلة من الروبوتات الزراعية الصغيرة تسمى (Dick) ،(Tom) ،(Harry)، لكن المرحلة التالية ستكون بالشراكة مع "RootWave"، لتطوير روبوتات تستخدم الكهرباء والذكاء الاصطناعي لتدمير الأعشاب الضارة. ومن المتوقع أن تكون هذه الروبوتات متاحة تجارياً في أواخر العام المقبل 2021م.

ولاستخدام هذه التقنيات ميزة أخرى، وهي أن بعض الأعشاب الضارة مقاومة للمبيدات الكيميائية وبذلك ستكون إزالتها بالكهرباء أحد الحلول المناسبة لذلك. وعوضاً عن الكهرباء فمن الممكن استخدام أشعة الليزر عالية الطاقة وقصيرة النبضات.

الإمكانات المستقبلية

ستنتشر أسراب الروبوتات الصغيرة في المستقبل القريب. ولن تقتصر وظيفتها على إزالة الأعشاب الضارة فقط، فقد تتوسع في وظائفها لتدير الحقول الزراعية بشكل كامل من الألف إلى الياء، برسم خرائط الأرض وزراعة البذور ورعاية المحصول وإزالة الأعشاب الضارة ثم الحصاد. وفي النهاية، سوف يتخلى مزارعو المستقبل عن أعمالهم وتكون مزارع المستقبل خالية من البشر؛ وستقتصر أعمالهم على إدارة هذه الروبوتات وبرمجتها. فالروبوتات الصغيرة المستقبلية التي تقوم بالزراعة وقتل الأعشاب الضارة ثم الحصاد، ستطلق الثورة الزراعية الخضراء للأجيال المقبلة.



شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine

منتج

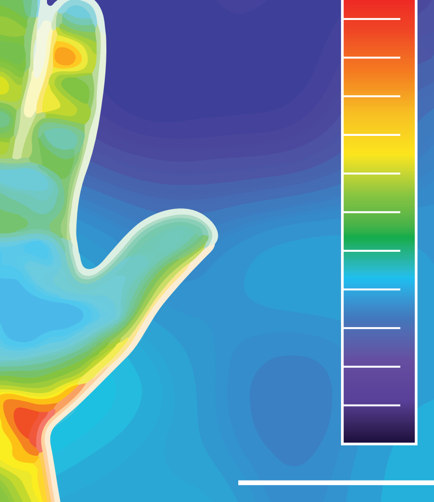
ثيرموستات بشري

THERMAL SCAN
REC
AUTO
LOCAL : 10 :10 : 35
MENU

لم تتغير كثيراً الطريقة التي تُكيِّف بها حرارة مبانينا منذ أن اخترع وارين جونسون منظم الحرارة ثنائي المعدن في عام 1883م. ورغم إدخال عديد من التحسينات المهمة على تقنية "الترموستات" بعد ذلك، إلا أن الطريقة الرئيسة ظلت من خلال التعديلات اليدوية. وبقي استهلاك الطاقة على التدفئة والتبريد داخل البيوت وأماكن العمل هو الأعلى بين كل مجالات استهلاكها. لكن التطورات التكنولوجية الحديثة أتاحت المجال لتطوير طرقٍ ذكيةٍ جديدة للتحكم في درجة الحرارة.

فقد طوَّر باحثون من جامعة ميشيغان نظاماً جديداً للضبط الحراري ترموستات يعتمد على الجسم البشري (Human Embodied Autonomous Thermostat - HEAT)، وهو أفضل في استخدام الطاقة ومريح أكثر للمستخدمين. ونشرت مجلة بيلدينغ أند إنفايرونمنت في يوليو 2020م، تفاصيل دراسة كيفية عمل هذا النظام.

يستخدم نظام "HEAT" كاميرات حرارية مع مستشعرات العمق لتتبع وجوه الأشخاص الموجودين في المكان وتحديد درجة حرارتهم. وهو يعتمد على واقع أننا عندما نشعر بارتفاع الحرارة، فإن الأوعية الدموية في وجوهنا تتمدَّد لتخرج منها الحرارة الزائدة، وعندما نشعر بالبرد تتقلَّص.



Monty Rakusengetty Images

ويمكن التقاط هذا التبدل بسهولة بواسطة مصفوفة مستشعر "HEAT"، التي تنقل هذه البيانات إلى نموذج تنبؤي يحتفظ بمعلومات عن التفضيلات الحرارية للناس الذين يرتادون المكان. ثم يقارن مجموعتي البيانات ويضبط درجة حرارة الغرفة عند المستوى المرغوب فيه. ويستطيع النموذج الأولي للمنتج أن يحافظ على درجة حرارة الغرفة بشكل مريح لعشرة أشخاص.

في البداية، يتطلب الأمر إدخال درجات الحرارة المفضَّلة لمستخدمي هذا النظام بواسطة هاتف ذكي. ويمنح النظام المستخدمين ثلاثة خيارات: "ساخن جداً" أو "بارد جداً" أو "مريح". وبعد وقت قصير، يتعرف النظام إلى درجة الحرارة المفضَّلة للناس، ويبدأ العمل وحده من دون تدخل.

ولا يحتاج هذا النظام إلى كاميرات منفصلة لكل مستخدم، ولا يتطلب من المستخدمين ارتداء أجهزة من أي نوع، مما يجعله أكفأ وأجدى وأريح. كما أن هذه الكاميرات لا تنتهك خصوصية الأفراد إذ هي لا تحدِّد هويتهم، بل تجمع البيانات الحرارية فقط، ويتم حذف كل اللقطات بعد معالجتها.

ومع بعض التعديلات، يمكن أيضاً استخدام نموذج "HEAT" لتحديد درجة حرارة الوجه تحت الأقنعة، والأشكال الأخرى من معدات الحماية الشخصية. وهذا من شأنه أن يجعل بيئات المستشفيات أسلم للعاملين في مجال الرعاية الصحية.

يتيح هذا النظام التعرف على الوقت الذي يكون فيه المبنى مشغولاً أو غير مشغول، ويستهلك الطاقة وفقاً لذلك. إذ لا فائدة من تدفئة أو تبريد المباني الفارغة أو الأقسام غير المشغولة فيها. وهي طريقة لتوفير الطاقة وتقليل الإضرار بالبيئة.




إنقاذ الكوكب
بأيام خالية من الفحم

هل يمكننا أن نتخيَّل كوكبنا من دون الطاقة الأحفورية؟ يبدو أن ذلك ليس وارداً في الوقت الحالي، ولا على المدى المنظور، إذا علمنا أن معظم إنتاج الطاقة في العالم في عام 2018م كان بالاعتماد على مشتقات الوقود الأحفوري. وفيما تبذل شركات الزيت والدول المنتجة له جهوداً علمية جبارة لتطوير احتراقه وترشيد استهلاكه بغية الإقلال من أثره على البيئة، يبقى السؤال: ماذا عن الفحم؟

في العام الجاري 2020م، برزت تجربة فريدة في المملكة المتحدة، حيث توقف حرق الفحم تماماً لمدة شهرين بسبب الظروف التي فرضتها جائحة الكورونا، بما في ذلك توقف الصناعة وأداء الأعمال عن بُعد، ما أدى في نهاية المطاف إلى انخفاض الطلب على الكهرباء بمتوسط يتراوح بين 15 و20%. كما أسهمت الطبيعة بذلك أيضاً، إذ شهد الربيع البريطاني لهذا العام طقساً مشمساً ورياحاً قوية أسهمت في زيادة تشغيل محطات توليد الطاقة المتجدّدة المعتمدة على الشمس والرياح! ولكن الأمر لم يكن مجرد حدث عابر بفعل ظروف خاصة، بل يؤشر إلى ما هو أبعد من ذلك.

جاسم البناي

يُعدُّ الفحم من أقدم مصادر الطاقة في العالم، وعلى الرغم من الاعتماد عليه منذ زمن طويل إلا أنه ما زال يمثل مصدراً مهماً وأساسياً لإنتاج الطاقة في دول صناعية كبيرة. وعلى الرغم من المحاولات المستمرة للتخلي عن استخدامه كما فعلت المملكة المتحدة في نهاية القرن الماضي بإغلاق مناجم الفحم غير الاقتصادية، ما زال الفحم يُستخدم بكثرة في دول العالم الصناعية حيث يُمثل مصدراً مهماً للطاقة إلى جانب المصادر الأخرى.

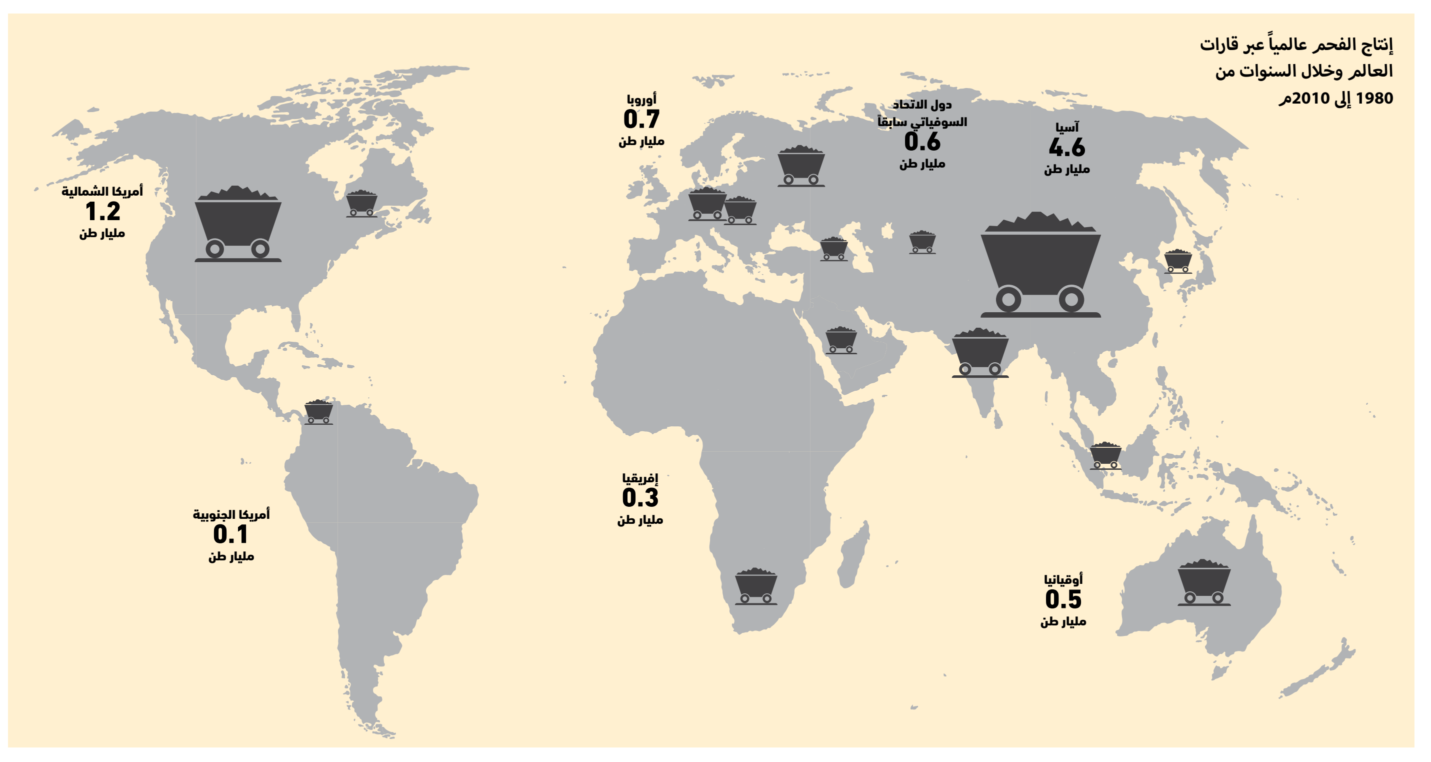
تجلَّت أهمية الفحم كمصدر للطاقة بعد الثورة الصناعية، عندما تمكَّن الإنسان من استخدامه في صهر الحديد. واستمر الفحم مصدراً رئيساً للطاقة حتى زمن الحرب العالمية الثانية، إذ بدأ استخدام الفحم يقل مقارنةً بأنواع أخرى من الوقود الأحفوري مثل النفط والغاز الطبيعي. وتختلف نوعية الفحم حسب نسبة تركُّز الكربون فيه، والتي تُعدُّ من المحدِّدات الرئيسة لجودة الفحم كمصدر للطاقة، بالإضافة بالطبع إلى الشوائب الموجودة فيه ونسبة الرطوبة.

يتوزَّع الفحم جغرافياً في أغلب مناطق العالم، فيما يتركز إنتاجه بشكل خاص في الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية وأستراليا والصين والهند بدرجات متفاوتة. كما توجد بعض تكويناته في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا.

منذ انطلاقة الثورة الصناعية في أوروبا خلال القرن الثامن عشر وإلى يومنا هذا، بقي الاعتماد على الفحم أساسياً في تلبية احتياجات العالم من الطاقة، من تسيير القطارات والآلات البخارية إلى توليد الكهرباء وتحويلها إلى طاقة ميكانيكية تُستخدم في قطاعي النقل والصناعة ونشاطات الحياة المختلفة. وفي الربع الأول من القرن العشرين، بدأ العلماء يلاحظون أن الحرق المستمر لمصادر الطاقة التقليدية بوجه عام والفحم بوجه خاص، يتسبَّب في حدوث بعض المشكلات البيئية كالاحتباس

يتوزَّع الفحم جغرافياً في أغلب مناطق العالم، فيما يتركَّز إنتاجه بشكل خاص في الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية وأستراليا والصين والهند بدرجات متفاوتة. كما توجد بعض تكويناته في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا.





الحراري. وسعى العلماء في مجالات البيئة والمناخ إلى التأكد من صحة هذا التغير ودراسة أسبابه. وبعد كثير من المحاولات المرهقة لدراسة صحة قضية الاحتباس الحراري من عدمها وبعد جهود العلماء المتتالية، وُجِّهت أصابع الاتهام في مسألة الاحتباس الحراري إلى مجموعة من الغازات التي تُسمَّى اليوم بغازات الدفيئة، والتي تُنتَج بسبب حرق الفحم والوقود، ويُعد ثاني أكسيد الكربون أبرز هذه الغازات. وكمحاولة جدية للحد من تأثير الانبعاثات الناتجة عن حرق الفحم والمشتقات الأحفورية الأخرى على البيئة، إضافة إلى لجم الاستهلاك المفرط للوقود الأحفوري غير المتجدِّد، توجهت الدول نحو مصادر أخرى للطاقة تُعرف باسم الطاقة المتجدِّدة.

من الفحم إلى الطاقة المتجدِّدة

فبسبب انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون المتزايدة في الهواء نتيجة لحرق الفحم، خاصة، وغيره من المصادر لإنتاج الطاقة، سعى العلماء والحكومات في استخراج الطاقة من مصادر متجدِّدة لا تضر بالمناخ. وتتمثل مصادر الطاقة المتجدِّدة كما بات معلوماً، في الطاقة الشمسية، وطاقة الرياح، والطاقة المائية، والطاقة الحيوية، والطاقة الهيدروجينية، والطاقة الأرضية أو الجوفية، وتتم الاستفادة من مصادر هذه الطاقة الطبيعية بتحويلها إلى طاقة حركية أو كهربائية. وما السدود الضخمة على الأنهار في أمريكا أو الصين، ومزارع المراوح الهوائية الضخمة في هولندا إلا بعض الأمثلة عن طرق الاستفادة من مصادر الطاقة هذه.

إن التحوُّل من الاعتماد على مصادر الطاقة التقليدية إلى مصادر الطاقة المتجدِّدة حيثما يكون الأمر ممكناً، له أهمية كبيرة، حتى على الصُعد غير البيئية بشكل مباشر. فالاعتماد على طاقة متجدِّدة لا تنضب يعني توفير كميات كبيرة من الوقود الأحفوري والحفاظ على مخزونه الاستراتيجي لاستخدامه في مشروعات صناعية أخرى لم يعد العالم قادراً على الاستغناء عن منتجاتها. بالإضافة إلى هذا كله، يدعم الموقع الجغرافي لعديد من دول العالم إمكانية الاستفادة من الطاقة الشمسية بشكل عالٍ، خصوصاً تلك التي تتمتع بطول ساعات النهار وجودة الإشعاع الشمسي ووفرته. كما تسهم الطاقة المتجدِّدة بدورها في تنويع الاقتصاد الوطني، وتحفّز الاستثمارات والصناعات غير النفطية،

إن التحوُّل من الاعتماد على مصادر الطاقة التقليدية إلى مصادر الطاقة المتجدِّدة حيثما يكون الأمر ممكناً، له أهمية كبيرة، حتى على الصعد غير البيئية بشكل مباشر.

فضلاً عن تقليل سعر تكلفة إنتاج الطاقة، وإيجاد مزيد من الفرص الوظيفية. وكل هذه الأمور تتماشى مع متطلبات التنمية المستدامة مع عدم الإضرار بالبيئة الطبيعية. يدعم هذا التوجه التحوُّل من نمط المدن التقليدية إلى ما يعرف بالمدن الذكية أو المدن الصديقة للبيئة، التي تضع على رأس أولوياتها إنتاج الطاقة من المصادر المتجدِّدة.

تجربة المملكة المتحدة ومحاولة التخلص من الفحم

تمتلك المملكة المتحدة تجربة فريدة في السعي إلى التخلص من الفحم. فحتى قبل 10 سنوات فقط، كانت محطات الطاقة الكهربائية التي تعمل بالفحم تنتج ما تصل نسبته إلى 40% من إجمالي إنتاج الطاقة في البلاد. وخلال فترات عديدة من عام 2015م، أسهم الفحم بأكثر من 50% من الطاقة المطلوبة. وبقيت استخدامات الفحم في المملكة المتحدة تشكّل 25% من إجمالي مصادر الطاقة حتى عام 2016م، وفقاً للسجلات التي تحتفظ بها "Drax Electric Insights". وفي هذا الصدد، يقول دوج بار كبير العلماء في منظمة "غرينبيس المملكة المتحدة" لصحيفة "إندبندنت":

"إن الانخفاض السريع في استهلاك الفحم هو سبب حقيقي

توربينات تُستخدم لاستخراج الطاقة من تيار المد والجزر





توربينات الطاقة الكهرومائية

للاحتفال. كان هذا الإنجاز غير قابل للتصور ذات مرَّة، ولكن المملكة المتحدة اغتنمت الفرصة لتكون رائدة عالمية في التخلص التدريجي من الفحم. هذا درس يجب أن نأخذه معنا ونحن نسعى إلى بناء اقتصاد جديد عند المضي قدماً بعد الوباء. هناك كثير من القطاعات الأخرى، حيث يتيح لنا الانتعاش الأخضر الفرصة لإظهار قيادة مماثلة أثناء خلق فرص العمل ومعالجة حالة القضايا المناخية".

يوم، أسبوعان، شهران من دون فحم على الإطلاق

تم تسجيل أول يوم خالٍ من الفحم تماماً في عام 2017م. وفي مايو 2019م، لم تسهم طاقة الفحم بأي شيء في إجمالي الطاقة المستخدمة لمدة أسبوعين. وفي تلك السنة، لم يسهم الفحم سوى بنسبة 2.1% فقط من إجمالي استخدام الطاقة في البلاد. وفي الأشهر الأخيرة، وفرت الطاقة الشمسية ما يصل إلى 10% من طاقة المملكة المتحدة، كما وفرت طاقة الرياح أكثر من 48% في ذروتها في أوائل أبريل. وهكذا أمكن للعام الحالي أن يشهد رقماً قياسياً جديداً في طول الفترة التي استغنت فيها البلاد عن الفحم لمدة شهرين متواصلين في مايو ويونيو. ورغم العودة لاحقاً إلى استخدام الفحم، فإن تشغيله الحالي، وعلى ضوء التجارب السابقة، يشير إلى أن المملكة المتحدة لن تواجه مشكلة كبيرة في التخلي عنه كمصدر لتوليد الطاقة تماماً بحلول الموعد النهائي المقترح في عام 2024م، وهو تاريخ إغلاق كل محطات توليد الكهرباء العاملة على الفحم. مع الإشارة إلى أن المملكة المتحدة لا تزال تعتمد بشكل كبير على الغاز الطبيعي، كما أن أنواع الوقود الأحفوري الأخرى غير الفحم، هي التي أسهمت باستمرار في حوالي ثلث الطاقة المستخدمة خلال الفترة الخالية من الفحم. ويقول جيس رالستون المحلل في وحدة الطاقة



مع إغلاق محطة "دراكس" العاملة على الفحم في يوركشاير في مارس 2021م، لن يبقى في المملكة المتحدة سوى ثلاث محطات كهرباء تعمل بالفحم

والاستخبارات المناخية لصحيفة "إندبندنت":
"إن عملية قياسية أخرى خالية من الفحم في بريطانيا تؤكد حقيقة أن هذا الوقود هو ببساطة غير مطلوب في نظام الطاقة الحديث. وفي الوقت نفسه، تظهر الطفرة في توليد الطاقة المتجدِّدة والخطط الواسعة لتنمية إمدادات البلاد بمصادر طاقة أكثر نظافة أنه لن يكون هناك سوى اتجاه واحد بعد الآن. فقد أظهرت الاختبارات الأخيرة لنظام الطاقة الذي يتسم بمرونة متزايدة أثناء العطلات المصرفية المشمسة، وفي حالة الإغلاق والتي تم التعامل معها جميعاً من دون مشكلة، أن النظام جاهز للتحرك بشكل أسرع مما يعتقد كثيرون. والسؤال الآن هو ما إذا كان واضعو السياسات سيواكبون ذلك لتشجيع مزيد من الاستثمار في مصادر الطاقة المتجدِّدة". وأضاف: "إن التركيز على التكنولوجيا الجديدة مثل البطاريات، في الوقت الذي تتعافى فيه البلاد من الصدمة الاقتصادية الحالية، لن يؤدي إلا إلى تسريع هذا الاتجاه على المدى الطويل. وسيشاهدنا العالم نتجاوز نهاية الفحم، ونبدأ في النظر إلى نهاية الاعتماد على مصادر الطاقة الأخرى".

التخلص نهائياً من الفحم

مع إغلاق محطة "دراكس" العاملة على الفحم في يوركشاير في مارس 2021م، لن يبقى في المملكة المتحدة سوى ثلاث محطات كهرباء تعمل بالفحم. وثمَّة إشارات إلى أنه يمكن إغلاق المحطات الأخرى قبل الموعد النهائي المرتقب في عام 2024م. وفي تقييم هذا التطور، يقول أندرو كوبر، المتحدث باسم "الطاقة في المجموعة الخضراء" لصحيفة "إندبندنت": "من الواضح أن هذه أخبار جيدة للمملكة المتحدة، لكنها ليست سوى خطوة واحدة في الاتجاه الصحيح. إن التخلص من الفحم هو بالتأكيد جزء من حل معالجة قضية تغير المناخ، ولكن لا يزال هناك طريق طويل يتعين قطعه. ولم نر خطة واضحة من الحكومة حول الكيفية التي تنوي بها المضي قدماً. نحن بحاجة أيضاً إلى رؤية مزيد من الإجراءات التي يجب اتخاذها لتعزيز الطاقة المتجدِّدة، من خلال زيادة الاستثمار في الطاقة الشمسية وطاقة الرياح".

في وقت سابق من العام الجاري، وجهت "الشبكة الوطنية" خطاباً إلى الحكومة تدعوها إلى تنفيذ التعافي الأخضر من أزمة الفيروس التاجي والوفاء بأهداف صافي الانبعاثات الملزمة بها قانوناً". ولا يبدو أن هذا الطلب بعيد المنال. بعد نجاح تجربة الامتناع عن استخدام الفحم لشهرين.

أدى التوسع في الاعتماد على مصادر الطاقة المتجدِّدة إلى مضي المملكة المتحدة في تغيير النظام الكهربائي. وللاستفادة من هذا التوسُّع، تسعى البلاد إلى الاستمرار في تخفيض كمية انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون والاعتماد على مصادر الطاقة المتجدِّدة بشكل أكبر. ومن هذا المنطلق، أصبح على القطاع الصناعي العمل على تطوير طرق تخزين الطاقة وترشيد استهلاكها وإدارتها. وبهذا، فإن النظام يضمن استمرار تلبية الطلب في جميع الأوقات. وتتطلّع المملكة المتحدة إلى أن تكون الأولى من بين الدول الصناعية الكبرى التي تتخلص من الفحم نهائياً وبشكل كامل. وهي ترسل بذلك رسالة مهمة إلى العالم، وتقدِّم دليلاً على إمكانية كبح الانبعاثات الكربونية بالكامل مع استمرار القدرة على المنافسة الاقتصادية دولياً.

فهل ستكون التجربة البريطانية مثالاً يحتذى به لإنقاذ الكوكب من الاختناق؟ قد تمثل هذه التجربة حجر الأساس لإنقاذ الكوكب بمزيد من الأيام الخالية من الكربون!

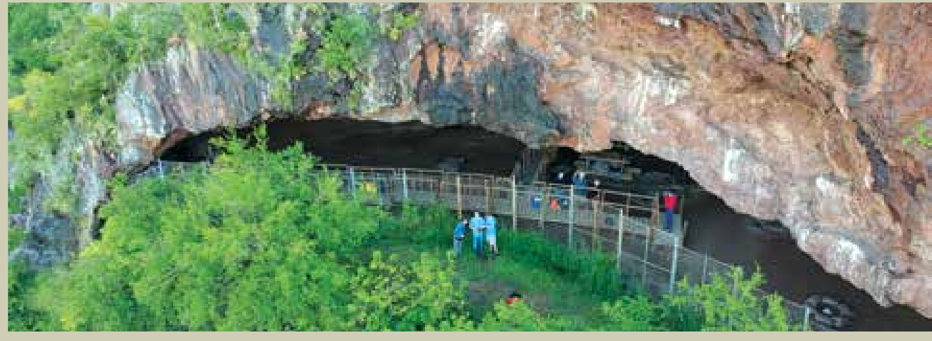


النوم هنيئاً قبل 200 ألف سنة

اكتشف باحثون متعدِّدو الاختصاصات، ومن عدة جامعات من جنوب إفريقيا وفرنسا والأرجنتين وبلجيكا، في "كهف بوردر" بجنوب إفريقيا، وهو موقع أثري مشهور، دليلاً على أن الناس استخدموا فراش العشب لنومٍ مريح قبل 200,000 سنة على الأقل. ونشرت البحث جامعة "ويتواترساند" في جنوب إفريقيا على موقع يوتيوب، في شهر أغسطس من العام الجاري.

وُضِعت هذه الأسرَّة المكوَّنة من حُزم عشب من فصيلة "بانيكويدي" عريضة الأوراق، فوق طبقات من الرماد. وتقول الباحثة الرئيسة البروفيسورة لين وادلي: "نعتقد أن وضع فراش العشب على الرماد كان استراتيجية متعمَّدة، ليس فقط لإنشاء قاعدة معزولة خالية من الأوساخ للفراش، ولكن أيضاً لصد الحشرات الزاحفة".

ومن المعروف أن ثقافات قديمة عديدة استخدمت الرماد كطارد للحشرات في ذلك الوقت. لأن الحشرات لا يمكنها التحرك بسهولة عبر المسحوق الناعم، كما أنه يعطل جهاز التنفس والعض لديها، وفي النهاية يخنقها.



موقع بوردر كيف

ومن المثير للاهتمام أيضاً أن بقايا شجيرة الكافور، التي تم التعرُّف إليها على الجزء العلوي من العشب على فراش هذا الكهف، لا تزال تستخدم لردع الحشرات في المناطق الريفية في شرق إفريقيا حتى اليوم.

وتضيف وادلي: "نحن نعلم أن الناس عملوا وناموا على سطح العشب؛ لأن الحطام الناتج عن تصنيع الأدوات الحجرية كان مختلطاً مع بقايا العشب.

كذلك، تم العثور في الفراش على كثير من الحبيبات الصغيرة المستديرة من المغرة الحمراء والبرتقالية (مسحوق حجري يستخدم للصبغ)، التي استخدمت لفرك البشرة أو تلوين بعض الأشياء".

ففي تلك الأثناء كان الإنسان يعيش في مرحلة الصيد وجمع الثمار، وكانت النار تُستخدم أيضاً كنقاط محورية؛ ينام الناس بانتظام بجانبها، ويؤدُّون مهام السكن في سياقات اجتماعية. وقد أشعل الناس النار في كهف بوردر هذا بانتظام، كما تشير المواقد المكدسة فوق بعضها.

وأظهر البحث أنه قبل 200,000 عام، الفترة التي شهدت نشوء وتطوُّر الجنس البشري، كان بإمكان الناس إنتاج النار عند الرغبة. كما استخدموا النار والرماد والنباتات الطبية للحفاظ على مواقع نظيفة وخالية من الآفات وتوفير نوم مريح؛ إنها ميزة مبكرة لتلك المجتمعات أكثر مما كان يعتقد سابقاً.

المصدر: **youtube.com**

سبقت الأهرامات بآلاف السنين

هياكل حجرية ضخمة في الصحراء السعودية

من المثير للاهتمام أن تكون أقدم وأضخم الجنادل (منشآت حجرية ضخمة) في التاريخ قد اكتُشفت على أيدي هواة سعوديين، لتصبح لاحقاً محل اهتمام ودراسة العلماء على نطاق واسع حالياً. فقد قامت مجموعة من هواة الرحلات البرية السعوديين، تدعى "فريق الصحراء"، بتصفح "غوغل إيرث" لفحص أجزاء من المناظر الطبيعية السعودية وزيارة بعض المواقع وتوضيحها على الموقع الإلكتروني للفريق عام 2017م. واكتشفوا لأول مرَّة هياكل غير عادية في حَرَّة خيبر وصحراء النفود ونشروها بالتفصيل على موقعهم.

بعد ذلك، كما يقول عالم الآثار دايفيد كندي من جامعة غرب أستراليا، بدأ الاهتمام الواسع بها. وحديثاً، ووفقاً للمعلومات الجديدة المنشورة في مجلة "هولوسين" (The Holocene) بتاريخ 17 أغسطس 2020م، اكتشف باحثون من "معهد ماكس بلانك للإيكولوجيا الكيميائية" في جينا بألمانيا، وبقيادة عالِم الآثار هوو كروكت، وجامعة أكسفورد، وكذلك زملاء من المملكة ودول أخرى، أن مئات الهياكل الحجرية تتكوَّن من أحجار ضخمة، على شكل مستطيلات عملاقة. لكن العلماء ما زالوا غير متأكدين من الهدف من إنشاء هذه الهياكل في ذلك الوقت قبل 7000 سنة، ويرجّحون أن تكون مصائد للحيوانات أو أماكن لممارسة طقوس من نوع معيَّن؛ خاصة وأنها أقدم من أهرامات الجيزة في مصر، وستونهنج في جنوب غرب إنجلترا بأكثر من أربعة آلاف سنة.



ويقول الباحثون إن هذه الهياكل كبيرة جداً، لدرجة أنها تُعد الآن أقدم الهياكل الكبيرة في العالم.

ويقدِّمون أدلة أساسية حول كيفية بقاء الناس في وقت مبكر في شبه الجزيرة العربية شبه القاحلة منذ أكثر من سبعة آلاف عام. كما ستكون هذه الآثار موضع مزيد من الدراسات المستفيضة لإلقاء مزيد من الأضواء على ما قبل التاريخ المعروف للجزيرة العربية حتى الآن.

وأوضحت هيئة التراث الوطني في المملكة "أن نتائج أعمال الفريق أكَّدت أن مناطق شمالي المملكة شهدت تطوراً حضارياً منذ حوالي 5000 سنة ق.م. بدليل تشييد أماكن ضخمة ضمَّت مئات المنشآت الحجرية الكبيرة، وهو تغيير ثقافي مهم ونقلة حضارية في المنطقة".

ويعتقد العلماء أن تلك المناطق من صحراء النفود وحَرَّة خيبر لم تكن صحراء قاحلة كما هي اليوم. وأن هذه المستطيلات تعكس البدايات الأولى لتطور الإقليمية (Territoriality) عند الإنسان، من خلال المنافسة على المراعي في بيئات صعبة غير مستقرة في الجزيرة العربية، حتى في الأزمنة الرطبة في عصر الهولوسين، حيث بدأت البيئة تمر بفترات جفاف قبل أن تؤول إلى ما هي عليه اليوم.

المصدر: **journals.sagepub.com**

مكافحة الجراد بسلاحه



جراد صحراوي يتجمَّع في أسراب في كينيا، يناير 2020م (Ben Curtis/AP)

يغزو الجراد مناطق واسعة تقدَّر مساحتها بنحو 20% من مساحة اليابسة في الكرة الأرضية. ويظهر الجراد الصحراوي من موريتانيا في إفريقيا إلى البنجاب في الهند مروراً بالمملكة العربية السعودية، ويلتهم كميات كبيرة من المحاصيل، مهدداً الأمن الغذائي لكثير من الشعوب؛ كما حصل بداية هذه السنة 2020م في بعض بلدان إفريقيا وآسيا. عادة، يعيش الجراد بشكل انفرادي. والجرادة المنفردة لا تشكِّل خطراً. لكنها عندما تجذب الآخرين يبدأ تشكُّل سرب متنامٍ، وينتهي الأمر بمليارات الجراد. وهي تطير معاً مشكِّلة سجادة ضخمة متحركة يمكنها حجب أشعة الشمس وتجريد الطبيعة من النباتات والمحاصيل. وعلى الرغم من الدراسات العديدة، لم يتمكَّن العلماء من معرفة السبب الذي يجعل هذه الحشرات تتجمع وتتخلى عن أنماط حياتها الانفرادية. أما الجديد اليوم، فهو دراسة نُشرت في مجلة نيتشر بتاريخ 12 أغسطس 2020م، وحدَّدت المحرِّك لذلك: الجراد المهاجر يستجيب لفيرومون (عامل كيميائي ينقل الإشارة من حيوان لآخر) يسمَّى 4 - فينيلانيسول (4VA).

وفيرومون (4VA) خاص بالجراد المهاجر. ويمكن لهذا الاكتشاف أن يوفر طريقة للسيطرة على عديد من الأسراب المدمِّرة الأخرى، بما في ذلك تلك التي سببت الأضرار الكبيرة هذا العام. ويقترح الباحثون في هذه الدراسة استخدام هذا الفيرومون لتجميع الجراد في مناطق محدَّدة يمكن أن يُباد فيها بشكل جماعي بالمبيدات.

وأظهرت نتائج العلماء الباحثين أيضاً أنه كلما ازدادت كثافة سرب الجراد، زادت كمية هذا الفيرومون في الهواء "بشكل ملحوظ". قد تفسر هذه الظاهرة لماذا بمجرد قيام السرب يبدأ بجمع مزيد ومزيد من الجراد الانفرادي بمرور الوقت.

بالإضافة إلى ذلك، وجد الباحثون أنه بمجرد أن تتزاحم أربع أو خمس جرادات منفردة معاً، تبدأ بإنتاج الفيرومون (4VA).

مكافحتها بالوسيلة نفسها

ومن المعروف أن المبيدات الحشرية هي السلاح الفعَّال الوحيد لمكافحة آفات الجراد. لكن حجم الأسراب وحركتها وعدم القدرة على التنبؤ بها، يجبر الحكومات والمزارعين على رشها على نطاق واسع من دون داع لذلك؛ مما يضر بالحيوانات الأخرى والنباتات والبشر.

واكتشاف الفيرومون (4VA) يمكنه أن يسهِّل نهجاً جراحياً دقيقاً أكثر. إذ يقترح واضعو الدراسة استخدام نسخة اصطناعية من الرائحة لجذب الجراد إلى أماكن معيَّنة بعيدة، تستخدم كأفخاخ، حيث يمكن مكافحته. وقد جرَّبوا هذا على نطاق صغير، عندما زوَّدوا أفخاخاً لاصقة بهذا الفيرومون، فوقع فيها كثيرٌ الجراد.

كما اكتشف العلماء طريقة أخرى تجعل الجراد غير قادر على شم (4VA) على الإطلاق. فالجراد يكتشف الفيرومون عبر قرون الاستشعار الخاصة بها؛ فتلتصق جزيئاتها بمستقبلات شمية. لذا، عدّل الباحثون الجراد وراثياً بحيث يفتقر إلى هذا المستقبِل، ووجدوا أن الجراد المعدَّل كان أقل انجذاباً إلى (4VA) من نظيره البري.

بناءً على هذه النتائج، يعتقد العلماء أنه يمكن تطوير مواد كيميائية لهذا الفيرومون لعرقلة عملية الشم عند الجراد. وبهذه الطريقة يمكن نشر مثل هذه الجزيئات على نطاق واسع لمنع تراكم الجراد، مما يجعل الجراد عمياً عن رائحته.

المصدر: businessinsider.com

نظرية

نظرية الواحة



فير جوردون تشايلد

تُعد "نظرية الواحة" مفهوماً أساسياً في علم الآثار، يشير إلى الشواهد على إحدى الفرضيات الرئيسة حول أصول الزراعة. وتقول هذه النظرية إن الناس بدأوا في تدجين النباتات والحيوانات لأنهم أُجبروا على ذلك بسبب تغيُّر المناخ.

تحاول نظرية الواحة إيجاد علاقة بين انتهاء العصر الجليدي ما قبل 10 إلى 12 ألف سنة، وانبلاج عصر الزراعة. فقبل ذلك، كان الإنسان لا يزال يعيش في مرحلة الصيد وجمع الثمار من طبيعة وفيرة بالموارد الكافية للأعداد القليلة من الناس. فبحسب معظم الدراسات السكانية، لم يكن عدد البشر يتجاوز 20000 نسمة في ذلك الحين. فلماذا إذاً اضطروا إلى تغيير نمط حياتهم؟ ولماذا لم يفعلوا ذلك قبلاً؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، طوَّر عالِم الآثار الأسترالي فير جوردون تشايلد 1892-1957م، في كتابه "الشرق الأدنى الأقدم" (1928م)، نظرية الواحة التي تقوم على أساس أن مرحلة الصيد وجمع الثمار لم تعُد ممكنة. وقال إنه في نهاية العصر البليستوسيني، شهد شمال إفريقيا والشرق الأدنى فترة جفاف، مع ارتفاع درجات الحرارة وانخفاض هطول الأمطار. ودفع هذا الجفاف الناس والحيوانات إلى التجمع في الواحات والأودية. وأدَّى هذا التقارب إلى زيادة النمو السكاني، وإلى ألفة أوثق بالنباتات والحيوانات، وهذا ما أدَّى بدوره إلى تطوُّر المجتمعات.

لاحقاً، وبعد التطوُّرات التكنولوجية التي سمحت بتوفير معلومات وافية عن المناخ في تلك الفترة عن طريق التأريخ بالكربون المشع وغير ذلك، تم تعديل بعض جوانب هذه النظرية. لقد بقي المحرك الرئيس للانتقال من عصر إلى آخر هو التغيُّر المناخي، لكن عبر فترات أطول وأعقد مما اقترحته النظرية الأساسية. كما أضاف بعض العلماء عوامل أخرى كان شيلد قد ألمح إليها، ومنها عوامل اجتماعية.



شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine

استطعنا رؤية كل الأشعة الكهرومغناطيسية؟

عبدالمجيد حمد

في عام 1666م، لاحظ العالِم الإنجليزي إسحاق نيوتن أن الضوء الأبيض يتألَّف من 7 ألوان، وذلك بعدما مرَّر الضوء عبر منشور زجاجي ليتحلل بعد ذلك إلى مجموعة ألوان مختلفة، وأثار الأمر أسئلة جديدة ومثيرة في مخيلة نيوتن عن طبيعة ذلك الضوء وطبيعة تلك الألوان. لذلك قرَّر أن يدرس اختلاف هذه الألوان عن بعضها بعضاً، عبر وضع سبعة مقاييس حرارية متتالية في غرفة مظلمة، أحد جدرانها مثقوب باتجاه الشمس، ووضع في الثقب منشور زجاجي ليتحلل الضوء الداخل إلى الغرفة إلى سبعة ألوان، كل لون يتجه إلى مقياس حرارة خاص به، ووضع مقياس حرارة احتياطي بعيداً عن مجال الضوء في حال حدوث عطل في أحد المقاييس السبعة. وبعد فترة وجيزة لاحظ أن تلك المقاييس الحرارية سجلت درجات حرارة مختلفة عن بعضها البعض؛ ولكن المفاجأة لم تكن في هذه النتيجة، بل كانت في المقياس الحراري الاحتياطي البعيد عن مجال الضوء الذي سجل أعلى درجة حرارة!
هنا كانت بداية رحلة اكتشاف الأشعة الكهرومغناطيسية، حيث عرف الإنسان ولأول مرَّة أن الضوء الذي يراه هو جزء صغير جداً من طيف واسع من الإشعاعات الكونية المنتشرة في الكون التي تسمى بالأشعة الكهرومغناطيسية. ونحن لا نرى منها إلا طيفاً واحداً يسمى بالطيف المرئي. ولكن ماذا لو كان باستطاعتنا رؤية جميع تلك الأطياف، كيف سيبدو لنا العالم؟ وللإجابة عن هذا السؤال يجب علينا أولاً معرفة أصناف الأشعة الكهرومغناطيسية السبعة التي تختلف عن بعضها بعضاً بحسب تردُّدها أو طولها الموجي، وهي كالتالي: الموجات الراديوية، والموجات الصغريّة (microwave)، والأشعة تحت الحمراء، والضوء المرئي، والأشعة فوق البنفسجية، والأشعة السينية، وأخيراً أشعة غاما.

الموجات الراديوية

تمتلك الموجات الراديوية أقل تردُّد موجي من بين جميع الأصناف الأخرى من الأشعة. وكما نعلم، فإن الأجهزة التي بين أيدينا، مثل التلفاز وشبكات الاتصالات والأقمار الاصطناعية، تعتمد كلها على الموجات الراديوية. وتقريباً، كل ما في الكون يصدر هذا النوع من الأشعة. فلو كانت العين البشرية قادرة على رؤية هذا النوع من الأشعة لاستقبل الدماغ كمية مهولة من المعلومات البصرية التي لا تُعدُّ ولا تحصى في جميع الأوقات ومن دون فائدة تذكر. بالتالي، سيكون ضررها أكبر من منفعتها، بالإضافة إلى أن الدماغ لن يستطيع التمييز بين هذا الكم الهائل من الأضواء المتدفقة عبر العينين التي ستجعله في حالة عمى كلي.

الأشعة الحمراء

لو تمكنَّا من رؤية العالم من خلال الأشعة تحت الحمراء ستختفي جميع الألوان المألوفة لنا وستكون الرؤية عبارة عن أجسام حرارية مختلفة بحسب درجات حرارتها. حيث ستبدو الأجسام الساخنة أكثر لمعاناً من الأجسام الباردة. كما أن الأشعة تحت الحمراء تنبعث من جسم الإنسان أيضاً كبصمة حرارية، بالتالي فإن كل شخص سيبدو لنا مختلفاً في كل مرَّة نراه حسب حرارته.

الأشعة السينية أو أشعة إكس

لو أتيحت للعين البشرية رؤية العالم من خلال الأشعة السينية، سنرى الأشخاص من حولنا على هيئة هياكل عظمية، بالإضافة إلى قدرتنا على رؤية ما خلف المباني والجدران وذلك لأن هذه الأشعة تمتلك أطوالاً موجية قصيرة وطاقة عالية تمكنها من اختراق الأشياء.

أشعة جاما

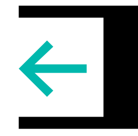
لو كان بإمكاننا رؤية أشعة جاما، والغلاف الجوي لم يصدّها لأسباب معينة، سنتمكَّن من رؤية المواد المشعة على الأرض ونتجنبها، وسنرى الثقوب السوداء والسوبرنوفا وأحداثاً فضائية فائقة أخرى.




تحوُّلات التعليم في زمن ما بعد الكورونا

شهدت أنظمة التعليم في العالم خلال العام الجاري اضطراباً غير مسبوق بفعل جائحة الكورونا، فأغلقت معظم مدارس وجامعات العالم أبوابها أمام أكثر من 1.5 مليار دارس، أي ما يزيد على 90% من إجمالي الدارسين، وذلك بحسب أرقام حديثة صادرة عن معهد اليونيسكو للإحصاء. وقد اتفق خبراء التعليم على أن التعليم ما بعد الكورونا لن يكون كما قبله، خاصة مع ظهور بنية تحتية عالية الأتمتة باستخدام مُعطيات الثورة الصناعية الرابعة، وأنظمة الذكاء الاصطناعي، وأن ثمَّة تحوُّلات متوقَّعة سوف تكون كبيرة وهيكلية في أنماط التعليم، وأساليبه، وتوجهاته، وسياساته، ونظمه، سواء على صعيد التعليم العام أو الجامعي، وقد بدأت بوادر هذه التحوّلات بالظهور فعلاً.

فاطمة البغدادي



من أبرز تحوُّلات التعليم في زمن ما بعد كورونا، وقد بدأنا نتلمس بعضه، هو الاتجاه المُتصاعد بقوَّة نحو استخدام التقنيات المتقدِّمة، وإنشاء مزيد من البوابات والمنصَّات، لمختلف مراحل التعليم، خاصة بعد أن أثبتت فاعليتها في وقت شِدة الجائحة. وأهم الأنماط الجديدة ذات البنية الرقمية في التعليم هي التالية:

• **التعليم عن بُعد:** وقد استُخدم هذا النمط، في كثير من دول العالم، كبديل للتعليم التقليدي، منذ بداية ظهور الجائحة. ومن حيث نتائجه الإيجابية، كان مُبهراً للجميع. إذ يقول أ. د. خالد الصالح، نائب مدير جامعة عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة: "لقد كانت مُفاجأة سارة أن تواصل العمل بلا انقطاع، وعلى نحو أفضل مما توقعته معظم مؤسسات التعليم، من حيث تقديم الدورات، واستجابة الطلاب، وتكيُّف أعضاء هيئات التدريس مع هذا النمط من التعليم، حتى حُضور الطلاب كان أفضل من واقع الحضور في فصول الدراسة". ويُشير روبرت جينكيز، مُدير التعليم في اليونسيف، إلى أن الجهود التي بُذِلت من جانب كثير من الحكومات، للوصول إلى التلاميذ أثناء الإغلاق، كانت كبيرة ومُثمِرة، وصارت لدينا أدلَّة على أن التعليم وصل إلى تلاميذ لم يكن يتم الوصول إليهم، عندما كانت المدارس مفتوحة.

• **التعليم الإلكتروني:** الذي يجمع بين التعليم عن بُعد، والتعليم داخل الفصل الدراسي، وذلك من خِلال وسائل وآليات الاتصال الحديثة، من حاسبات وشبكات ووسائط مُتعدِّدة، تجمع بين الصوت والصورة والرسومات، وآليات البحث، ومكتبات رقمية، بهدف الوصول إلى الدارس بأقصر وقت، وبأقل جهد، وأكبر فائدة. ومن المُتوقَّع أن يسود هذا النمط التعليمي، في مُعظم مؤسسات التعليم حول العالم، خلال المستقبل المنظور، ومن أهم أشكاله ما صار يُعرف بالتعليم المُدمج، الذي يجمع بين التعليم المُعزَّز بالتقنيات، والتعليم المباشر (وجهاً لوجه)..

وفي دراسة أمريكية، نُشِرت نتائجها مؤخراً، وتضمَّنت تحليلاً لطبيعة تحوُّلات نظام التعليم في 213 مؤسسة تعليمية، تبيَّن أن التعليم المُدمج صار الأسلوب السائد في هذه المؤسسات، كونه فعَّالاً، ويفضله أغلب الطلاب، كطريقة تعليم مُحفِّزة.. وعلى الضِفَّة الشرقيَّة من الأطلسي، أصدرت الرابطة الأوروبية للتعليم الإلكتروني (EADTU)، تقريراً حول مُستقبل التعليم في القارة، ورد فيه أن ثمة زيادة كبيرة في عدد المؤسسات التعليمية، بجميع مراحل التعليم، التي اعتمدت بالفِعل نموذج التعليم المُدمج. وأرجعت ذلك إلى أهمية هذا النموذج في رفع مُستوى المهارات، سواء لدى الطلاب أو المُعلِّمين، وأنه مثالي لمواجهة ازدياد أعداد الطلبة المُنتسبين، كما أنه يدفع نحو زيادة مُستوى جودة العملية التعليمية.. وكانت اليونيسكو أكَّدت أهمية التعليم المدمج، باعتباره نهجاً يعزِّز التعلُّم، ويدفع نحو تحقيق الهدف الرابع من أهداف التنمية المُستدامة، الوارد في التقرير الأُممي، المعروف باسم "Education 2030".

التعليم المُدمج صار الأسلوب السائد في 213 مؤسسة تعليمية أمريكية، كونه فعَّالاً، ويفضله أغلب الطلاب، كطريقة تعليم مُحفِّزة.



• **الذكاء الاصطناعي:** يتصاعد الاتجاه نحو اعتماد تقنيات الذكاء الاصطناعي، من أجل تعزيز التعليم عبر الإنترنت، وبرمجيات التعلُّم التكيفية، وأدوات البحث التي تُتيح للطلاب سُرعة التفاعل، والاستفادة من المعلومات، واكتساب المهارات.

وأفضت نتائج كثير من الدراسات الأكاديمية، إلى أن استخدام التعليم التكيفي (Adaptive Learning)، يفيد تقدُّم الطالب في مساره التعليمي، ويعزِّز التعليم النشط، ويساعد الطلاب المتعثرين،



على وقع تداعيات الجائحة... تعليم المملكة يستشرف المُستقبل

استشرافاً للمستقبل، يتجه التعليم في المملكة نحو التوسُّع في الرقمنة، من خلال استخدام تطبيقات وبرامج التعليم المُتقدِّمة، القائمة على معطيات الذكاء الاصطناعي. فقد فرضت تداعيات الجائحة، تعظيم هذا الجانب، من أجل مواصلة سير العمليات التعليمية، وفي الوقت نفسه تحقيق الحماية والأمان للطلاب. وتشير الدكتورة عهود الفارس، المشرف العام على الإدارة العامة للتعليم الإلكتروني والتعليم عن بُعد بوزارة التعليم، إلى أن هذه المرحلة تشكِّل منعطفاً جديداً لتطوير الأدوات والاستراتيجيات التعليمية، تزامناً مع استئناف الدراسة عن بُعد، لقد صار يُنظَر للتعليم الإلكتروني باعتباره أحد أهم الخيارات المُستدامة للعملية التعليمية، التي من شأنها تعزيز جودة المُنتَج التعليمي.

ومن أهم مشروعات التعليم عند بُعد، التي أطلقتها المملكة، قنوات عين للدروس التعليمية، التي تم تطويرها، لتواكب مستجدات العصر، وما فرضه الواقع من تحديات، ودُشنت منصة التعليم التفاعلي "منصة مدرستي"، التي تتضمَّن منذ انطلاقتها الأولى أكثر من 45 ألف محتوى تعليمي متنوِّع، وأكثر من 450 ألف خطة درس إلكتروني بمشاركة المعلمين. وجُعِلت هذه المنصة التفاعلية - التي تهدف إلى رفع كفاءة العمل في التعليم عن بُعد - محاكاةً افتراضية للواقع التعليمي، حيث يبدأ اليوم الدراسي لتلاميذ المرحلة الابتدائية، عند تمام الساعة الثالثة عصراً، ولطلَّاب المرحلتين المتوسِّطة والثانوية، عند تمام الساعة التاسعة صباحاً.

وعقب تسجيل الدخول، يؤدَّى النشيد الوطني، ثم تمارين رياضية، بعد ذلك يُعرَض الجدول الدراسي، والانتقال إلى الاستماع لشرح الدرس المُجدوَل، وأداء المهام والتكليفات المُقدَّمة من قبل المُعلِّم، ويتواصل اليوم الدراسي الافتراضي التفاعلي إلى نهايته.

إن توجُّه تعليم المملكة نحو مزيد من الرقمنة، ليس فقط ضرورة حتمية، لمواجهة تداعيات الجائحة، ولكن أيضاً لبناء جيل جديد، قادر على الاستفادة من مُعطيات الثورة الصناعية الرابعة، ويمتلك من المعارف والمهارات التي تمكّنه من الانخراط في وظائف الغد.

واستُحدِثت إدارة عامة للتعليم الإلكتروني، لتكون المظلَّة الرسمية لمنظومة التعليم الإلكتروني الموحَّد، الذي سيستفيد منه المعلِّم، ويتصاعد دوره في التوجيه والإشراف على تعلُّم الطلاب، من خلال خَلق مواقف تعليمية، وأساليب تعلُّم حديثة.. كما أن الطالب لا يبقى مُجرَّد مستمع أو متلقٍّ فقط، بل سيكون مشاركاً بفاعلية أكبر، ومعتمداً على ذاته، في الحصول على المعلومات، وقادراً على تنمية مواهبه، مستفيداً من الأنشطة التعليمية المُختلفة، التي تُراعي الفروق الفردية بين المُتعلمين.

وسيُتاح لولي الأمر المُتابعة بشكل دائم، ويكون على دراية بكُل ما يتعلَّق بالمُستوى الدراسي لابنه، بحصوله على البيانات الصحيحة، وسيصبح مؤثراً في رسم خارطة جودة التعليم، من خلال مشاركاته في الاستبيانات والنقاشات، فالتغذية الراجعة من ولي الأمر يُعتَد بها لتحسين الأداء والجودة.

ويقيِّم العوامل المؤثرة في نجاح الطالب. إلَّا أن الدمج الفعَّال لهذه التقنيات الجديدة، في المناهج الدراسية، يتطلّب التخطيط الجيّد، وتوفير الموارد اللازمة.

ويرتبط بنمط الذكاء الاصطناعي أيضاً استخدام الروبوتات في مجال التعليم، حيث إن اعتماد المؤسسات التعليمية للروبوتات في التدريس، يتزايد يوماً بعد آخر، خاصة بعد نجاح تجربة الروبوتات التي تقوم بتدريس اللغات، وكذا تدريس بعض المواد الأساسية، كما هو الحال في الصين، وبعض البلدان الإسكندنافية.

تحوُّلات في المدارس..والمناهج

عندما تتراجع شِدة الجائحة، وتبدأ الدول في فتح مدارسها أمام الطلاب - وسيكون ذلك غالباً على مراحل - فإن ثمَّة تحوُّلات مُهمَّة سوف تطرأ. إلَّا أن هذه التحوُّلات سوف تتباين، وفقاً للإمكانات المادية، والخطط التي تعتمدها كل دولة. وسيشهد قطاع التعليم الأساسي أوضاعاً جديدة في كثير من دول العالم على وجه العموم، من بينها:

- **التباعد الاجتماعي:** حيث سيكون الولوج إلى الفصول الدراسية مُتدرجاً، وسيُراعي على نحو مدروس مبدأ التباعد الاجتماعي. فلا مُصافحات، ولا تقارب جسدي. وستبقى الصداقات، والشبكات الاجتماعية، وكثير من الأنشطة، مُعلَّقة.

- **تعدُّد فترات الدوام داخل المبنى المدرسي الواحد:** فالحاجة إلى التباعد الاجتماعي بين الطلاب ستفرض عدداً أقل منهم داخل الفصل. ومن ثم سيُصبح من الضروري أن تعمل المؤسسات التعليمية فترتين، وربما ثلاثاً كل يوم، خاصة في المدارس المُكتظَّة بالطلاب. وهذا بلا شك سوف يضع مزيداً من الضغوط على أعضاء هيئة التدريس والطاقم الإداري.

- **تراجع الدراسة في الخارج:** حيث تأثَّرت كُل أشكال التعليم الدولي بالجائحة، وسيستمر ذلك لبعض الوقت على الأقل، ويمتد هذا التأثير إلى خطط الدراسة بالخارج، وبرامج التدريب، وتبادل الخبرات.

- **اكتساب مهارات جديدة:** بعد قضاء شهور في التعليم المنزلي، خلال فترة الإغلاق، أصبح الطلاب على معرفة أكبر بأدوات ووسائل تكنولوجيا التعليم، مع تمتعهم بالقدرة الكافية على التحكم في دروسهم الخاصة، فلن يكونوا طلاباً يتعلَّمون الدروس الموجَّهة وفقاً للمناهج الدراسية فقط، بل سيكتسبون أيضاً الخِبرات في عديد من التطبيقات الجديدة المتاحة، التي يمكنهم استخدامها للدراسة والتعلُّم.

- **إعادة تعريف دور المُعلِّم:** وسيتغيَّر مفهوم دور المعلم باعتباره صاحب المعرفة، الذي يُضفي الحِكمة على طلابه، خاصة مع توسُّع دوائر ولوج





لم يسبق لنا أبداً أن شهدنا هذا الحد من الاضطراب في مجال التعليم. وسبيلنا الوحيدة للمضي قُدماً، هي إقامة الشراكات. وهذا ما نأمل أن يقوم به التحالف الجديد، الذي يحثُّ على العمل المُنسَّق والمُبتكَر، لإيجاد حلول لا تقتصر على دعم المُتعلِّمين والمُعلِّمين في الوقت الراهن فحسب، بل تستمر معنا طوال عملية التعافي، وذلك مع إعطاء تركيز خاص لمبادئ الإدماج والإنصات.

الطلاب إلى الموارد المعرفية عبر نظم التعليم الرقمي، التي يتقلص فيها دور المعلِّم التقليدي.

• **الحقيبة المدرسية ستُصبح أخف:** في المُتوسِّط، يحمل تلميذ في مدرسة هندية على سبيل المثال، ما بين 3 و8 كيلوغرامات من الوزن كل يوم، عند ذهابه إلى المدرسة. وعادة ما يحمل إلى جانب الكُتب الدراسية والمُفكِّرات، صندوق غذاء، وزجاجة ماء. إن التوسُّع الذي طرأ في استخدام التكنولوجيا، سيُساعد حتماً على التخلُّص من بعض هذا الوزن، والواجبات المدرسية / المنزلية أيضاً ستتحرَّك بشكل متزايد على الشبكة الرقمية.

وعلى مُستوى المناهج الدراسية، فإن تحوُّلات مهمة أيضاً سوف تفرض نفسها، لتواكب واقع ما بعد الجائحة، خاصة مع ظهور برامج تعليمية جديدة، تتبنَّى الاستراتيجيات الذكية في بناء المُحتويات التعليمية، عبر استخدام أحدث التطبيقات، التي تطوِّرها الشركات الناشئة، وكُبرى المؤسسات في قطاع التعليم.
فمن المعلوم أن في منظومات التعليم التقليدية، يتعلَّم الأطفال، من فئة عُمرية واحدة، المناهج نفسها تقريباً، من دون النظر إلى اهتمامات كُل طفل، أو مهاراته الفردية. إلَّا أنه في المناهج الجديدة، وبفضل ما استُحدِث من بنية تحتية رقمية عالمية، سوف يُتاح للطلاب إمكانية الاختيار، والتعلُّم بالوتيرة التي تُناسبهم، والانتباه أكثر للأشياء التي يستمتعون بفعِلها.

يقول خبير التعليم الدولي ساندريب غويال: "إن وجود قصور في فاعلية المنهج التقليدي "مقاس واحد يُناسب الجميع"، سوف يدفع نحو الاتجاه إلى استخدام تحليلات البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي بشكل صحيح، وربُما يُمكِّن من إنشاء تجارب تعلُّم شخصية، وهذا سيُساعد بدوره على حل بعض هذه التحديات، من خِلال تجربة تعليمية مُخصصة، تجعل لكُل طالب منهجاً فريداً تماماً، مُصمماً بالكامل وفقاً لقُدراته واحتياجاته الفردية. وهذا من شأنه زيادة الحافزية لدى الطلاب، والتقليل بشكل كبير من احتمالية التسرُّب، كما يُمكن أن يوفِّر أيضاً للمعلمين فهماً أفضل لعملية التعلُّم لكل طالب، والتدريس على نحو فاعل..
وسيخضع الفحص والتصحيح للتغيير، حيث إن مُعطيات ثورة التقنية الحديثة، ستُساعد المُعلِّمين على التعامل مع التقييم، وتتبُّع أداء كل طالب بملل أقل، ووضع الدرجات على نحو عادل.. إن هذه المهام ستصبح بسيطة، مما سيتيح للمعلمين مزيداً من الوقت والجهد للتركيز على تحسين الدورة التعليمية وجودة التدريس وتطوير الكفاءة.
وبحسب تقرير صادر عن مؤسسة البحوث السوقية (Global Market Insight)، فإنه من المُتوقع بحلول العام 2025م، أن يتجاوز حجم سوق هذه التطبيقات التعليمية على المُستوى العالمي 300 مليار دولار أمريكي.. وعلى المُستوى العربي، وبحسب "مؤسسة دبي المُستقبل"، فإن حجم سوق التقنيات التعليمية في دولة الإمارات العربية المتحدة، سوف يتجاوز 40 مليار دولار، بحلول عام 2022م.

عندما ستتراجع شِدة الجائحة، وتبدأ الدول في فتح مدارسها أمام الطلاب - وسيكون ذلك غالباً على مراحل - فإن ثمَّة تحوُّلات مُهمَّة سوف تطرأ..



بين التجربتين الدانمركية والألمانية

ومن التجارب الجديرة بالتأمُّل في إعادة فتح مدارس التعليم الأساسي، بعد انحصار الجائحة، نذكر التجربة الدانمركية. فمُنذ شهر مايو 2020م، قرَّرت الحكومة فتح المدارس الابتدائية أمام التلاميذ، ووضعت نظاماً جديداً للدوام الدراسي، يقوم على قواعد رئيسة، أبرزها:

- تقسيم التلاميذ إلى مجموعات صغيرة، على ألا يحتكُّوا بغيرهم قدر المُستطاع.
- يقضي التلاميذ وقتهم في المدرسة، في ما يُشبه الشرانق الافتراضية أو الطوق، من دون أن يكونوا عرضة للآخرين.
- تصل المجموعات الصغيرة من التلاميذ إلى مدارسها في أوقات مُختلفة من الصباح. ويتناول التلاميذ الغداء مُنفصلين، ولا يُفارقون المناطق المُحددة لمجموعتهم. وتتلقَّى كل مجموعة دروسها على يد مُعلِّم/ة واحد/ة.
- لا يزيد عدد التلاميذ في كُل مجموعة على 12 تلميذاً، وهو العدد المُناسب لمساحة حُجرة الدراسة، في إطار اشتراطات وقواعد التباعد الاجتماعي.
- اتجهت بعض المدارس، التي ليس لديها فصول كافية، إلى تنفيذ نظام الفترتين (فترة صباحية وفترة بعد الظهر).
- تم تخصيص فُسحة من الوقت، كُل فترة، من أجل غسل الأيدي.
- يستطيع المُعلِّم الذي لديه مُشكلة صحيَّة، أو لدى أحد من أفراد أسرته، مواصلة التدريس باستخدام الإنترنت من البيت.

وتقول دوتي لانغ، نائبة رئيس نقابة المعلمين في الدانمرك: إن المشورة الطبيَّة، تُركِّز على استراتيجية حِفظ المسافات بين التلاميذ، في مجموعات مُنعزِلة، مع الاهتمام الشديد بالنظافة، وتُضيف: "نحن سُعداء، إن إعادة فتح المدارس حتى الآن كانت تجربة ناجحة".

وإذا كانت التجربة الدانمركية بدأت بإعادة فتح المدارس أمام تلاميذ المرحلة الابتدائية دون غيرهم، فإن التجربة الألمانية، التي انطلقت في وقت قريب من التجربة الدانمركية، بدأت بعودة الطلاب الكبار. وقد طُبِّقت فيها قواعد التباعد الاجتماعي بشكل أكثر صرامة، مع التشديد على لبس قناع الوجه.

ويقول شارون روبرتس، مُدير إحدى المدارس الدولية في مدينة كولون: هناك مكان مُخصَّص لكُل طالب، والتفتيش الصحي مُستمر على مدار ساعات الدوام، فإن تبيَّن وجود طالب مصاب بالفيروس، تم الإسراع بعزله، ومعرفة من كان يجلس قريباً منه، لاتخاذ التدابير المُناسبة، وإجراء عمليات المسح.

وفي التجربة الألمانية، فُتِحَت في بادئ الأمر قاعات الامتحانات، لتكون أماكن تطبيق التباعد الاجتماعي، ثم بعد ذلك فُتحت الفصول، مع الأخذ بالاحتياطات اللازمة. وقد جُعِلت الممرات في المدارس بنظام الاتجاه الواحد، للحد من الاحتكاك بين الطلاب. ويتوزَّع وقت الراحة، بطريقة التناوب، بين المجموعات الطلابية. ويتسم اليوم الدراسي بالقِصر. كما أن الدروس فيه خليط من الدروس في الفصول التقليدية، وعبر الإنترنت، وكُل مجموعة دراسية تتألف من 10 طلاب، ولا يُسمَح بأكثر من ذلك.



التعليم المُدمج، وهو أحد أشكال التعليم الإلكتروني، يجمع بين التعليم المُعزَّز بالتقنيات، والتعليم المباشر (وجهاً لوجه)

التحالف العالمي للتعليم.. وتحوُّلات ما بعد الكورونا

وفي إطار الجهود الدولية، التي تُبذَل لمُساعدة البلدان، في مواجهة تداعيات الجائحة، وترشيد تحوُّلات التعليم المُتوقعة، أُنشئ برعاية أُممية، "التحالف العالمي للتعليم"، وإلى جانب اليونيسكو، سارعت بالانضمام إلى هذا التحالف منظمة الصحة العالمية، وبرنامج الأغذية العالمي، ومنظمة التعاون والتنمية، ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونسيف)، والاتحاد الدولي للاتصالات، والبنك الدولي، ومؤسسات وشركات تقنية كُبرى، مثل مايكروسوفت، والجمعية الدولية لشبكات الهاتف المحمول، وواوايدونغ، وجوجل، وفيسبوك، وزوم، وكيه بي إم جي، وكورسيرا، وكثير من الهيئات والمُنظمات الأهلية الخيرية وغير الربحية ذات الصِلة.

وتقول أودري أزولاي، المديرة العامة لليونيسكو: "لم يسبق لنا أبداً أن شهدنا هذا الحد من الاضطراب في مجال التعليم. وسبيلنا الوحيد للمضي قُدماً، هو إقامة الشراكات. وهذا ما نأمل أن يقوم به التحالف الجديد، الذي يحث على العمل المُنسَّق والمُبتكَر، لإيجاد حلول لا تقتصر على دعم المُتعلِّمين والمُعلِّمين في الوقت الراهن فحسب، بل تستمر معنا طوال عملية التعافي، وذلك مع إعطاء تركيز خاص لمبادئ الإدماج والإنصات".

وحدَّد التحالف العالمي للتعليم، مجموعة من الأهداف يسعى إلى تحقيقها، وأهمها:

- مساعدة البلدان في تعبئة الموارد، وتنفيذ حلول مبتكرة ومناسبة للسياقات المحليَّة، لتوفير التعليم عن بُعد، وتعزيز المناهج القائمة على التكنولوجيا العالية أو البسيطة، أو تلك غير القائمة على التكنولوجيا.
- التوصل إلى حلول منصِفة، تكفل حصول الجميع على التعليم.
- ضمان الاستجابة على نحو مُنسَّق، وتجنُّب تداخل الجهود.
- تيسير عودة الطلاب إلى المدرسة، والحرص على تجنب ارتفاع معدَّلات التوقف عن الدراسة.



شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine

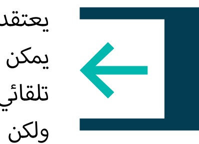


"الثقافة المؤسساتية" هل يمكن قياسها؟

تماماً كما هي الشخصية بالنسبة للفرد، فإن ثقافة مكان العمل هي شخصية المؤسسة والروح التي تبعث فيها الحياة والنبض الخفي الذي يحدِّد إيقاع العمل فيها. أما من ناحية تعريفها، فتُحدّد ثقافة مكان العمل من خلال السلوك العام الناتج عن وصول فريق العمل إلى مجموعة من القواعد غير المعلنة وغير المكتوبة للعمل معاً، أي إلى نظام من القيم والقناعات والأهداف المشتركة التي تسهم في تحديد المناخ الاجتماعي والنفسي في المؤسسة، وتؤثر في الطريقة التي ينظر بها الموظفون والعملاء وحتى الجمهور العام إلى المؤسسة وهويتها المميزة.

مهى قمر الدين





يعتقد البعض أن الثقافة لا يمكن هندستها، وأنها تنشأ بشكل تلقائي دون أي تخطيط مسبق. ولكن الأمر ليس بالتلقائية التي نعتقدها، لأن الثقافة تتألّف من جميع التجارب الحياتية التي يحملها كل موظف إلى المؤسسة التي يعمل فيها، إضافة إلى التأثر بشكل خاص بمؤسس العمل والمديرين التنفيذيين وغيرهم من الموظفين الإداريين بسبب دورهم في صنع القرار والتوجيه الاستراتيجي.

وهذا ما أكده تقرير صدر في عام 2013م عن شركة "غالوب" الأمريكية التي تقدِّم الاستشارات الإدارية والبحوث الإحصائية، وأفاد بأن الموظفين، بالإجمال، يعتقدون أن مديرهم يؤثر على ما تبلغ نسبته 70% من درجة انخراطهم في العمل، بينما يؤثر زملاؤهم بنسبة 30%.

أهميتها في نجاح الأعمال

إذا ما بحثنا عن عبارة "الثقافة المؤسساتية" على موقع غوغل، سنحصل على أكثر من مليار زيارة للبحث عنها، كما سنجد على شبكة الإنترنت وخارجها آلاف الكتب والمقالات التي تناولها من جوانبها المختلفة. فمن الواضح أن هناك كثيراً من الاهتمام بالدور الذي تلعبه الثقافة المؤسساتية وأماكن العمل. ولكن لماذا كل هذا الاهتمام؟

لا شك في أن للثقافة أهمية كبرى في نجاح وازدهار الأعمال. إذ إنها المحرك الذي يدفع زخم العمل داخل المؤسسة ويوجهه في الاتجاه الصحيح.

فعلى الرغم من أهمية الاستراتيجية في أي مجال من المجالات إلا أن الخبير الاقتصادي الأمريكي الشهير بيتر دراكر يقول إن: "الثقافة تلتهم الاستراتيجية على وجبة إفطار". وهذا إعلان قوي أن الثقافة هي من أبرز العوامل التي تسهم في نجاح أو فشل الاستراتيجيات التي يضعها المديرون وأرباب العمل. فالثقافة هي التي تفعّل هذه الاستراتيجيات بأفضل الطرق لأنها توجه قرارات الموظفين بشأن احتياجاتهم وخططهم العملية، وتحدِّد كيفية تفاعلهم مع زملائهم ومديريهم في العمل.

ومن جهة أخرى، وبغض النظر عن حجم المؤسسة الفعلي، وكما يقول الروائي الأمريكي الشهير مارك توين: "ليس حجم الكلب هو المهم في القتال، وإنما المهم هو حجم القتال في الكلب"، ليذكرنا بأن الشراسة ليست بالضرورة مسألة حجم جسدي بل إنها موقف عقلي ونفسي، لا يمكن لأي مؤسسة، سواء أكانت شركة ناشئة تضم بضعة موظفين أو مؤسسة كبرى تضم آلاف الموظفين، أن تستمد هذا "الموقف العقلي والنفسي" السليم إلا من خلال ثقافة متينة تعطيها التماسك والانسجام، وتمكِّن الموظفين من العمل بشكل تعاوني ومساعدة بعضهم بعضاً من أجل تحقيق أهدافهم، مما يعطي المجموعة القوة التي تساعدها على "القتال" لكي تتغلب على أي منافسة.

”الثقافة تلتهم الاستراتيجية على وجبة إفطار“. وهذا إعلان قوي أن الثقافة هي من أبرز العوامل التي تسهم في نجاح أو فشل الاستراتيجيات التي يضعها المديرون وأرباب العمل.

وتسهم الثقافة المؤسساتية الناجحة في تكوين عامل آخر هو "الدافع". ففي كتابه "الدافع: الحقيقة المدهشة حول ما يحفزنا"، يقول المؤلف دانيال إتش بينك: "يُعد الافتقار إلى الدافع أحد الأسباب الرئيسة وراء عدم رضا الأشخاص عن عملهم، والسبب الرئيس لتركهم وظائفهم وبحثهم عن فرص أخرى. والثقافة المؤسساتية الجيدة، بحكم طبيعتها، هي التي توفر الدافع المناسب الذي يجعل الهدف الذي يسعى الموظفون إلى تحقيقه يتماشى مع أهداف المؤسسة. وهذا التوافق بين الأهداف وطريقة التفكير يدفع الموظفين إلى الأداء الجيد والتوجيه الذاتي والولاء للمؤسسة التي ينتمون إليها".

كما أن الهوية وصورة العلامة التجارية تتحدَّدان من جرّاء ثقافة المؤسسة وطريقة عمل موظفيها. وما كانت منتجات شركة "أبل" مثلاً، لتحظى بسمعتها المرموقة لولا الثقافة العملية الممتازة التي عُرفت بها الشركة. إذ من المعروف أن "أبل" تتمتع بثقافة مميّزة يمكن استشرافها بسهولة من خلال إلقاء نظرة واحدة على منتجاتها ومقراتها في العالم، ومن خلال التفاعل ولو قليلاً مع موظفيها. فالأشخاص هم الذين ينشئون المؤسسة والمؤسسة هي التي تحدِّد هويتها وعلامتها التجارية الخاصة التي تلعب دوراً كبيراً في مدى استقبال السوق لها ورواجها فيه.



أهميتها التي تستدعي محاولة قياسها

بسبب أهميتها ودورها الكبير في نجاح الأعمال، ظهرت محاولات عديدة لتقييم الثقافة المؤسساتية وتحديد معايير معينة لقياسها من أجل فهمها بشكل أفضل. ولكن أولاً، ومن أجل ضمان القيام بقياس موثوق وناجح، علينا أن نعرف أن كل شركة تختلف عن الأخرى، ويختلف كل قطاع عن غيره من القطاعات، كما أن هناك اختلافات داخل مجموعة العمل الواحدة. لذلك، لا بد من اختلاف المعايير وطرق القياس وتجنب الانغماس في إيجاد مقياس مثالي واحد قابل للتطبيق بشكل معياري على الجميع.

إضافة إلى ذلك، من المفيد التفكير بالقياس، ليس كنقطة سحرية واحدة، ولكن كتقارب نقاط بيانات متعدِّدة. وفي الواقع، هناك عديد من المعايير المعتمدة والاستطلاعات المختلفة لقياس الثقافة المؤسساتية، وكلها تحاول تسليط الضوء على مكامن الطاقة والحركة داخل المؤسسة.

فهناك أولاً استطلاعات الارتباط بالعمل، حيث يتم قياس مدى الجهد الذي يضعه الموظفون في إنجاز مهماتهم ومدى حماستهم للعمل واستعدادهم للذهاب إلى ذلك الحد الإضافي لإتمام العمل على أكمل وجه. ولا يعني ذلك بالضرورة العمل لساعات إضافية بل يمكن أن يعني بالفعل زيادة المهارات أو العمل بطريقة متداخلة المهام لتوفير قيمة أكبر للمؤسسة.

ويسمح هذا الاستطلاع بقياس مدى اقتناع الموظفين بقيم المؤسسة وأهدافها، وهو أمر مهم، نظراً لأنه من المعلوم أن الموظف المرتبط بعمله يزداد احتمال ذهابه إلى ذلك الحد الإضافي أربع مرات أكثر من الموظف الذي لا يشعر بهذا الارتباط. وبما أن 13% فقط من الموظفين في 142 دولة يُعدّون بأنهم "مرتبطون" بعملهم، وفقاً للدكتورة آمي أرمسترونغ في دراسة نشرت في صحيفة "أنكوريج"، فإن الدفع لزيادة نسبة الارتباط من خلال الثقافة المؤسساتية يُعدُّ أمراً مطلوباً بالفعل.

وهناك استطلاعات جس النبض التي أصبحت شائعة بشكل متزايد، وفي حين أنها تُعدُّ مشابهة لاستطلاعات الارتباط بالعمل، إذ تقيس العناصر نفسها تقريباً، ولكن الاختلافات الأساسية تكمن في انتظام وتواتر وقت إجرائها، إذ توفر لقطة زمنية لمدى مشاركة الموظفين داخل المؤسسة أو ضمن فريق العمل الواحد.

وبالنظر إلى أن البيانات الناتجة عن هذا الاستطلاع يتم جمعها على أساس شهري أو فصلي، فإنها توفر بُعداً جديداً للتحليل، يمكن أن يقدِّم معلومات سريعة تساعد في رسم الاتجاهات بمرور الوقت والتدخل عند الضرورة والبدء في ربط التحسينات

بسبب أهميتها ودورها الكبير في نجاح الأعمال، ظهرت محاولات عديدة لتقييم الثقافة المؤسساتية وتحديد معايير معيَّنة لقياسها من أجل فهمها بشكل أفضل.

يتم تحديد البصمة الثقافية، ليس من خلال جمع مقابلات الموظفين واستبياناتهم الخاصة، ولكن من جرَّاء تحليل البيانات المتاحة للجمهور التي تُسمى بـ "المؤشرات غير التطفلية لثقافة المؤسسات" مثل التقارير السنوية والسجلات المالية والبيانات الصحافية ومستويات الإنفاق على الأبحاث، وحتى ما إذا كان المديرون التنفيذيون يستجيبون بشكل مناسب عن أسئلة المحللين.





بالإجراءات التي تتخذ داخل المؤسسة.
وهناك أيضاً المؤشرات التي تساعد على تقييم مستوى المشاركة في الجهود الثقافية للمؤسسة التي تُعدُّ معايير سهلة التحديد مثل عدد المتطوعين المشاركين في نشاط ثقافي معيَّن أو عدد المقالات المتعلقة بالثقافة المنشورة على موقع المؤسسة على الإنترنت. وأيضاً الملاحظات الشخصية لموظفين قاموا بأمور خارجة عن المألوف سواء أكانت مهمة أو ثانوية، ومن ثم قاموا بمشاركتها مع زملائهم الآخرين من خلال تدوينها على مواقع الإنترنت أو من خلال رسائل البريد الإلكتروني الدورية.

القياس من الخارج والمؤشرات "غير التطفلية"

تتعلق كل هذه الأمثلة بمعايير داخلية تدخل في صميم عمل المؤسسة. ولكن هناك تحديات كبيرة تقف أمام هذه الاستطلاعات قد تجعلها غير موثوقة من حيث جعلها تميل نحو الإيجابية في كثير من الأحيان، وتفتقر إلى الكشف عن اللامبالاة أو الخوف لدى الموظفين. لذلك، هناك من يرى أن المقياس الأفضل للثقافة المؤسساتية هو ما يقدِّم نظرة خارجية إلى المؤسسة ككل. وهو الأمر الذي دفع علماء النفس في كلية لندن للاقتصاد إلى ابتكار وسيلة لتحديد حجم "البصمة" الثقافية للمؤسسة من الخارج. ومن خلال هذه الوسيلة يتم تحديد البصمة الثقافية، ليس من خلال جمع مقابلات الموظفين واستبياناتهم الخاصة، ولكن من جرَّاء تحليل البيانات المتاحة للجمهور التي تسمى بـ "المؤشرات غير التطفلية لثقافة المؤسسات" مثل التقارير السنوية والسجلات المالية والبيانات الصحافية ومستويات الإنفاق على الأبحاث، وحتى ما إذا كان المديرون التنفيذيون يستجيبون بشكل مناسب عن أسئلة المحللين.
ولكن، رغم كل ذلك، فإن عديداً من العناصر الثقافية - بما في ذلك العوامل البشرية المهمة مثل العمل الجماعي - تبقى بعيدة عن متناول الخوارزميات والاستطلاعات. إذ إن الثقافة ليست مجرد لقطة أو جدول بيانات، بل هي قصة من الصعب إعادة كتابتها. ولكن إذا ما فشلنا في قراءتها بشكل جيد فإن النهاية غير السعيدة ستكون في انتظارنا بالتأكيد.

ومهما يكن من أمر، يمكننا، على الأقل، تحديد إطار عام لهذه "القصة"، ويمكننا العودة في ذلك إلى من لُقِّب بأرسطو الهندسة المعمارية المهندس المعماري الروماني الذي ولد في عام 80 قبل الميلاد ماركوس فيتروفيوس بوليو، الذي حدد في كتابه "العمارة" ثلاثة شروط أساسية للعمارة الجيدة، وهي أن تكون: دائمة ومفيدة وجميلة. وما ينطبق على العمارة الجيدة ينطبق تماماً على الثقافة المؤسساتية الجيدة التي يجب أن تكون دائمة، أي ذات قدرة على تحمل الضغط والمنافسة، وأن تكون مفيدة، أي أن تتناسب مع وظيفة الشركة وموقعها وطبيعة موظفيها، وأن تكون جميلة، أي جذابة وممتعة لأولئك الذين يعملون بها.



شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine

ماجستير في
علم النفس السيبراني

علم النفس السيبراني هو دراسة العقل والسلوك البشريين في سياق التفاعل بين الإنسان والتكنولوجيا، وهو يشمل جميع الظواهر النفسية المرتبطة أو المتأثرة بالتكنولوجيا الناشئة. ويهتم برنامج الماجستير بعلم النفس السيبراني، الذي أطلقه معهد دون لوغير للفن والتصميم والتكنولوجيا في دبلن بإيرلندا في بداية 2019م، بدراسة التفاعلات البشرية مع التقنيات الجديدة، بما في ذلك الإنترنت والأجهزة النقالة والهواتف المحمولة ووحدات التحكم بالألعاب والواقع الافتراضي والوسائط الرقمية وأي تقنية أخرى أثبتت قدرتها على تغيير السلوكيات البشرية. كما يستكشف أيضاً التفاعلات البشرية مع التقنيات الأقل انتشاراً مثل السايبورغ والذكاء الاصطناعي. وإضافة إلى ذلك، يدرس تأثير الاتجاهات المتطوِّرة مثل التقارب التكنولوجي على الأفراد. ومن خلال كل ذلك يقدِّم البرنامج الخبرة الأساسية لكل من يرغب في الاستفادة من التقنيات عبر الإنترنت لأهداف تجارية أو تعليمية أو تنظيمية أو لأسباب أخرى.

يهدف برنامج الماجستير في علم النفس السيبراني إلى تزويد الخريجين بفهم متعمق لكيفية تفاعل البشر مع التكنولوجيا وفي بيئات الإنترنت، فيأخذ في الاعتبار ما يحفز الأشخاص في الإعدادات عبر الإنترنت بما في ذلك التسوق عبر الإنترنت والتعارف والألعاب. ويتفحص سبب جعل بعض الأشخاص "مدمنين" على الإنترنت، وما يحفز المجرمين الإلكترونيين، وكيف يمكن للطلاب التعلُّم بشكل فعَّال عبر الإنترنت، وكيف يمكن للمنظمات الاستفادة من الإنترنت على أفضل وجه.

أما المهارات الأساسية التي يكتسبها الطلاب عبر البرنامج فهي: تحديد المفاهيم النفسية الأساسية ذات الصلة بالعالم الافتراضي، والبحث في كيفية استخدام الأشخاص للتقنيات الحالية، وتحليل الأنماط المتغيرة لاستخدام التكنولوجيا، وتوقع الاتجاهات الناشئة والمستقبلية في استخدام التكنولوجيا، وتقديم المشورة بشأن استخدام التقنيات الحالية، ونقد مجال علم النفس السيبراني، وتطبيق طرق البحث النفسي المناسبة على الإنترنت، وتحديد الاختلافات السلوكية بين العمل عبر الإنترنت وخارجه، وتطبيق المهارات والمعرفة الملائمة في السياقات العملية، والتخطيط لاحتياجات التعلم المستقبلية.

هناك طلب على الخريجين في هذا التخصص لوظائف في مواقع الشبكات الاجتماعية، أو كخبراء قابلية الاستخدام بغرض تقييم منتج أو مشروع ما عن طريق اختباره وتجربته على المستخدمين، أو كمتخصصين في التحقُّق من المعلومات على الإنترنت. ومن ناحية أخرى، قد يكون هذا التخصص ملائماً لكل من يرغب في تحسين أدائه في وظيفته الحالية، بما في ذلك الصحافيين أو المعلمين أو المتخصصين في التسويق وتكنولوجيا المعلومات.

لمزيد من المعلومات يمكن مراجعة الرابط التالي:
https://www.masterstudies.com/MSc-in-Cyberpsychology/Ireland/IADT/




طيور منطقة تبوك
حيث التنوُّع الحيوي بين البحر والصحراء والجبل

تُعدُّ "مشاهدة الطيور" من الهوايات حديثة العهد نسبياً، وتكتسب مزيداً من المهتمين بفعل الالتفات المتزايد صوب الطبيعة هرباً من متاعب العيش في المدن الصاخبة وضوضائها. فباتت هذه الهواية من نقاط الجذب السياحي على مستوى العالم.

وأفضل الأماكن لمشاهدة الطيور، هي بالطبع حيث يوجد أكبر تنوّع منها. الأمر الذي يتوفَّر حيث تتجاور البيئات الطبيعية المختلفة وتتنوَّع. وأفضل وقت لذلك هو في فصلي الربيع والخريف، عندما تهاجر الطيور بحثاً عن الطقس الملائم بعيداً عن البرد القارس وقيظ الصيف. وهذا ما نجده في منطقة تبوك، حيث البحر يجاور الجبال العالية، والأراضي الزراعية الخضراء على مرمى حجر من الصحراء، ناهيك عن موقعها الجغرافي في الزاوية الشمالية الغربية من الجزيرة العربية، على خط هجرة الطيور السنوية من الشمال إلى الجنوب.

تحرير وتصوير: إبراهيم الشوامين

حسون سيناء الوردي

في فصل الخريف، يشدُّك صوتٌ جميلٌ يغرِّد بين شجر الزيتون في ضواحي مدينة تبوك. تقترب بحذر حتى تعرف مصدر ذلك الصوت، فيظهر لك طائر يسمى "هزاز أزرق الزور" على أحد الأغصان. والموطن الأصلي لهذا الطائر الصغير هو في أوروبا. ولكنه الآن مهاجر، وهجرته الموسمية هي للبحث عن الغذاء والدفء. وعلى الرغم من صغر حجم هذا الطائر إلا أن سلوكه يُعدُّ عدوانياً نوعاً ما، إذ إنه لا يسمح لأي طائر آخر بالوجود في محيطه القريب. ويفضل "هزاز أزرق الزور" الإقامة في المنطقة التي هاجر إليها حتى انتهاء موسم الشتاء. وما يدعو إلى الانبهار، أن هذا الطائر الصغير الذي لا يتجاوز طوله 14 سم قادر على الهجرة لمسافات طويلة، يصارع فيها الرياح والأجواء الصعبة، ليعود مرَّة أخرى إلى موطنه الأصلي للتكاثر.

جغرافية المكان والطيور

ويبلغ عدد أصناف الطيور في مناطق المملكة العربية السعودية أكثر من 500 نوع، وأكثر من نصف هذا العدد قد تم رصده في منطقة تبوك، حيث المرتفعات الجبلية والوديان والصحاري والأراضي الزراعية والسواحل الخلابة والجزر الساحرة في منطقة نيوم الواعدة في دعم السياحة البيئية. ومن أبرز هذه الطيور: "الحساسين"، و"القُبَّر"، و"الحجل"، و"اللقالق"، و"الخواضات"، و"الوقاويق"، و"البلاشن"، و"الجوارح"، و"الدُخُل".

الطيور البحرية لآلئ الشواطئ الخلابة

خلال رحلتنا من محافظة حقل على خليج العقبة إلى محافظة أملج على البحر الأحمر، مررنا بمناطق بحرية وجُزر مرجانية ذات ألوان خلابة. وهذه البيئة الغنية بالتنوُّع الحيوي تجذب أنواعاً كثيرة من الطيور المقيمة والمهاجرة. ومن الطيور التي شاهدناها على الشواطئ عدة أنواع من "الخرشنة"، مثل "الخرشنة القزوينية" وهي أكبر أنواع الخراشن، و"الخرشنة بيضاء الخدين"، و"خرشنة العرفاء الصغيرة" ذات الشكل القريب من شكل طيور النورس، إلَّا أن حجمها صغير بالمقارنة مع النورس.

وأجمل مشهد لهذا الطير يمكن أن تقع عليه العين، هو وقت اصطياده للأسماك الصغيرة. إذ يرصد الأسماك من الأعلى، ثم ينقضُّ عليها بشكل عامودي، ليعود إلى التحليق والسمكة في منقاره. وكثيراً ما يستوقف هذا المشهد الفريد السياح لوقت طويل.

وعلى امتداد الشواطئ البحرية في منطقة تبوك يوجد عدد من النوارس، مثل "النورس الأسحم" و"النورس أبيض العين" غير الموجود في أي مكان من العالم إلَّا على شواطئ البحر الأحمر. ومن أنواع الطيور الفريدة، "أبو ملعقة الأوراسي" المميَّز باللون الأبيض، وهو يشبه إلى حد ما طائر "البلشون الأبيض"، لكن يختلف عنه في شكل منقاره الطويل القريب من شكل الملعقة، الذي يستخدمه في أكل العوالق البحرية.

أما أكبر أنواع الطيور البحرية على شواطئ منطقة تبوك فهي فصيلة البلاشن التي يصل طولها إلى أكثر من 150 سم، ويتميز بعضها برقبة طويلة ومنقار ضخم حاد يساعده في اصطياد الأسماك. وقد رصدنا بين أشجار الشورى أو المانجروف بعض أنواع البلاشن التي اتخذت من المنطقة موطناً جديداً، مثل "بلشون الصخر" و"البلشون أخضر الظهر". وأيضاً بعض المهاجرة منها مثل "البلشون الكبير الغربي" و"بلشون الأرجوان".

ولبعض الطيور أسماء وفق غذائها المفضل، مثل "آكل السرطان"، وهو نوع من الطيور المقيمة مميّز باللونين الأبيض والأسود، ومنقاره قصير وقوي يساعده على افتراس سرطانات البحر ذات القشور القاسية والرخويات. ويمتاز هذا الطائر بساقيه الطويلتين اللتين تساعدانه على الحركة في المسطحات الطينية والمياه الضحلة على الشواطئ. وحينما يحلق في الهواء، يسهل التعرف عليه وتمييزه عن باقي الطيور من خلال عنقه الطويل وساقيه الممتدتين إلى الخلف.

ومن الطيور المهاجرة أيضاً، التي تُشاهَد في تبوك خلال فصل الخريف "آكل المحار" وسمي بهذا الاسم بسبب قدرته العجيبة على فتح المحار بواسطة منقاره القوي.


أبلق أسود أبيض الرأس



حنكور، آكل السرطان

موسيقى الطيور الصحراوية بين الرمال

يمكن للذين لا يعرفون المنطقة أن يظنوا أن هذا التنوُّع الحيوي محصور في الشاطئ والأراضي الزراعية، وأن لا حياة فطرية ولا طيور خلف الكثبان الرملية في منطقة تبوك. ولكن العكس تماماً هو الصحيح. إذ تمكنا من رصد وتوثيق بعض الطيور الصحراوية المقيمة التي تمكنت من التكيُّف مع الأجواء الحارة في فصل الصيف والأجواء الباردة في فصل الشتاء. ومنها فصيلة القُبَّر ذات اللون البني الذي يشبه لون الرمال، وهو ما يساعدها على التخفي حينما تشعر بخطر ما من حولها.

ولا تحلو مشاهدة الصحراء من دون صوت "القُبَّرة الهدهدية الكبيرة"، و"المكاء" أو "أم سالم" كما يحلو لأبناء البادية مناداتها، وهي تُصدر أجمل الألحان التي تشبه صوت الكمان الحزين. ويمكن تمييز "القُبَّرة الهدهدية الكبيرة" في طيرانها عن باقي الطيور، إذ إنها ترتفع بشكل شبه عامودي لعدة أمتار، ثم تعاود الالتفاف بشكل حلزوني، لتهبط على الأرض أو على شجيرة ما، مستعرضة بذلك جناحيها.

ومن أصغر أنواع فصيلة القُبَّر ما يسمى بـ "الحُمرة الصحراوي". ويمتاز هذا النوع بلونه الرملي، وهو صغير الحجم، ويتغذى على الحشرات والبذور الصغيرة، ويعيش في شبه الصحاري والمنحدرات الصحراوية. وتتكاثر طيور الحُمرة عند اعتدال الطقس في فصل الربيع.

ومن أكثر الطيور انتشاراً عند تخوم الصحراء "القُبَّرة المتوجة"، وهو طائر متوسط الحجم، له تاج على رأسه، ويتفرد بصوته



أبو ملعقة

بلبل أصفر العجز (النغري)



نورس أبيض العين

بلشون أرجواني

الجميل، ويعيش في شبه الصحاري وبالقرب من المناطق الزراعية والأودية ويمكن مشاهدته بسهولة وهو جاثم أو أثناء الطيران.

أسرار الطيور الجبلية بين الصخور

وبين الجبال الصغيرة التي تتخللها الرمال الذهبية وبين مجاري الأمطار والشلالات الموسمية، يحلِّق العقاب المهاجر الآتي من بلدان بعيدة، ليكمل مسيرته إلى وسط إفريقيا، وينتظر هنا أفراد سربه حتى يكمل برفقتهم تلك الرحلة الطويلة.

وتوجد في تبوك جبال يصل ارتفاعها إلى أكثر من 2500 متر، مثل جبل اللوز الذي يكتسي بالثلوج في فصل الشتاء، وجبل شار الذي يقع بالقرب من البحر الأحمر، وهو امتداد لسلسلة جبال السروات، وتشتهر المنطقة أيضاً بمجموعة من الجبال الجرانيتية في منطقة الزيتة وبجدة. وفي تلك الجبال الصخرية، يعيش عدد من أنواع الطيور، وأشهرها "حسون سيناء الوردي" المميَّز بلونه الوردي، و"الدرسة المخططة"، وبعض أنواع البوم، مثل "البومة الصغيرة" و"البومة النسارية".

وبين قمم الجبال الصخرية، سيلفت انتباهك صدى صوت صاخب لطائر "الضوعة"، وهو طائر من فصيلة الزرازير، ذو لون أسود لمّاع، وينتهي جناحاه باللون البرتقالي.

وعلى النقيض من الصوت الصاخب، هناك الصوت الجميل لطائر "النغري"، وهو من فصيلة البلابل، ويمكن مشاهدته بين أشجار الطلح وداخل الأودية الصخرية.

ويوجد في البيئة الجبلية أيضاً طائر "أبلق أبيض القنة" وهو ذو لون أسود لمّاع، أما أعلى رأسه فأبيض اللون يشبه القبعة، أما ذيل هذا الطائر فهو أبيض وفيه خط أسود. أما الأبلق الصغير فلا قبعة بيضاء على رأسه. وأفضل الأماكن لرصد مثل هذه الطيور هي في الأودية الصخرية. ◼



هزاز أزرق الزور



القبرة الهدهدية أم سالم



الخرشنة بيضاء الخد



آكل المحار

عمدة باريس آنا ماريا هيدالغو

مدينة الخمس عشرة دقيقة



إننا نعيش حياة محمومة بالتنقل، ولا يبقى لنا سوى القليل من الوقت لقضائه مع عائلتنا وأصدقائنا. ووسائل النقل التي نستخدمها تلوث الهواء. ولكن، ماذا لو تمكنَّا من إيجاد وضع مختلف جديد نستعيد فيه وقتنا وصحتنا ورفاهيتنا وحتى مجتمعاتنا؟ هذه هي الفكرة وراء مفهوم مدينة الخمس عشرة دقيقة، التي هي في أساس حركة حديثة متنامية لجعل حياتنا أريَح وأقل توتراً وأكثر استدامة.

أول من طرحت هذه الفكرة هي عمدة باريس آنا ماريا هيدالغو التي أرادت أن تحوِّل المدينة إلى مجموعة من الأحياء الصديقة للبيئة، ولكن مدينة الخمس عشرة دقيقة انبثقت في الأصل من رؤية وضعها البروفيسور كارلوس مورينو من جامعة السوربون، كحل لارتفاع نسبة التلوث في مدينة باريس.

تقول الفكرة، باختصار، إن الضروريات الحضرية اليومية يجب أن تتوفَّر لأي شخص على مسافة 15 دقيقة سيراً على الأقدام أو بالدرَّاجة، بحيث تتجمع الخدمات الأساسية كالعمل والسكن والتسوق والتعليم والرعاية الصحية في دائرة قريبة، بالإضافة إلى توفر الخدمات التكميلية بما في ذلك مراكز النسخ والطباعة ومتاجر اللوازم المكتبية وخدمات الشحن، وشركات المحامين، والخدمات المصرفية ومراكز اللياقة البدنية والمطاعم والمقاهي ومراكز الترفيه الأخرى.

والجدير بالذكر أنه لا يوجد شيء جديد فعلاً في المفهوم الأساسي الذي تركِّز عليه مدينة الخمس عشرة دقيقة. إذ كان دعاة التجديد الحضري، لا سيما الناشطة والمؤلفة الكندية جين جاكوبز، قد نادوا بتقريب المسافات في المدن من أجل جعلها أكثر حيوية. كما كان النشطاء الداعين للمحافظة على التراث يحاولون الترويج لإعادة تنشيط الأحياء المحلية بالسعي إلى إعادة طريقة الحياة إلى ما قبل ظهور المتاجر الكبيرة والتسوق عبر الإنترنت والطرق السريعة.

أما الآن فهناك حاجة لإعادة الاهتمام بمبدأ تقريب المسافات في المدن وتسليط الضوء على فكرة مدينة الخمس عشرة دقيقة، القديمة الجديدة، لأنها في أساسها دعوة لإخراج الناس من سياراتهم والتعامل مع أزمة المناخ المُلِحَّة. كما أنها دعوة أيضاً للتعامل مع واقع جديد فرضه فيروس كورونا الذي غيّر الصورة وأوجد مسألة مُلِحَّة أخرى وهي خطورة استخدام وسائل النقل العامة وضرورة الابتعاد عن أماكن الاكتظاظ. وكما كتب المؤلف والصحافي الأمريكي باتريك سيسون فإن "تغيير إيقاع المدن وتبني مفهوم مدينة الخمس عشرة دقيقة قد يكون الطريقة الأكثر إيجازاً وجاذبية للتعافي الاقتصادي من جائحة كورونا".

وإذا كان هناك درس واحد يمكن تعلمه من جائحة الكوفيد - 19، فهو فوائد المرونة. إذ في غضون أشهر قليلة، قمنا بتحويل منازلنا إلى أماكن عمل، والمطاعم إلى مخازن للطعام، والحدائق إلى مستشفيات، والفنادق إلى أماكن للحجر الصحي، وأجهزة الكمبيوتر المحمولة إلى مدارس. وبالتأكيد نستطيع، في السنوات المقبلة، معرفة كيف يمكننا إعادة تنظيم مدننا بطرق لم نكن نعلم بوجودها. وهذا هو في الأساس ما تشير إليه فكرة مدينة الخمس عشرة دقيقة. فالمدن ليست مساحات جامدة بل نصوص طيعة يمكننا إعادة كتابتها عندما تدعو الحاجة إلى ذلك.



في عام 1369هـ/1950م اكتملت خمسون سنة قمرية على استعادة الملك عبدالعزيز للرياض، وكان من المقرَّر أن تحتفل المملكة بهذه المناسبة، لكن وفاة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن قبل أسبوعين من تاريخ الذكرى الذهبية، وتحديداً ليلة الإثنين 25 رمضان 1369هـ/10 يوليو 1950م، أدَّت إلى إلغاء الاحتفال.

وفي اليوم الوطني السعودي التسعين، نعود بالذاكرة إلى سيرة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، رحمها الله، لما كان لها من تأثير بالغ في المحيط الاجتماعي والترابط الأسري ولعلاقتها المتفردة مع شقيقها المؤسّس الملك عبدالعزيز طوال حياتها .

أ. د. دلال بنت مخلد الحربي*

سيرة رَاسخة في نسيج الوَطن

الأمَيرة نورة بنت عَبدالرّحمن

* أستاذة التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

ودّعت الأميرة نورة الحياة وقد قدّر لها أن تكون شاهداً على نهاية الدولة السعودية الثانية في عام 1309هـ/1891م. فحملت منذ ذلك تجارباً قاسية مرَّت بها وأسرتها. كان مشهد غياب الدولة السعودية من دون شك مؤلماً، إذ حمل عبر أعوام متتابعة اختلاف واضطراب ونزاع، ومحاولات سيطرة حاكم منافس يحلم بالسلطة والنفوذ. ونشير إلى فصل من فصول نهاية الدولة السعودية والذي سبق خروج الإمام عبدالرحمن وأسرته إلى خارج الوطن حيث الاغتراب والبُعد، ولم يكن خروج الإمام عبدالرحمن اختيارياً بل كان هو الحل الوحيد لينجو وعائلته، فقد صبر وقاوم قبل ذلك.

مِنْ شاهد على المأساة إلى شاهد على بناء وطن

لقد انعكست الأحداث التي أدَّت إلى نهاية الدولة السعودية الثانية على شخصية الأميرة نورة، التي شهدت بأُم عينيها سقوط الرياض ونهاية الدولة السعودية الثانية، كل ذلك وهي على وجه التقريب في السابعة عشرة من عمرها.

وعت نورة درساً قاسياً يقول: إن الفرقة تجلب الخراب، وإن البيت الحاكم القوي يحتاج إلى مساندة ودعم، وإن الحفاظ على تماسك البيت وعلى وحدته أمر مطلوب وأن أساس الدولة السعودية قوي وصلب.

غير أنها نفسها قدّر لها أن تكون شاهداً على بناء وطن نجح شقيقها الملك عبدالعزيز في بسط سيادته عليه، ومدَّ نطاق حكمه إلى حدود لم يبلغها سلفه، وفي وحدة قوية مكنتها من القيام بدورها الحضاري.

لقد وعت الأميرة نورة المرحلتين وتشكَّلت حياتها ودورها الذي منحه إياها شقيقها الملك عبدالعزيز كسيدة مجتمع كانت فيه الرقم الأول. كما أنها كانت على المستوى الشخصي والأسري حريصة على تماسك الأسرة، وعلى إزالة أي خلاف ينشب بين أفرادها.

كانت نورة كريمة بحضورها وكريمة بتفاعلها، وكريمة بمواقفها، وكانت مدعومة وبقوة من أبرز شخصيتين في حياتها وهما: شقيقها الملك عبدالعزيز، وزوجها سعود بن عبدالعزيز بن الإمام سعود بن فيصل والملقَّب بـ سعود الكبير، وكانت علاقتها بشقيقها هي العلاقة المتفرِّدة التي لفتت انتباه كُلّ من عاصرها.

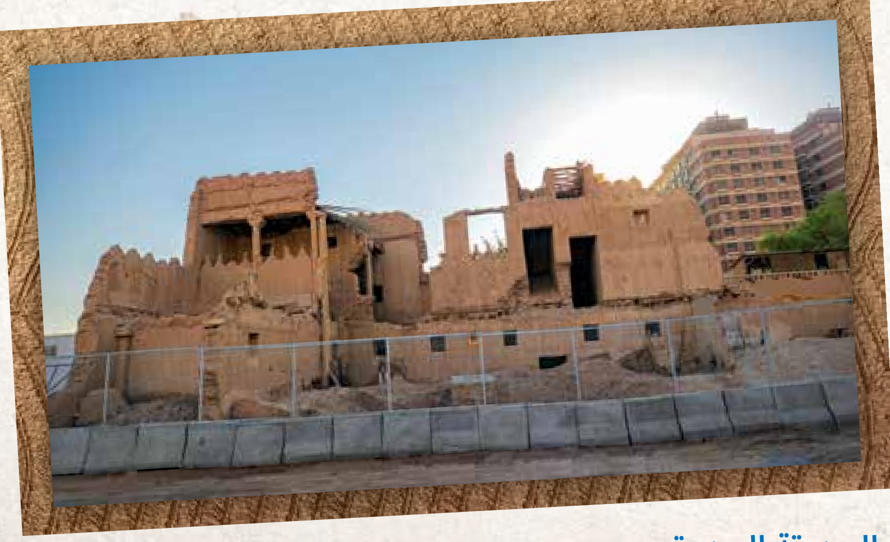
فعملت جاهدة على الحفاظ على الوحدة ومساندة شقيقها المؤسس قدر استطاعتها، الذي كان ارتباطها به رباط محبة صادقة. وفي المقابل خصَّها الملك بكثير من الحُب والإجلال طوال حياتها. فكانت أقرب النساء إلى نفسه، يحبها ويرعى شؤونها ويصغي



لنصحها ويفضي إليها بأسراره ومكنونات نفسه، في حين كانت هي تمحضه حبها وودها وتخاف عليه أشد الخوف، وتتلمَّس كل ما يمكن أن يخفِّف عنه أعباء الحياة وثقلها في مرحلة تأسيس الدولة.

وكان من مظاهر قوة العلاقة بينهما، أن الملك كان يزورها يومياً عندما يكون في الرياض. وكان موعد زيارته لها عادة بعد الظهر. واعتاد أهالي الرياض الذين كانوا يسكنون بالقرب من منزل الأميرة نورة في الثميري رؤية الملك عبدالعزيز إذا خرج من الصفاة يدخل عند أخته نورة. وظل على عادته تلك حتى بعد انتقالها إلى قصر الشمسية.

وأصبح الملك يزورها مرتين في اليوم خلال السنوات الأخيرة من حياتها، ما عدا أيام السفر أو عند حدوث ظروف طارئة. وفي العام الذي مرضت فيه، كان يتردَّد عليها كثيراً. وفي أيامها الأخيرة كان يطيل البقاء والجلوس معها. وقد تأثر أيما تأثير لحالتها، وعند الصلاة عليها كان في غاية التأثر.



قصر الشمسية، في الوقت الحاضر أثناء الترميم الذي وجّه به سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان

الأخت والصديقة الصدوق

كانت نورة الصديق المؤتمن في حياة الملك عبدالعزيز، وقد وظَّفت تلك العلاقة المتميِّزة لصالح الخاص والعام. فقد كانت تستفيد من زيارات أخيها، فترتب لنساء يرغبن في مقابلة الملك سواءً من الأسرة

أو من عامة الناس. كما كانت تشفع عند الملك عبدالعزيز للكثير من المحتاجين ومن لهم مشكلات تحتاج إلى حل. ولم تكن تنقل أي شكوى إلا بعد أن تتحقق منها. وإذا ما سمعت أن فلاناً يتظلّم وقد بتَّ في أمره الملك، تأخذ على عاتقها التحقق من ذلك، وكانت تقول للملك:

"يا طويل العمر قسّم بالسوية عدل بالرعية"، فإذا قال لها إن فلاناً ليس مظلوماً والناس فيهم المخطئ، قالت أمهلني وأرسلت من يبحث في أمره، وحين تنتهي تكتب الإفادة وتناقش الملك عبدالعزيز بإصرار أن يساعد صاحب الطلب، وكان هو يحقِّق لها بعد الإفادة ما تريد.

قال عنها أحد معاصريها: "كانت تبادر إلى الإحسان ونصرة الضعيف وعون المحتاج وفك أسر المظلوم، وكم من مظلوم حُكم عليه بالسجن أو الضرب أو بجزاء آخر ساعدته لدى أخيها جلالة الملك فيطلق سراحه. وإن وقفت على حُكم بمعاقبة أحد راجعته وأبدت رغبتها في العفو عنه، كانت صائبة الرأي يستشيرها أخوها جلالة الملك في كثير من المسائل فكانت تشير عليه بالمشورة الموافقة للصواب".

واعتاد الملك أن يُحضر معه في بعض زياراته لها بعضاً من أبنائه للسلام عليها، وكانوا في أغلب الأحيان سعود وفيصل ومحمد وخالد وفهد وعبدالله وسلمان وآخرين غيرهم، وكان وكيل أعمالها ومسؤول القصر عبدالعزيز بن حمد بن بريك، هو الذي يرتِّب السلام على الأميرة نورة.

ويذكر الملك سلمان، حفظه الله، أنه كان يزور عمته الأميرة نورة، فيقول: "كنا نذهب مع والدي إلى عمتنا الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، حيث نزورها في قصرها الواقع في الشمسية".

كانت نورة مع شقيقها في كل لحظات حياته: عند الانكسار والهزيمة، وعند النصر، وفي أوقات الحُزن والفقد كانت إلى جواره تواسيه وتشدُّ من أزره. من ذلك أنها كانت معه عندما فقد زوجته الجوهرة بنت مساعد في عام 1337هـ/1919م، وكذلك زوجته فهدة بنت العاصي بن شريم في عام 1353هـ/1934م، وزوجته أم منصور في عام 1356هـ/1937م.

حاضنة الأسرة

كانت الأميرة نورة على علاقة جيدة مع زوجات الملك. ويذكر أنها عندما كانت ساكنة في الثميري كانت تخرج إلى مزرعة حصة السديري في منفوحة. وقد أشارت فيوليت ديكسون التي زارتها في عام 1356هـ/1937م إلى أن إحدى زوجات الملك كانت مع نورة وقت استقبالها وهي نوف بنت نواف بن النوري الشعلان والدة ثامر وممدوح ومشهور.

ومن أبرز الدلائل على شدَّة قُربها من الملك عبدالعزيز، أنه كان يعهد إليها الإشراف على تربية أبنائه وبناته الذين فقدوا أمهاتهم في سنٍّ مبكرة. فهي التي قامت على رعاية محمد وخالد والعنود، بعد وفاة والدتهم الجوهرة بنت مساعد بن جلوي، فأبدت عناية كبيرة بهم وبخاصة العنود التي كانت في عمر السنتين. وكذلك رعايتها لـ عبدالله ونوف وصيته بعد وفاة والدتهم فهدة بنت العاصي بن شريم.

كما أن ابنة الملك سارة نشأت في منزل عمتها نورة لصلة القرابة التي تربط والدتها بـ سعود الكبير.

كانت نورة الصديق المؤتمن في حياة الملك عبدالعزيز، وقد وظَّفت تلك العلاقة المتميِّزة لصالح الخاص والعام. فقد كانت تستفيد من زيارات أخيها، فترتب لنساء يرغبن في مقابلة الملك سواءً من الأسرة أو من عامة الناس.

وكعمَّة لأبناء الملك وبناته، كانت قريبة جداً منهم. يقول الملك سلمان: "كانت تشفع لنا عند الملك إذا أخطأ أحد من أخوتي أو أفراد العائلة، فإذا وقعنا في التأخير عن الصلاة عن وقتها نلنا العقاب من الملك، وذلك بحجزنا في إحدى الغرف في قصر المربع، ثم تسعى لنا بالشفاعة عند الملك بطلب إخراجنا مع أخذ التعهد منا بعدم تكرار الخطأ".

كما اهتمت بتنمية قدرات أطفال العائلة المحيطين بها وكانت تحفِّزهم على التعلُّم وتكافئ من يختم القرآن منهم. وعندما تخرّج فيصل بن عبدالعزيز من الكُتَّاب أقيم احتفال بهذه المناسبة فتوجه موكب



فيصل إلى عمته الأميرة نورة في الثميري وتناولوا الطعام والحلوى عندها.
وكانت حريصة على حضور حفل العرضة الذي كان يُقام احتفالاً بختم أي من أبناء الملك عبدالعزيز، خاصة مع تأسيس مدرسة الأمراء التي انتقلت للرياض في عام 1356هـ/1937م. ويشير عبدالله عبدالغني خياط في مذكراته إلى أنه عندما كان قائماً على مدرسة الأمراء في الرياض، وفي مناسبة ختم الأمير مشاري بن عبدالعزيز أعلن قيام العرضة في الرياض بتاريخ 18 شعبان 1356هـ / 23 أكتوبر 1937م، وفي صباح يوم العرضة نظَّم القصر الملكي مأدبة إفطار دُعي إليها أطفال الكتاتيب ومعلِّموهم، كما دُعي أيضاً أعضاء هيئة التدريس في مدرسة الأمراء، وبعد المأدبة خرج الأمير مشاري الخاتم للقرآن، وخلفه إخوته وزملاؤه يمتطون صهوات خيولهم، وكان أطفال الكتاتيب وراءهم، وقد بدأت العرضة تحت قصر الحكم، وشارك فيها الأهالي والأمراء وانضم الملك إليهم، وكانت الأميرة نورة ونساء الملك يتابعن العرضة من خلال النوافذ العليا لقصر الحكم التي ثُبت فوقها شريط من القماش الأبيض، ووقفت النساء وراءه.
ونتيجة لهذا القرب والالتصاق بأبناء وبنات الملك عبدالعزيز، فإنها ظلَّت العمة ذات الذكرى الراسخة في وجدان كل أبناء الملك عبدالعزيز خاصة من أصبح له شأن كبير في الدولة وندلِّل بمثالين:
الأول: أن الملك فيصل، وفي عام 1395هـ/1975م، وقبل اغتياله، أسرّ لإحدى عماته بحلم رآه في الفترة الأخيرة. جاء الحلم كما وصفه الملك فيصل أنه رأى نفسه في بيت جده الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ الطيني القديم، الذي عاش فيه عندما كان صبياً في الرياض، وفتح باب إحدى الغرف ورأى جدته هيا المقبل وأم جدته وأيضاً عمته نورة بنت عبدالرحمن، وعندما رآهن كان يعلم أنهن جميعاً في عداد الأموات، وكن يتحدثن معاً، وكانت امرأة معهن لم يعرفها، وعندما لمحته جدته نهضت وأدخلته الغرفة وقالت له يا فيصل لا تكن خجولاً تعال وسلّم على أمك طرفة، لقد حان الوقت لتقابلها، وذكر فيصل أنه فجأة شعر بالخوف.
الثاني: أن الملك عبدالله وعندما وضع حجر الأساس لجامعة البنات في 29 شوال 1429هـ/29 أكتوبر 2008م أطلق عليها اسم جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، تقديراً منه لعمته التي يحتفظ لها بكثير من العرفان والتقدير.
كما امتد هذا التقدير إلى الأحفاد. ونشير إلى توجيه الأمير محمد بن سلمان ولي العهد بتاريخ 13 محرم 1441هـ/12 سبتمبر 2019م بترميم قصر الأميرة نورة المعروف بقصر الشمسية على نفقته الخاصة، تذكيراً بدورها وحضورها الاجتماعي.
تلك هي الأميرة نورة التي استحوذت على قلوب أفراد أسرتها وامتد ذلك إلى كل العارفين بها في فترة حياتها. وبعد وفاتها ظلَّت سيرتها على ألسنة الناس يتحدثون عن مآثرها ومواقفها الإنسانية والاجتماعية.

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

قصر الشمسية، بيت الأميرة نورة، 1354هـ/1935م

تشهد المملكة في الفترة الحالية حراكاً ثقافياً كبيراً يترافق مع حركة تغيير وإصلاح، وورشة من التجريب المستمر. وإلى أن تصل المملكة إلى العام 2030، سيكون هنالك كثير من الخطط الثقافية التي ستخرجُ من الأدراج، سينجحُ بعضها، وستضمرُ أخرى؛ ولكن الأهم أن يكون المثقف في صلبها، والمجتمع مختبرها الحقيقي، والفرد السعودي غايتها الأولى، لأنه لبنة التغيير الحقيقي، وهو من وُضعت "رؤية المملكة" من أجل بناء مستقبله.

حسن المصطفى

حراك غير مسبوق حجماً وتنوّعاً

الثقافة السعودية تقترب من المجتمع والفرد!

كان العام 2019م، عاماً مميزاً للنشاط الثقافي في السعودية. فبحسب "تقرير الحالة الثقافية في المملكة العربية السعودية"، الذي أصدرته "وزارة الثقافة" السعودية وتضمَّن رصداً لعدد من النشاطات المختلفة، تضمن هذا النشاط خلال العام الماضي، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

1. نشرُ 604 كتب في الأجناس الأدبية المختلفة.
2. وصول عدد مرتادي السينما منذ افتتاحها وحتى نهاية العام 2019م، إلى 4 ملايين شخص، زاروا 12 صالة سينما في المملكة.
3. بلغ عدد الأفلام السعودية المصنَّفة بين روائية طويلة وقصيرة ووثائقية 101 فِلْم.
4. بلغ عدد المسرحيات التي قدَّمتها "الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون" و"الهيئة العامة للترفيه" وحدهما، 155 مسرحية، حضرها 94,565 شخصاً. كما وصل عدد الجوائز التي حصدها المسرح السعودي نحو 300 جائزة في مشاركاته الخارجية.
5. حازت 8 مشروعات في المملكة جائزة "آغا خان" العالمية للعمارة.
6. رصد 1,985 موقعاً تراثياً عمرانياً.
7. إقامة 255 معرضاً فنياً على الأقل في السعودية في العام 2019م.
8. ابتعاث 54 طالبة وطالباً لدراسة فنون الطهي.
9. بلغ حجم سوق النشر السعودية السنوية 4.5 مليار ريال، استناداً إلى حجم المبيعات وفق إحصاءات 2017م.

ومثل هذه الأرقام تدلُ على أن الثقافة في السعودية ليست فعلاً هامشياً، إنما نشاطٌ له دورته الاقتصادية، وفعالياته الاجتماعية، وفاعلوه الذين من خلاله لا يمارسون حريتهم في التفكير والقول والإبداع وحسب، وإنما يسهمون في صياغة نسقٍ مختلف، يحلَ مكان نسقٍ سابق. أي إنه فعلُ تغييرٍ وإصلاح، وبعبارة أكثر تحديداً: هي عملية تنوير، ورافعة من روافع الدولة الحديثة. وطبيعة المنجز المعرفي والفني والأدبي والجمالي، أنه لا يمكنه أن يتحقق في صورة "خاتمة". لذا، هو مستمر في ديمومة تنتقل من حال لآخر، وتنتج سردياتٍ وأعمالاً فنية متباينة، قد تصل حد التضارب والتضاد، إنما هو تشابك ضروري، من دونه لا يمكن أن تتصف أي ثقافة بـ"الحياة".

حول وظيفة الثقافة كمحرِّك

لفهم البُعد المعرفي والفلسفي لطبيعة دور الثقافة كمحرِّك للمجتمعات، يمكن التوقف عند عبارة لعالم "الإناسة/الأنثروبولوجيا" الفرنسي، كلود ليفي شتراوس، أشار فيها إلى أن "المجتمعات البدائية، كانت تتحرَّك بدافع الحاجة أو الرغبة في فهم العالم المحيط بها، وفي فهم طبيعته وفهم المجتمع؛ ولتحقق هذه الغاية تقدَّمت الشعوب عبر وسائل فكرية وعقلانية محضة".

في مقاربته لتأريخ تطوُّر الشعوب، يجد شتراوس أن الحاجة دعت إلى المعرفة، والثانية قادت إلى إعمال العقل، الذي انعكس بشكل إيجابي على من مارسه، وحوَّل هذه الجماعات البشرية من مجتمعات "بدائية" إلى أمم متقدِّمة. وكانت إشارته دقيقة عندما قال إن الوسائل التي كانت مستخدمة هي "فكرية وعقلانية محضة". رغم أن البعض قد يجادل في طبيعة وحجم هذه الأدوات حينها، وإن كانت تمارس بالوعي نفسه الذي تشكل لاحقاً، أم أنها انبثقت من حاجة طبيعية، لبتها الغريزة، وتلمست طريقها عبر الحواس، وعمل العقل على تنظيمها وتطويرها. أي إنها ليست انبثاقاً جمعياً متكاملاً، بل، صيرورة مستمرة من التجارب والخبرات التي يتطوَّر العقل البشري معها ويتكامل ويتجادل، ليخلق تالياً أنماطاً متعدِّدة من "الثقافات"، هي نتاج كل تجربة باختلاف ظروفها ومآلاتها.

إذن، الثقافة هنا تحضر بوصفها ملازمة للإنسان في تطوُّره، وأيضاً رافعة له من مستوى إلى آخر، وكاشفة عن عوالم كلما تقدَّم الإنسان احتاج إلى معارف جديدة لاكتشافها، ما يجعل تلك الثقافة ذات طبيعة ديناميكية لا تقف يوماً عند حد أو تقول: أنا منجزة التكوين وكاملة! وإلا فإنها حين ذاك تنقرض، وتستحيل إلى ثقافة ضعيفة، مستسلمة، ميتة، تحلّ مكانها أخرى قوية، ديناميكية، قادرة على التطوُّر والاستمرارية. وبهذا المعنى تكون الثقافة صنو الوجود، والمعادل الموضوعي لمعنى أن يكون للفرد كينونته، وللمجتمعات حيويتها، وللمستقبل شهوته بمزيد من الفتوحات المعرفية والتجارب البشرية الكبرى.



المشروعات الثقافية المتنوعة والأمسيات والمهرجانات تشير إلى أن الثقافة السعودية ذات طبيعة ديناميكية

لذلك، اعتبر الفيلسوف الألماني فردريك هيغل، أن "الفكرة البسيطة التي تجلبها معها الفلسفة وهي تأمل التاريخ: هي الفكرة البسيطة عن العقل، التي تقول إن العقل يسيطر على العالم". وفي هذا إشارة واضحة إلى أن العقل هو الأداة الرئيسة لـ"السيطرة". ما يعني أن كل أشكال الهيمنة الأخرى، حتى تلك العسكرية منها، هي نتاج هذا العقل، الذي سيكون له الدور الفعَّال في بناء الحضارة والتأثير في مسار البشرية.

سقنا هذه المقدِّمة النظرية لكي ندركَ سبب الدعوة إلى أن تأخذ "الثقافة" و"التفكير العقلاني" مكانة أكبر في المجتمع السعودي. ليس لأن المملكة بلدٌ نفطيٌ مهم، أو لأنها تمتلك رمزية خاصة لدى المسلمين في جميع أنحاء العالم باحتضانها مكة المكرمة والمدينة المنورة وحسب؛ وإنما أيضاً لكونها دولة ذات مجتمع متنوِّع، واسع، به ثقافات فرعية عدة، وأنماطٌ اجتماعية ثرية في موروثها وعاداتها وتقاليدها، تشارك الآن في العمل على إعادة اكتشاف جماليات هذه الثقافات كعناصر ثراء تجعل من "قوة السعودية في تنوُّعها"، كما "جمال اللوحة في تعدُّد ألوانها".

وقد جاء في مقدِّمة وثيقة رؤية المملكة 2030، ما نصهُ "لقد حبانا الله في المملكة العربية السعودية، مقومات جغرافية وحضارية واجتماعية وديموغرافية واقتصادية عديدة، تمكننا من تبوء مكانة رفيعة بين


مبنى الحج في مطار الملك عبدالعزيز في جدة، أحد المشروعات الثمانية التي حازت جائزة "آغا خان" العالمية للعمارة

الدول القيادية على مستوى العالم". كما تؤكد الوثيقة نفسها أن "المجتمع الحيوي" هو أحد العناصر الثلاثة الرئيسة التي تعتمد عليها "الرؤية".

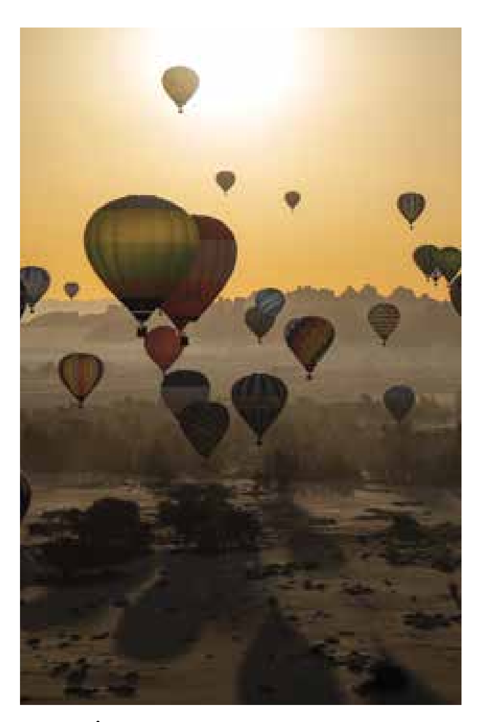
ضرورة تحرير الثقافة لتصبح زاداً يومياً للناس

لا يمكن لأي مجتمع أن يتصف بـ "الحيوية"، ما لم تكن هنالك أفكار متنوِّعة تساجل، تثاقف، تناقش، تدخل في مختبرات حياتية، تشارك فيها ليس النخبة وحسب، بل المجتمع بأفراده ومؤسساته المدنية وهيئاته الحكومية. أي أن تحرَّر "الثقافة" من وصفها "مُلكاً خاصاً للنخبة"، إلى زاد يومي بين الناس.

تحرير الثقافة له أهمية بالغة، لأنه يخرجها من كونها فكرة "مثالية" لا يمكن أن تتحقق على أرض الواقع، ويجعلها قابلة للتطبيق في مشروعات حيوية. هي إخراج لها من تلك "النرجسية" المتعالية لـ "الذات العالمة"، التي خلقت جداراً بين المثقفين وعامة الناس، لسنوات وسنوات.

لقد عملت وزارة الثقافة السعودية و"الهيئة العامة للترفيه" عبر برامجهما المختلفة على هدم هذا الجدار، ما أربك المثقف النمطي، لأن إيقاع العمل كان سريعاً، مفاجئاً، تجاوز حدود التفكير السائد، بل تخطاه لخطوات لم يكن كثير من المثقفين يعتقدون أنها ستكون ممكنة في العام 2019م!

فللمثقف السعودي كبرياؤه. وهذا الشعور النفساني، غلفهُ انفعالُ البعض، إنزواء آخرين، ويأس أو تردد مجموعة أخرى. ما جعل قابليتهم لأن يستوعبوا كثيراً من المتغيرات السريعة، أمراً أشبه بـ"الصدمة المعرفية".



إحدى فعاليات الهيئة الملكية لمحافظة العلا التي تنشطُ في الفعل الثقافي

لقد أصبح المثقف المحلي كـ "قابضٍ على الماء خانته فروج الأصابع"، لا لشيء إلا لأن حالة الارتباك جعلت رجليه تتجمدان في الأرض الخاصة والقصية التي اعتاد الركون إليها. فمن الصعب أن يتحرَّك من يسند ظهره إلى كرسيه الخشبي، يدخن سِيجارهُ وينظر إلى الناس بوصفهم مجرد أرقام وأتباع مُنفعلينَ لا فاعلين!

لا يمكن التعميم على جميع المثقفين السعوديين، فالتعميم سلوك يجافي الموضوعية والعلم؛ إلا أن قلائل هم الذين استطاعوا فعلياً أن يجاروا المتغيرات الاجتماعية التي أنتجها التطوُّر التقني، وزاد من سرعتها وسطوتها انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، وأتت رؤية المملكة 2030 لتعطي هذه المتغيرات زخماً أكبر.

الفلسفة في ثلاث تجاربَ محلية

من المفيد في هذا الصدد، التطرُّق إلى ثلاث تجاربَ متنوِّعة، واحدة منها قديمة، واثنتان حديثتان، لكنها جميعاً تنتمي إلى حقل يُعد نُخبوياً، ألا وهو "الفلسفة". إلا أن هذه التجارب، لم تبقَ حبيسة أُطرها الضيقة، وإنما عملت قدر استطاعتها، ووفق إمكاناتها، على توسيع دائرة تأثيرها والمنخرطين فيها:

1. **حلقة الرياض الفلسفية.** تأسست في عام 2008م، ونشطت تحت مظلة "النادي الأدبي بالرياض". وهي تجربة وإن كانت أوجه نشاطها اقتصرت على المحاضرات والندوات والحلقات النقاشية، إلا أنها دفعت بـ "الفلسفة" لتكون أحد الحقول التي يشتغل عليها الشباب السعودي، ويكتبون حولها، ويسهمون بمقالات عدَّة، في صحف محلية وعربية، تحاول الإجابة عن أسئلة، مثل: أي دور للفلسفة في المجتمع السعودي؟ وهل هنالك من فيلسوف محلي؟ وهل بإمكان الفلسفة أن تصبح جزءاً من مناهج التعليم في المدارس السعودية؟

   صحيح أن "حلقة الرياض الفلسفية" لا تمتلك كثيراً من الموارد المادية، ولم تنوِّع أدوات عملها ضمن أنساق الإعلام والتواصل الحديثة، إلا أنها حافظت على استمراريتها، في وقت كان فيه المهتمون بهذه المعارف قلائل حتى بين أوساط المثقفين أنفسهم.

2. **"حكمة"؛** وهي مجلة إلكترونية تُعنى بالفلسفة، واللسانيات، وعلم النفس، وعلم الأعصاب.. وهي بمثابة مختبر حيوي للجيل الجديد من الفتيات والشبان السعوديين، الذين يعملون بشكل تطوُّعي على ترجمة نصوص علمية من لُغاتها الأم، وإعادة نشرها عبر الموقع باللغة العربية.

   وربما استطاعت منصة "حكمة" أن تتجاوز محدودية تأثير "حلقة الرياض الفلسفية"، عبر تشجيعها لعدد كبير من الفتيات والشبان السعوديين على الانخراط في نشاطاتها، وتحديداً "الترجمة" و"النشر". وتوسيعها لمعنى "الفلسفة"



من ذلك السؤال عن "الوجود"، إلى تفاصيل الحياة اليومية ومجرياتها. وهي بذلك سهلت الحقل الفلسفي للراغبين في قراءته، من دون أن تفرغه من مضامينه.

   ليس هنالك من تجربة مكتملة، وبعض ما يعتري "حكمة" من وهن وإن نسبي، هو في نظر بعض المتابعين، المستوى المتوسط لبعض المواد المترجمة. إلا أنها في الوقت نفسه، قرّبت القارئ السعودي خاصة والعربي عامة، من موسوعة "ستانفورد" الفلسفية، من خلال ترجمة موضوعات عديدة منها.

3. **"معنى"؛** وهي منصة إلكترونية، أطلقت في عام 2019م، تعمل على نشر مواد تهتم بالثقافة والفلسفة والفنون، ولديها منتجات بصرية ومسموعة ومجلة مطبوعة.

قد تمتلك "معنى" إمكانات مادية أكبر من سابقتيها، وتنوُّع في منتجاتها. إلا أن بعض المهتمين بالحقل الفلسفي في السعودية، ينتقدونها لبُعدها العربي الأوسع، وعدم حضور المثقف السعودي فيها بشكل كبير. إلا أن السؤال عن هذا الغياب: هل هو بسبب عدم مشاركة المشتغلين بالفلسفة في السعودية في "معنى"، أو استكتاب المنصة لمثقفين عرب متنوِّعين لأسباب موضوعية وعملية؟ أو ربما يكون جدل المشروعات المختلفة، وتباين الآراء والتنافس بينها!

تمثلُ هذه التجارب نماذج على قدرة المثقف التواصلية، حتى في أكثر الموضوعات نخبوية، وإشراك جيل جديد من السعوديين، وتحديداً طلاب الجامعات الذين درسوا في أوروبا والولايات المتحدة وكندا، للاستفادة من خبراتهم في بناء مشروعات ثقافية محلية. إلا أنها تتقاطع والأفق الإنساني العام في اشتغالاتها الوجودية.

بالموازاة مع هذه الجهود "الأهلية"، نجد مؤسسات سعودية أكبر، من خارج إطار "وزارة الثقافة"، تنشطُ


عملت وزارة الثقافة السعودية و"الهيئة العامة للترفيه" عبر برامجهما الترفيهية والثقافية المختلفة على هدم الجدار بين المثقفين وعامة الناس

في الفعل الثقافي، ولعلَ أبرزها:

1. مركز "إثراء"، التابع لـ "أرامكو السعودية".
2. "مسك الخيرية"، وهي إحدى المؤسسات التابعة لصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير محمد ابن سلمان.
3. الهيئة الملكية لمحافظة العلا. وهي هيئة استحدثت بقرار ملكي، وتأسست في 20 يوليو 2017م.

أسهمت هذه المؤسسات وتسهم بشكل كبير في مشروعات ثقافية متنوِّعة، وأمسيات ومهرجانات، مثل مهرجان "شتاء طنطورة"، وسواه من الفعاليات الفنية والتدريبية والثقافية، التي اتسمت بتركيزها على أن يكون للفتيات والشباب السعودي دور رئيس في عمليات الترتيب والتنظيم والإعداد. لكي يكتسب هؤلاء مهارات جديدة، تمكنهم مستقبلاً من أن يقوموا بأنفسهم، وبالاعتماد على الكوادر الوطنية، في اجتراح مشروعات خاصة وخلَّاقة.

مشروعات الوزارة

من جهتها، لم تكتفِ وزارة الثقافة السعودية بـ "الأندية الأدبية" و"جمعيات الثقافة والفنون"، بل عملت على محاولة توسيع دائرة فاعليتها. ولعل العمل الأهم الذي قامت به هو إنشاء إحدى عشرة هيئة تتبع لها، تختص كل واحدة منها بشأن معيَّن. وشملت هذه الهيئات:

1. الأدب والشعر والترجمة.
2. المتاحف.
3. التراث.
4. الأفلام.
5. المكتبات.
6. فنون العمارة والتصميم.
7. الموسيقى.
8. المسرح والفنون الأدائية.
9. الفنون البصرية.
10. فنون الطهي
11. الأزياء.

والملاحظُ في هذه الهيئات، أنها عملت على "تحرير الثقافة" مفهومياً ونظرياً على الأقل، وأخرجتها من دائرتها الضيقة، وجعلتها تلامس أذواقاً مختلفة. وبالتالي، وسّعت مروحة جمهورها، ولم تقصره على ذلك الجمهور النمطي الذي تدور أفكاره في ثنايا دوائره الخاصة.

في يوم 25 يوليو 2020م، صدر قرارٌ بناءً على موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز على اقتراح من صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، ينص على "التأكيد على جميع الجهات الحكومية اقتصار القطع الفنية في مقراتها على الأعمال الفنية الوطنية وفق دليل يُعدُّ من قبل وزارة الثقافة، على أن تزود الجهات الحكومية وزارة الثقافة بقائمة الأعمال المقتناة، ليتم إضافتها في السجل الوطني للأعمال الفنية".

هذا القرار يتعدى بُعده الإجرائي الحكومي، إلى جعل الثقافة جزءاً من ثقافة المؤسسة، وأنسنة الفضاء العام في هذه المباني والمقار، ودعم الفنانات والفنانين التشكيليين المحليين.

هذه الأنسنة لا تحتاج إلى "معجزة" وإنما بعض الأعمال التي ترسل إشارات عميقة ذات دلالة، كالتي


"معنى"؛ وهي منصة إلكترونية، أطلقت في عام 2019م، تعمل على نشر مواد تهتم بالثقافة والفلسفة والفنون، ولديها منتجات بصرية ومسموعة ومجلة مطبوعة

نقرأها في قصة الفنان السعودي زمان جاسم، الذي وجد نفسه محل اهتمام الناشطين في وسائل التواصل الاجتماعي، وتالياً المؤسسات الإعلامية المحلية. وكان السبب صورة انتشرت لسمو ولي العهد وهو في مكتبه يتابع جلسة مجلس الوزراء السعودي في مايو 2020م، وظهرت في الصورة لوحة فنية رسمها التشكيلي زمان جاسم. فكانت هذه الصورة كفيلة لأن تضع جاسم تحت أضواءٍ عدة، وتعيد للفنان السعودي اعتباره.

فمن خلال اهتمامه الشخصي بالفنون، وعبر صورة التقطها مصورٌ له، بعث سمو ولي العهد برسالة التقطها الفنانون السعوديون، وشكَّلت دعماً معنوياً لهم. وهي ستتجاوز في مفاعيلها الجانب المعنوي، إلى اهتمام عملي أكبر من وزارة الثقافة والجهات المعنية بالفنون.

المآلات!

ليس هنالك من خطٍّ نهاية للثقافة، لأن الخط حد، والذي يلتزم بحدٍّ لا يستطيع أن يجترح أفكاراً متجاوزة جرئية خارج الصندوق.

لهذا، يعيش السعوديون اليوم في مختبر حقيقي لثقافاتهم وفنونهم، وسيكون عليهم أن يجربوا فيه كثير من الأعمال والنظريات والمفاهيم، وهي بدورها مثل لعبة الأبواب المشرعة على أبواب متتالية. الأهم، أن تقود هذه الرحلة إلى صناعة الحضارة، وبناء الوعي، وتشكيل مستقبل حديث مدني، بعيداً عن تسليع الثقافة أو الاستخدام النفعي المرحلي لها.



اللغة العربية رافداً اقتصادياً.. فرصة من ذهب



د. بندر الغميز
أستاذ اللغويات التطبيقية المساعد بجامعة الملك سعود

قبل أيام وعلى كنبة مريحة جداً في معهدٍ لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في إحدى الجامعات السعودية؛ ناولني أحد الموظفين كأس شاي "خادر"، شكرته ثم أطرقت متأملاً شكل المبنى الجميل الذي يصلح لأن يكون أي شيء إلا مكاناً لتعليم اللغة!

لا مكانَ للتفاعل ولا فناءَ للتعارف ولا فصولاً مفتوحة ولا قبولاً فورياً ولا أحدَ في المساء. كل ما يمكن أن تشاهدهُ هناك قاعات محصَّنة وطلاب مِنَح من جنسيات معيَّنة غلب عليهم الفقر أو حُب الإسلام فأتوا للتعلُّم والإفادة من التسهيلات المادية المقدَّمة لهم من السعودية.

لا يمكن لمجحف فضلاً عن منصف إغفال دور المملكة في دعم العربية وتعليمها، حتى إن اهتمامها سبق توحيد الكيان السياسي للمملكة. إذ تُظهر بعض النصوص النظامية التي وجهت بالاهتمام بالعربية عام 1346هـ، وذلك باعتبارها لغة رسمية للحكومة الحجازية النجدية إلى أن جاءت المادة الأولى من النظام الأساسي للحكم معزِّزة وداعمة لذلك بشكل صريح "المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية دستورها كتاب الله وسُنَّة رسوله ولغتها اللغة العربية وعاصمتها الرياض".

وفي تعزيز مكانتها دولياً ونشرها لغةً أجنبية نجد السعودية صرفت عشرات الملايين لنشرها في الخارج، بإنشاء معاهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا 1399هـ، وفي إندونيسيا وجيبوتي عام 1401هـ، وفي طوكيو عام 1402هـ، وأخيراً في واشنطن عام 1410هـ، إلا أن هناك مشكلة جوهرية تكمن في الصرف على العربية بدلاً من الاستثمار فيها.

تشير الدراسات الإحصائية حسب الجمعية الأمريكية للغات بأن الإقبال على العربية زاد 126% في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بين عامي 2002 و2009م. كما تشير دراسات نشرتها اليونيسكو إلى أن الدارسين للعربية لغةً ثانية على حسابهم الخاص في معاهد الأردن قد بلغ 83%، وهذا ليس مفاجئاً للباحثين في مجال اللغويات السياسية كون العربية لغةً لا تحتاج لجهد كبير في تسويقها.

لا شك في أن العربية مستهلكة للعلوم مقارنة بغيرها من اللغات ذات الإنتاج العلمي والمعرفي العالي كالإنجليزية والألمانية والفرنسية، إلا أنه كان من حُسن حظ العربية لغةً أن ارتبطت بمشاعر ما يقارب المليار ونصف المليار مسلم على هذه المعمورة، كثيرٌ منهم يضع تعلُّمها ضمن اهتماماته أو أمنياته على الأقل، كما أنها لغةٌ رسمية لاثنتين وعشرين دولة مما يجعلها حاضرة بشكل لافت في التعاملات الدبلوماسية بين الوزراء والسفراء والملاحق العسكريين والثقافيين بخلاف اللغة الإندونيسية والهندية مثلاً، التي يتحدَّثها مئات الملايين إلا أنها لا تمثل لغة رسمية إلا لدولة واحدة أو دولتين.

هذه الحقائق قادرة على أن تجعل تعليم العربية ملفاً استثمارياً ورافداً اقتصادياً، بل قوةً ناعمةً لصناعة الصورة الإيجابية للمملكة العربية السعودية دولياً. وهذا المنظور الاستثماري في تعليم اللغة يُعد من المجالات البينية الحديثة الناتجة عن دراسة القضايا اللغوية من منظور اقتصادي يعرف بـ "اقتصاديات اللغة". لذلك نرى الصين مستمرةً في إنشاء سلسلة معاهدها "كونفوشيوس" التي وصلت إلى خمسة وسبعين معهداً في الولايات المتحدة الأمريكية، وما يزيد على مئة معهد حول العالم ، مما أثار حفيظة وزير الخارجية الأمريكي الشهر الماضي وعلّق على ذلك بقوله: على الأمريكيين أن يعوا أن "كونفوشيوس" تنشر ثقافة الصين عبر الصينية.

وحسب المجلس الثقافي البريطاني فإن تعليم الإنجليزية داخل بريطانيا يسهم في تعزيز اقتصادها بما يتجاوز ملياري جنيه سنوياً، كما أنه وفر أكثر من 26 ألف وظيفة. والإحصاءات لحجم الاستثمار اللغوي خارج بريطانيا تتفاوت من سنة لأخرى إلا أن المدير التنفيذي للمجلس الثقافي البريطاني إدي بايرز يرى أن استثمار تعليم الإنجليزية في الخارج لا يحسب على المستوى المالي فحسب بل على المستوى السياسي أيضاً؛ فهي تسوِّق للثقافة البريطانية وتحسِّن صورة الإنسان البريطاني وتجذب السياح عبر المناهج والسلاسل التعليمية.

وفي لحظة تأملي لحال المعاهد لدينا، سرحت أحلم بسلسلة معاهد سعودية تُعلِّم العربية للناطقين بغيرها بمناهج حديثة تسهم في صناعة الصورة الإيجابية لوطننا الغالي، كما تعزِّز من مكانة الفصحى قراءةً وكتابةً، وتسوِّق لثقافتنا عبر تعليم اللهجة السعودية، معاهد لا تعرف البيروقراطية ولا الشروط المعقَّدة، فالجميع يمكنه التسجيل فيها من الداخل والخارج، وتعمل في النهار والمساء، والمباني ضاحكة مرحّبة بشكلها الزجاجي الحديث وفنائها التفاعلي، كما تعقد الدورات التأهيلية لتعليم العربية لغةً أجنبية لمئات السعوديين والسعوديات.

هنا تحديداً سمعت صوتاً كسر الهدوء في المبنى، إنه صوت أذان العصر، والتفتُّ حيث لا أحد في المبنى سوى بندر وكأس شاي بارد.



الخطّاطة أزهار الصادق

المهارة والابتكار من دون كسر القواعد

احترفت أزهار الصادق فن الخط العربي بعد مسيرة بدأت وهي طفلة في المرحلة الابتدائية في قريتها الصغيرة سنابس في محافظة القطيف، وتوَّجتها بالدراسة على أيدي أساتذة فن الخط، فنجحت في أن تكون من السيِّدات الرائدات في هذا المجال الفني الذي كان ولا يزال يهيمن عليه الخطاطون من الرجال. وأوصلها إخلاصها لهذا الفن وإبداعها فيه إلى المشاركة في بعثات وكالة الشؤون الثقافية في وزارة الإعلام إلى مناسبات ثقافية عربية وعالمية.

عبدالوهاب العريض



لأن عدد النساء اللواتي احترفن فن الخط العربي أقل بكثير من عدد الرجال، كان ولا بدَّ من أن يبدأ حديثنا مع الخطاطة أزهار الصادق بالسؤال عن نشأتها وما أوصلها إلى هذا المجال. فتقول إنها شغفت بالرسوم الزخرفية منذ أن كانت طفلة وبجَمال الخط العربي، وكثيراً ما كانت تتأمَّل في القرآن الكريم وفي الزخارف التي تحيط بحروفه.

في بداية تعلّمها الخط، كان كلّ ما تملكه طاولة مدرسية صغيرة، لكنها كانت عالمها الواسع ومشغلها المفضَّل. فأنتجت عليها أول أعمالها الخطيَّة بأعجوبة، لأن إنتاج اللوحات يحتاج إلى طاولة ضوئية. وبعدها تمكنَّت من توفير زاوية للعمل ضمن غرفتها الشخصية، إلى أن أصبح المرسم ضرورة لا بدَّ منها لتوسع نشاطها. وعندما كثرت أدواتها، خصَّص لها والدها غرفة في المنزل لتكون العالَم الذي يأوي كل طاقاتها من الإبداعية وإنتاجها، ويستضيف بعض الورش والدورات القصيرة التي كانت مطلوبة بكثرة آنذاك.

ولا يغيب عن بال أزهار الصادق أن تذكر فضل الجوّ الأسري، فتقول إنها نشأت في بيئة فنية ملهِمة. فوالدتها كانت تطرِّز أغطية الوسادات والمفارش، ووالدها مهتم بالأدب والشعر. أما شقيقتها زهرة فهي فنَّانة بالفطرة ترسم منذ طفولتها.

وحين بدأت أزهار تميل بوضوح إلى فن الخط العربي شجَّعتها شقيقتها زهرة ووالدتها. وفي السنوات الأخيرة ساعدها وشجَّعها زوجها المهندس الخطاط أحمد المشهد الذي وفَّر لها الجوّ المناسب للعمل الفني.

من الهواية والإعجاب إلى الدراسة والاحتراف

أما عن البداية الحقيقية للانتقال من الهواية والشغف إلى الدراسة والاحتراف، فثمَّة صُدفة جمعت الصادق في معرض "مداد" بجماعة الخط العربي بالقطيف عام 2004م، وكانت آنذاك تعمل سكرتيرة المنتدى الفني النسائي التابع للجنة التنمية الاجتماعية بالقطيف، وتحدَّدت مهمتها في تنسيق البرامج الفنية بين المنتدى الفني النسائي ونادي الفنون. فتروي: "في أحد الأيام كنَّا في زيارة لمعرض "مداد" المُقام في صالة نادي الفنون. وبمجرد أن وصلنا، تملكتني الدهشة وانبهرت بما رأت عيناي. لم أكن حينها أدرك أن الخط العربي يمكن أن يكون بهذا الجَمال، ولم تكن لدي أدنى فكرة عن هذا الفن العريق، لكن كل ما أيقنته يومها، هو أنني ومن دون شك أرغب في سبر أغوار هذا الفن وتعلُّم أسراره. وبالفعل، لم تمضِ إلا أيام قليلة، حتى تم التنسيق بين المنتدى الفني ونادي الفنون لإقامة أول دورة خط عربي نسائية في المنطقة الشرقية لخط النسخ والرقعة".

ولم تقف الصادق عند ذلك الحد، بل أسهمت أيضاً في تنظيم دورة في الخط الديواني، وكانت المشرفة على الدورتين. غير أنها كانت طوال الوقت تفكِّر كيف يمكنها التعلُّم مع المتدرِّبات، خصوصاً حينما لمست الفرق الواضح في مستوياتهن بين بداية الدورة ونهايتها.

بدأت تتدرَّب بمفردها، حتى تمكَّنت من خط جميع الحروف وبعض العبارات. وبعد فترة، التحقت بدورة أقامها الخطاط مصطفى العرب، وكانت دورة متقدِّمة للخط الديواني.

ثم درست خط الرقعة على يد الخطاط حسين القلاف، وانتقلت



كتابة مباشرة في المرسم أثناء زيارة القافلة

بعد ذلك إلى دراسة خطي النسخ والثلث على يد الخطاط حسن آل رضوان.

وفي مسيرتها الفنية، شاركت الصادق ثلاث مرات في الأسبوع الثقافي السعودي بدعوة من وزارة الثقافة، أولها في ألبانيا (مارس 2013م) وبعدها في روما (أكتوبر 2013م) والأخيرة كانت في ساو باولو البرازيل (يونيو 2014م). وفي كل مرَّة كانت تحظى بتجربة ثرية، كما تقول، يتخللها التعرُّف إلى ثقافات مختلفة وفنانين من مختلف فروع الفن (فن تشكيلي، وتصوير فوتوغرافي، وخط عربي، ونحت).

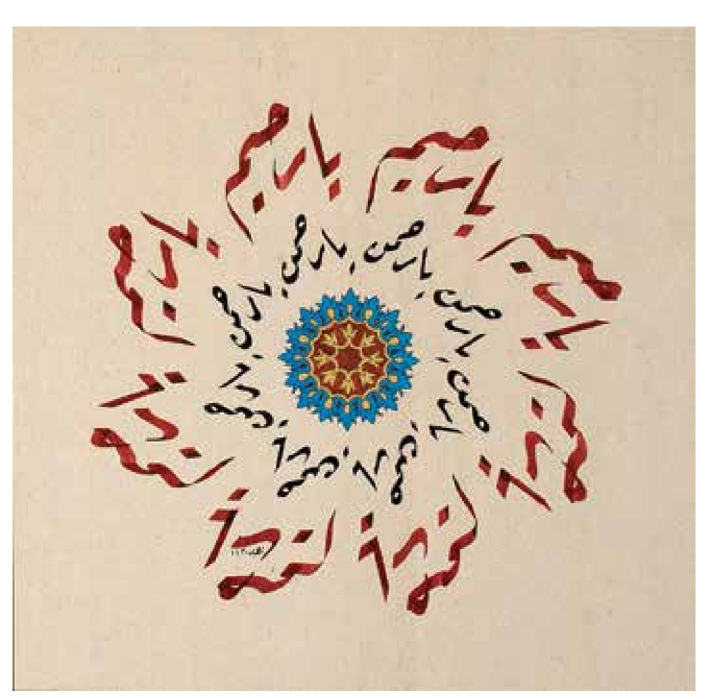
إلا أن أقسام الخط العربي في هذه المعارض كانت أكثر ما يجذب الخطاطة أزهار، ويجذب الزوار إليها، فتقضي معظم الوقت في كتابة الأسماء والعبارات التي يطلبها الزوَّار، وكثيراً ما كانت تضحي بوقت الراحة أو فسحة الغداء لتلبِّي طلباتهم.

الزخرفة وطاقة الاسترخاء

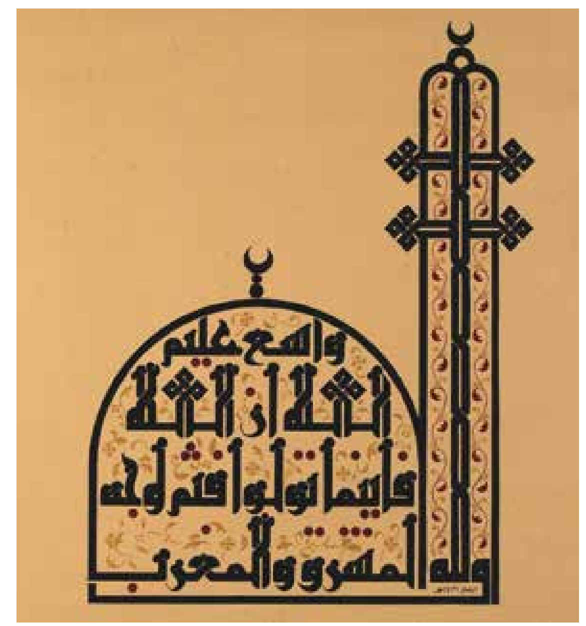
تمكنت أزهار من فن الزخرفة وأبدعت في لوحاتها الزخرفية، حيث تقول إن "فن الخط والزخرفة كلٌّ منهما مكمل للآخر، فحين بدأت في تعلُّم الخط العربي جذبتني كثيراً اللوحات الخطية المزخرفة أو المذهبة فقمت باقتناء بعض كتب الزخرفة وبدأت بمحاكاة بعض الزخارف وتقليدها، وبعدها أقامت جماعة الخط العربي ورشة في الزخرفة قدَّمها الخطاط والمزخرف حسن الزاهر فالتحقت بها وتعلمت أساسيات الزخرفة، حتى جاءت الفرصة الذهبية التي جمعتني بأستاذتي آيتن ترياكي في مهرجان صيف أرامكو الثقافي 2010م، قدَّمت لها صوراً لبعض محاكاتي في الزخرفة ووجدت أن لدي قابلية كبيرة لتعلُّم الزخرفة وإتقانها، فعرضت عليَّ أن تتولى تعليمي، فكانت بداية انطلاقتي وتحديد مساري في الزخرفة وهي المدرسة العثمانية وما زلت أدرس معها حتى اليوم فأحياناً أحضر دروسي معها في إسطنبول ولكن بسبب جائحة كوفيد 19 أصبحت دروسنا عن بُعد. وفي عام 2014م ذهبت لأخذ دروس في الزخرفة مع الأستاذ المزخرف مصعب الدوري في الشارقة وهو أستاذ الزخرفة في بيوت الخطاطين بالشارقة وقد تعلَّمت منه كثيراً من



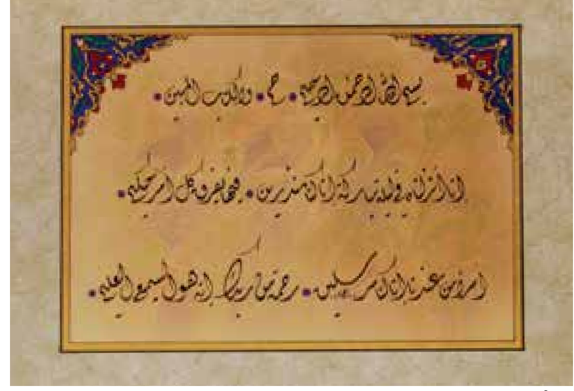
بسملة بخط الرقعة حاصلة على المركز الأول في ورشة كتابة البسملة بجمعية الثقافة والفنون بالدمام عام 1434هـ



"يارحمن يارحيم" عمل بخط الرقعة



الآية الكريمة "ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم" بخط الكوفي والحاصلة على المركز الثالث في مسابقة أرامكو للخط العربي 2010م



من أعمال الخطاطة: آيات من سورة الدخان بالخط الديواني من مقتنيات وزارة الثقافة



مشاركتها في مسابقة البردة 2017م: زخرفة على الأسلوب التيموري

الأسرار والتقنيات المهمة والأساسيات أيضاً وما زلت حتى اليوم أتعلَّم منه المزيد".

وحول أيهما أقرب إلى مشاعرها في العمل الفني قالت الصادق: "الاثنان محببان جداً لي، إلا أنني أمارس الزخرفة أكثر لقلة عدد المزخرفين والمزخرفات، والحمد لله اكتسبت ثقة الخطاطين وقمت بتذهيب بعض أعمالهم من بداية تعلمي في الزخرفة. في الخط نتعامل مع الحبر والقصب والورق، أما في الزخرفة فالتعامل مع الذهب عالم مختلف جداً لا يمكنني وصفه فذرات الذهب المسحوق لها أثر كبير على النفس وهدوئها فهي بدقتها اللامتناهية تأخذك للاسترخاء والتأمل.

خصوصية فن الخط:
وجود قواعد يجب الالتزام بها

حول خصوصية فن الخط، تقول الصادق إن الإبداع الفني بشكل عام هو ابتكار شيء جديد بعيداً عن التقليد والتكرار، مع مراعاة تحقيق مقومات العمل الفني الأساسية مثل التناسق والتوازن وغيرها. أما في الخط العربي بالتحديد، فالأمر قد يكون أصعب مما قد يكون عليه في الفنون الأخرى، لأن الخط يخضع لمقاييس وقواعد معيَّنة يجب الالتزام بها. وهنا يأتي دور الخطاط في شحذ أفكاره ومخيلته للوصول إلى نتاج إبداعي من دون كسر القواعد.

وتتوسَّع الفنانة الخطاطة في شرح الأمر، فتقول: يبدأ الخطاط أولاً باختيار نص مناسب للكتابة؛ بحيث تكون حروفه وكلماته قابلة لتحقيق الجَمَال الفني من خلال التناغم والانسجام والتركيب في قالب فني معيَّن وتوزيع الكتل، وصولاً إلى طريقة إخراج العمل الفني مثل اختيار الورق المناسب ولون الحبر والتأطير. إضافةً إلى ذلك، فإن عنصر الدهشة من أهم العناصر التي تحقِّق الإبداع في العمل الفني. فالمتلقي يحتاج لأن يبهره النتاج الفني، ليجذبه ويجبره أيضاً على تفحّص تفاصيله والوقوف أمامه طويلاً.

وهناك مرحلتان في العمل الفني في مجال فن الخط: المرحلة الأولى، وهي لحظة رسم الخط، حيث تعبِّر الخطوط وحركاتها عن الأحاسيس والانفعالات. وهي لحظة معقَّدة لا يمكن التكلم عنها، إذ تمتزج هذه الأحاسيس بالذاكرة وتمتد نحو جذور بعيدة وعميقة في النفس البشرية. والمرحلة الثانية، هي في الحوار مع النفس قبل الخط وبعده: من أين أتينا وإلى أين نذهب، ما هو الفن وما هو الخط؟ ثم التأمل في خطوط الماضي وتخيُّل خطوط المستقبل.

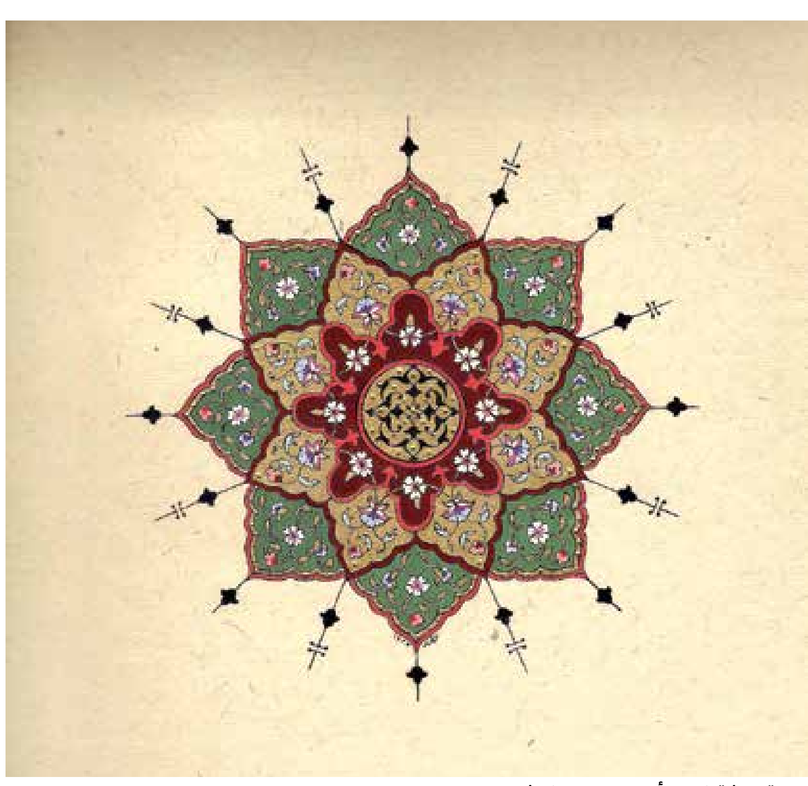
ومتى نستطيع أن نُطلق على شخص ما صفة "خطاط"؟

فتقول: "الحقيقة أن الخطاط يمر بمراحل تدريبية كثيرة منها كتابة المفردات ثم التراكيب ثم كتابة العبارات والكلمات وبعدها إنتاج اللوحة، وكل هذا يحتاج إلى جهد واستمرار للوصول إلى الإجادة والإتقان".

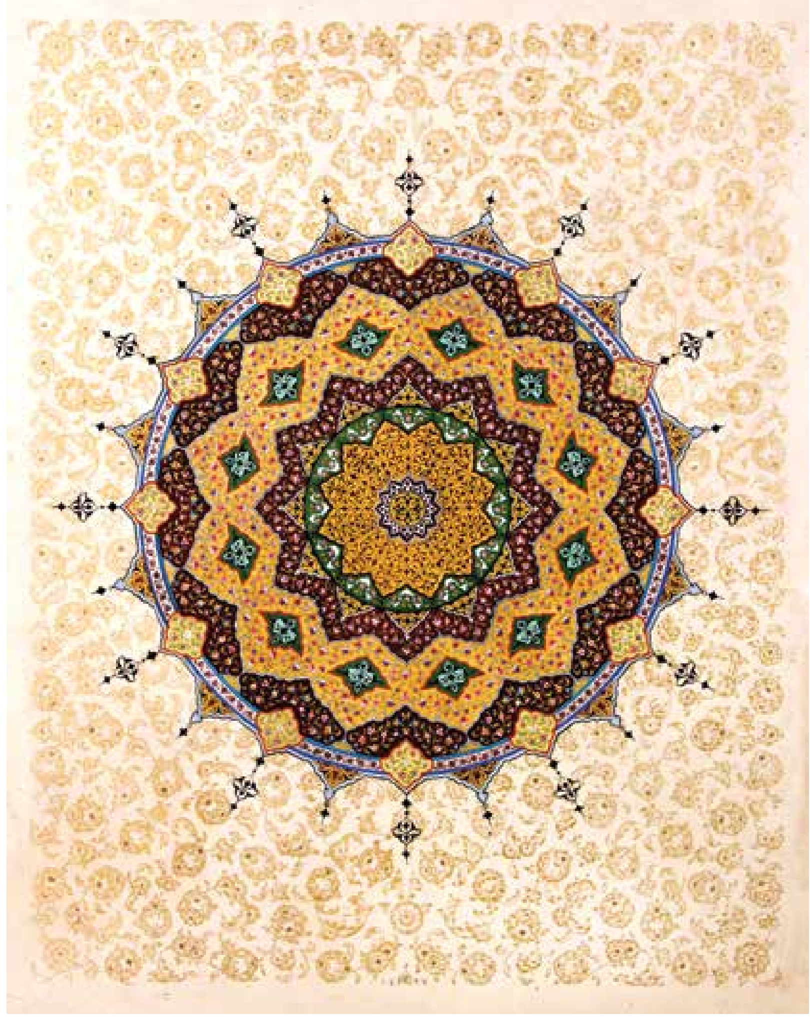
طبيعة الخطوط والتعامل معها

تعتقد الصادق أن الخط العربي كله آسر؛ فكل نوع من أنواع الخط له سحره خاص، وجماله الخاص. فهي تعشق الخط بكل أنواعه، لكن خط الثلث هو أكثر ما يجذبها ويجبرها على التوقف والتأمل فيه. إنه خط يضم كثيراً من التعابير كالقوة والصلابة والفخامة التي تتجلَّى فيها سيادته على باقي الخطوط.

وتقول: "ينبغي أن ننتبه إلى أن من أبرز جماليات الخط العربي أنه فن خاضع لأسس وقواعد ومقاييس تجعله منحصراً في دائرة الجَمَال المحسوبة بدقة وبالنسبة والتناسب؛ ابتداءً من الحرف



شمسة زخرفية ذهب وألوان غواش منفذة في عمل للخطاط عثمان العيسى

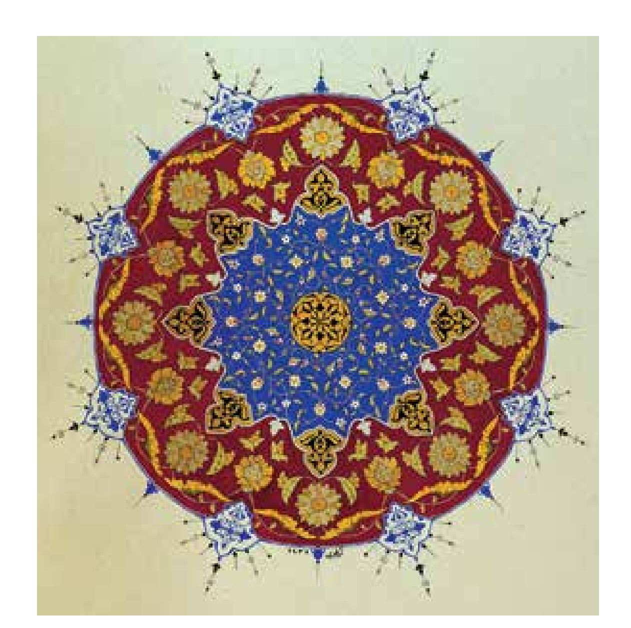


شمسة وهلكار / ذهب وألوان غواش من مقتنيات أحد الشخصيات بدبي

الواحد وأجزائه؛ وانتهاءً بالعمل الخطي المتكامل. والخط العربي يبرز جماله في المرونة والصلابة في الالتفاف أحياناً والإرسال أحياناً أخرى، فهو موسيقى بصرية ذات إيقاع متجدِّد".
وتفيدنا الفنانة بأن بعض الخطوط تمتاز بأنها صلبة جداً، فتتعامل معها رسماً كالخط الكوفي بأنواعه المورق والمزخرف والمظفر. وقد استُخدم هذا الخط قديماً في كتابة المصاحف والمراسلات والتدوين، حتى قام الخطاط العربي "ابن مقلة" بتحويل الخط الكوفي إلى النسخ والثلث، وذلك لسرعة الكتابة بخط النسخ في وظائف التدوين أو كتابة المصاحف؛ أما الخط الكوفي فأصبح تزييناً معمارياً.
وترى الفنانة أن الخطوط المرنة أو المستديرة هي أساس حُسن الخط وإتقانه. "فخط الثلث هو نقطة البداية في عالم الخط. وجرت العادة لدى الخطاطين أن يبدأوا بتعلُّم خطي الثلث والنسخ معاً. فمنهما يستطيع الخطاط الانتقال إلى تعلّم بقية الخطوط وإتقانها بسهولة. أما خط الرقعة والإجازة والديواني، فهي من الخطوط التي تساعد على الاسترسال في الكتابة، بسبب مرونتها وبساطة تركيب حروفها".

الأحبار التي تلوّنت مؤخراً

وحول غلبة اللون الأسود على فن الخط العربي، تقول الصادق إننا إذا عدنا إلى التاريخ، فسنجد أن الخطاطين القدامى استخدموا الحبر الأسود المستخلص من الهباب (السخام). وهناك مقولات كثيرة تؤكّد ضرورة الاعتناء بصناعة الحبر وسواده؛ فهو عنصر أساسي في اللوحة الخطية، بل يُعدُّ من عناصر الجَمَال فيها، ويمكننا أن نستشهد هنا بقول إسحاق بن إبراهيم المنجنيقي (توفي سنة 304هـ) إذ قال: "ومما يزيد الخط حُسناً ويمكّن له في القلب موضعاً شدّة سواد المداد".
كما استخدم القدماء الزرنيخ وماء الذهب، وكان بعضهم يضيف إلى الحبر قطرات من ماء الورد أو القرنفل أو المسك لتطييب رائحته. لكن الأسلوب التقليدي يتطلب الكتابة بالحبر الأسود والبني فقط، وهي الألوان المتعارف عليها والمطلوبة في كل محفل ومهمَّة. وقد استخدم الخطاطون المعاصرون ألواناً جديدة كالأزرق الفيروزي والأحمر الخمري كنوع من التجديد.



شمسة زخرفية ذهب وألوان غواش

وحدة زخرفية بأسلوب الهلكار منفذة في لوحة للخطاط علي المرهون

خطَّاطات عربيات مبدعات

تجدر الإشارة الى أن فن الخط في المنطقة الشرقية كان في ما مضى فناً مقتصراً على الرجال فقط. ولكن المنتدى النسائي كان أول من نفّذ دورات لتعليم فن الخط للنساء. فَرَاح عدد الخطاطات يتزايد باستمرار. ولكن ليس هناك إحصاء دقيق لأعداد الخطاطات ولا الخطاطين.
وتلفتنا ابنة سنابس إلى أن هناك خطاطات عربيات وغير عربيات وصلن إلى الإجادة، وحصلن على إجازة في الخط العربي من أساتذتهن، ولكن عددهن يبقى قليلاً جداً مقارنةً بالرجال. وتقول: "من بين الخطاطات المُجيدات أستاذتي القديرة الخطاطة والمزخرفة التركية آيتن ترياكي، الحاصلة على إجازة من شيخ الخطاطين حسن جلبي، والخطاطة البريطانية المولد باكستانية الأصل ثريا سيد، وهي تلميذة الشيخ جلبي أيضاً. ومن العراق اشتهرت الأختان الخطاطتان جنة وفرح عدنان عزت، وهما مجازتان من الخطاط المصري سيد إبراهيم، والخطاط التركي حامد الآمدي. وفي الإمارات حصلت الخطاطتان فاطمة سعيد البقالي، وماجدة المازم على إجازة الخط من الشيخ حسن جلبي أيضاً. أما في إسبانيا فحصلت الخطاطة نوريا غارسيا على إجازة الخط من الخطاطين القديرين حسن جلبي، وداود بكتاش.

مجالات توظيف الخط لا تنتهي

ونختتم هذا اللقاء مع الفنانة الصادق بالتوقف أمام مجالات توظيف فن الخط العربي التقليدي الذي يختلف بطبيعة الحال عن الطباعة الآلية؛ وكذلك عن خط اليد غير التقليدي، وأيضاً عن الخط الإلكتروني المبرمج في أجهزة الحاسوب والتصميم. فبإمكان الخطاط الماهر أن يبتكر كل هذه الأنواع من الخط؛ لذلك يستمر الخط العربي في الازدهار بوظائفه في استخدامات عديدة لا غنى عنها، مثل: دعوات الزواج والمناسبات، وتصميم الشعارات التجارية، والإعلانات، والتصميم الجرافيكي، والنقش على القطع الحجرية، والطباعة على الأقمشة والملبوسات والمفروشات. كما يُستخدم أيضاً في الأثاث الخشبي والمعدني، والصور المتحركة للسينما والتلفزيون، والخرائط، وغيرها كثير من الأعمال التي تعتمد على الكتابة. فالخط العربي حامل للغة العربية، وهو دائم مع دوامها إلى الأبد.





مَنْ زَرَّرَ قميصَ المعنى؟!

أسبح في خيالات الأبجدية عَلِّي أقبض على بلورة المعنى
أقطف تفاحةَ الخلود، وأخصف ضياعي بانزياحاتِ المخيلة
أهبط وعلى يدي سوارُ نبوءة
أمر بدهاليزِ الحكاياتِ وأصرخ:
(كأنه هو!)
أغامر بخطاي المتوثبة، أكشف عن ساقِ القصيدةِ الممرد
قبل أن يرتد طرفُ شعوري
أتربع على عرشِ الغياب؛ لأكشف قلقي الوجودي المنعكس
على مرايا الروح.

حوراء الهميلي

- شاعرة من المملكة العربية السعودية
- مواليد 1989م في الأحساء
- حاصلة على المركز الثاني في الشعر العامودي على مستوى مدارس محافظة الأحساء 2007م
- حاصلة على المركز الأول في أمسية جزل المقامة في جامعة السلطان قابوس في عُمان 2020م
- حاصلة على المركز الأول في مسابقة نادي تبوك الأدبي 2020م
- حاصلة على المركز الأول في مسابقة نادي أبها الأدبي 2020م
- لها عدَّة مشاركات إذاعية وتلفزيونية
- لها عدَّة مقالات ومنشورات في الصحف المحلية والدولية

ما شابَ شعري بانتصافِ شبابي
إني ادَّخرتُ عذوبتي لعذابي

زاوجتُ أجناسَ اللغاتِ على فمي
وكسوتُ جسمَ قصائدي بثيابي

ورقصتُ فوقَ منصةِ المعنى
فما أغرى حضوري غيرُ عطرِ غيابي

أقراطي الأفكارُ
خلخالي الهوى
والشوقُ في كفِّ الهيامِ خضابي

حنائي المنقوشُ فوق أصابعي
دلَّلتهُ بتمردِ العتَّابِ

وربطتُ في خصرِ الغوايةِ سوسنًا
يهفو إليَّ برقَّةٍ وتصابي

حتى إذا الفردوسُ شرَّعَ بابَه
أرسلتُ هدهدَ رحلتي بخطابي

متقصيًا مدنَ السؤالِ بحدسِه
من قبل أن يرتدَّ طرفُ جوابي

ما عاد إلا خائفًا مترقبًا
جناتِ مغفرتي / جحيمَ عقابي

ودنا إلى عرشي
فأوجسَ خيفةً
من عينِه انهمرتْ رؤى الأهدابِ

يحكي ليختزلَ المجازَ
بصورةٍ علويةٍ
من أفقِها الخلابِ :

أنثى
تريقُ الشمسَ في قسماتِها
ولها تقيمُ موائدَ الأنخابِ

ووجدتُها والضوءُ في منوالِها
منه تحيكُ مشيئةَ الأسبابِ

صلَّتْ فأمَّنتِ الرياحُ دعاءَها
والنهرُ فاضَ نوافلَ استجابِ

عرفانُها
يكسو المساءَ بهالةٍ فضيةٍ
من دمعِها المنسابِ

سبأُ المدائنِ
لم تكن إلا قرى قلبي
زرعتُ من الحنينِ شعابي

عكستني المرآةُ
ساقُ قصيدتي انكشفتْ رؤاها
عن قصورِ سرابي

وتحسستْ وجهي
تلاشى وجهها
كشحوبِ ضوءٍ منتشٍ بضبابِ

نكَّرتُ عرشي ما اهتدتْ
هل صدَّها قلقي
فلم تدركْ حقيقةَ ما بي

ما العرشُ ؟
مملكةُ الهوى
أنَّى اعتليتُ
سقطتُ من أعلايَ للمحرابِ

مالي إذا انتبهَ اليقينُ تزعزعتْ
أركانُ قلبٍ مؤمنٍ مرتابِ !

أرسلتُ من رحمِ النخيلِ
نبوءةً خضراءَ
أرفدُ صبرَها بترابي

مني احتطبتُ شقايَ
نايًا
ربما بذرتْ يدي تنهيدةَ الحطَّابِ

مبعوثةٌ مما نزهِّدُ من دمي
أنثى المجازِ وفي يديَّ كتابي

ومعارفي خبزُ الحقيقةِ
ملحُها زادي
ومن نهرِ السؤالِ شرابي

مرَّتْ بعقلي الأبجديةُ
نهرُها يجري بأوردتي إلى أعصابي

متشبثٌ بالذكرياتِ
وسَيلُه غمرَ الحكايةَ جارفًا أحبابي

مطرٌ
يبلوره الحنينُ
إذا انبرى بالدمعِ يرقبُ عودةَ الغُيَّابِ

ثَقبتْ سفينَ قصائدي تنهيدةٌ
لم تكترثْ لصلابةِ الأخشابِ

وتبخرَ المعنى الكثيفُ
سحابةً حبلى
تُقطِّرُ جملةَ الإعرابِ

من بعدِ طوفانِ الكلامِ
وفيضِه
انحسرَ اندفاعُ الماءِ عن أعتابي

نادمتُ صحوي
أومأتْ لي نجمةٌ
عصرتْ شفاهَ الغيمِ في أنخابي

بسلافةِ الفكرِ المعتَّقِ أرتوي
حدَّ استفاضتِهِ وعشةِ الأكوابِ

الشعرُ توأمي
المشيمةُ فكرةٌ
منها انبجسنا ساعةَ الإنجابِ

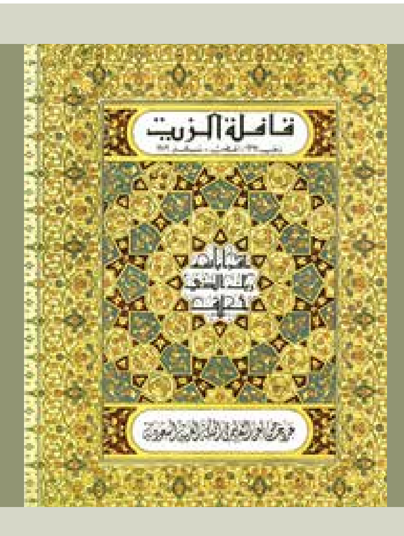
من حبلِنا السريِّ
غذتنا التجاربُ
شُكِّلتْ من وعيِه وصعابي

بتجاربي
بتساؤلي
بتخبطي

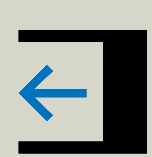
بصلابتي
بخطيئتي
وصوابي

بلورتُ صلصالي بماءِ تأملي
ونفختُ روحَ الشعرِ في الألبابِ





التعليم في المملكة العربية السعودية اليوم



في عددها الصادر في شهر رجب عام 1392هـ الموافق أغسطس/سبتمبر 1972م، نشرت القافلة سلسلة مقالات خصَّصتها للتعليم في المملكة العربية السعودية، أولها مقالة بقلم وزير المعارف معالي الأستاذ حسن بن عبدالله ابن حسن آل الشيخ، تحت عنوان "تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية منذ توحُّد أجزائها"، كما نشرت المجلة مجريات ندوة تحت عنوان "المناهج التعليمية وأساليب التدريس الحديثة وأثرها على المجتمع" وفي ثالثها تقريراً تحت عنوان "التعليم في المملكة العربية السعودية اليوم" حازت كلها أكثر من ثلثي صفحات المجلة. وهنا بعضاً مما جاء في التقرير الأخير.

لكي ندرك أبعاد مظاهر الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية، جدير بنا أن نعرف أن جميع أجهزة الدولة تقريباً تعمل متكاتفة بشكل أو بآخر وبصورة متكاملة على النهوض بالمستوى الثقافي والعلمي لجميع المواطنين حتى تتوفر للدولة الكفاءات والطاقات الكفيلة بالاضطلاع بأعباء الأعمال والمهام، صغيرها وكبيرها، التي تحتاجها المملكة في مرحلة التنمية الراهنة، لتلحق بالركب الحضاري ولتأخذ المكان اللائق بها بين الأمم الراقية المتطورة.

ونحن إذا ما أدرنا عقارب الزمن إلى الوراء، إلى نصف قرن من الزمان، نرى أن البون الشاسع والصورة مختلفة بينما كان عليه التعليم في ذلك العهد وبين ما هو قائم الآن. فحين كنا لا نسمع إلا بوجود كتاتيب صغيرة متواضعة يتولاها بعض المشايخ، حيث يقتصر التعليم فيها على القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والحساب، أو حلقات الدراسة في المساجد أو في المنازل يعقدها كبار الفقهاء، نجد اليوم أن التعليم قد تخطى تلك الأنماط والأساليب القديمة وقفز قفزة جبارة مسايراً في ذلك ركب الحضارة وروح العصر.

وللتعليم في المملكة في جميع مراحله أبعاد واضحة المعالم، تنبثق من روح الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخُلُقاً وشريعة وحكماً ونظاماً متكاملين للحياة. ومما هو حري بالذكر أن التعليم في المملكة مجاني ومتاح لجميع أبنائها، في جميع مراحله: الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية بل تقدِّم الدولة لجميع الطلاب في مختلف مراحل التعليم وأقسامه، الكتب المدرسية، ووسائل النقل، كما تصرف مكافآة مالية شهرية تشمل الجامعات والمعاهد المهنية وتشمل الطلاب العاجزين في كل المراحل. على ذلك فإن الدولة تدفع نفقات دراسة الطلاب المبتعثين إلى الخارج، وعلاجهم، وملابسهم وتنقلاتهم، ونفقات معيشتهم، حتى بلغت تلك النفقات في أشكالها المتعدِّدة ما يربو على واحد وستين مليون ريال خلال العام الدراسي 1390/1391هـ. وحسبنا في هذا المجال أن نستعرض بإيجاز نشاطات المؤسسات التعليمية العديدة في أرجاء المملكة بشيء من الاختصار يمليه علينا ضيق المجال.

مولد وزارة المعارف

بعد أن استتبت مقاليد الأمور لجلالة المغفور له الملك عبدالعزيز وعمَّ البلاد الأمن والاستقرار، انصرف - رحمه الله - إلى إرساء دعائم صرح الدولة الوليدة، وكان التعليم على رأس تلك الدعائم، فعرفت المملكة في غرَّة رمضان المبارك عام 1344هـ (1925م) أول مديرية للمعارف في تاريخها، وبذلك انتقل التعليم من مرحلة الارتجال إلى مرحلة التنظيم والتخطيط. واستطاعت المديرية، رغم إمكاناتها المحدودة، أن تحقِّق الغايات النبيلة التي وُجدت من أجلها، حيث اشتد إقبال الناس على تحصيل العلم. وقد بدأت المديرية بأربع مدارس ابتدائية، وما أن حلَّ عام 1372هـ (1953م) حتى أصبح لديها 306 مدارس موزعة في أنحاء المملكة. وتماشياً مع ركب التطوُّر وتضخُّم المسؤوليات، وتشعُّب أهداف التعليم، أصبح لا مندوحة من إحداث جهاز فعَّال تُلقى على عاتقه أعباء التعليم



الضخمة، فكان أن أنشئت بشهر ربيع الآخر عام 1373هـ (1953م) وزارة المعارف، التي أسندت مهامها إلى صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز آل سعود كأول وزير لها، فوضع نظامها على أسس ثابتة، فاتَّسعت دائرة التعليم وانتشرت المدارس انتشاراً سريعاً بفضل ما تُعدقه الدولة على هذا الجهاز. فبينما كانت ميزانية الوزارة 12,817,467 في السنة المالية 1391/1392هـ نجد أن مخصصاتها قد بلغت 711,377,892 ريالاً عام 1391/1392هـ. أي إن الزيادة في نفقات التعليم قد بلغت خلال فترة لا تتجاوز عشرين عاماً نحو 5900%، وهي أعلى نسبة يمكن تسجيلها خلال فترة مماثلة. وإزاء هذا التوسُّع الملحوظ في شؤون التعليم، بادرت الوزارة إلى تنظيم جهازها الفني والإداري لتتمكن من الإشراف المباشر على التعليم. فأوجدت لكل مرحلة أو نوع معيَّن من التعليم إدارة تتولى شؤونه الفنية وتُشرف على مناهجه الدراسية وتعمل على تطويرها بما يتماشى مع روح الإسلام وتعاليمه الرشيدة، ويتلاءم مع ظروف البلاد وتراثها المجيد، ويساير ركب التطوُّر الحضاري في العالم.

التعليم الابتدائي

لمَّا كانت المرحلة الابتدائية تمثِّل قاعدة الهرم التعليمي التي ترتكز عليها بقية مراحل التعليم، فقد أولت الوزارة هذه المرحلة، ولا تزال كثيراً من عنايتها، فبلغ عدد المدارس 1596 مدرسة تضم 308,598 طالباً. كما بلغ عدد المدارس التي افتتحتها الوزارة خلال العام الدراسي 1991/1992هـ 160 مدرسة موزعة على مناطق المملكة.

وقد تبنَّت الوزارة خطة خمسية للتوسُّع التعليمي اعتباراً من العام 1390/1391هـ، وهي عبارة عن خطة تربوية متكاملة تطوِّر الوزارة بمقتضاها مراحل التعليم





بمختلف مستوياته، ليؤدي الدور المطلوب كجزء من خطة الدولة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وقد تقرَّر بموجب الخطة فتح مزيد من المدارس الابتدائية في المدن والقرى، وبناء ما لا يقل عن 65 مدرسة خلال العام 1392/1393هـ. وقد أخذت الوزارة على عاتقها تقديم وجبة غذائية كاملة لطلاب المرحلة الابتدائية في خمس مناطق هي: وادي الدواسر، والحوطة، والحريق، ونجران، والجوف، والقنفذة.

التعليم المتوسط

لم يبرز للتعليم المتوسط كيان مستقل كمرحلة منفصلة إلا عام 1378هـ. فقبل ذلك التاريخ كان يندرج تحت مسمَّى التعليم الثانوي. ففي عام 1346هـ أُنشئ "المعهد العلمي السعودي" في مكة المكرّمة، وكانت مدة الدراسة فيه أربع سنوات بعد المرحلة الابتدائية. ثم أعقبه فتح معهد مماثل بالمدينة المنوَّرة عام 1348هـ. وفي عام 1356هـ، أنشئت بمكة المكرمة "مدرسة تحضير البعثات العلمية" ذات السنوات الدراسية الخمس بعد المرحلة الابتدائية. وقد كان الغرض منها إعداد الطلاب لمواصلة دراساتهم العليا. وتزايد من ثم عدد المدارس الثانوية التي تشمل المرحلة المتوسطة حتى بلغ عددها عشر مدارس عام 1372هـ. وقد ارتأت الوزارة فصل المرحلة المتوسطة عن المرحلة الثانوية في مستهل عام 1378هـ.

وتقضي الخطة الخمسية الرامية إلى رفع مستوى التعليم في المملكة، التوسُّع في المرحلة المتوسطة للعام الدراسي المقبل بافتتاح 24 مدرسة، وتشييد حوالي 13 مبنى مدرسياً. هذا، وقد تم إنجاز منهج جديد للمرحلة المتوسطة بسنواتها الثلاث، سيجري تطبيقه العام الدراسي المقبل 1392/1393هـ، وهو يتمشّى مع النظريات التربوية الحديثة.

التعليم الثانوي

افتُتحت أول مدرسة ثانوية في المملكة عام 1356هـ بمكة المكرّمة تحت اسم "مدرسة تحضير البعثات العلمية". وقد ضمَّت 41 طالباً في فصلين، وبلغ عدد مدرِّسيها ستة. ثم أخذ عدد المدارس الثانوية يرتفع تدريجياً منذ أن انفصل التعليم الثانوي عن التعليم المتوسط عام 1378هـ. ففي الفترة الممتدة بين عامي 1379 و1392هـ ارتفع العدد من مدرسة واحدة تضم 116طالباً إلى 52 مدرسة تضم 12638 طالباً.

ويلتحق الطالب بهذه المرحلة بعد حصوله على شهادة الكفاءة المتوسطة، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات دراسية يتقدَّم الطالب في نهايتها إلى امتحان وزاري عام يحصل الناجح فيه على شهادة الدراسة الثانوية العامة (التوجيهية) بأحد قسميها، العلمي والأدبي. وتجري الآن دراسات تربوية مستفيضة على مشروع المنهج المقترح للمرحلة الثانوية، كما تجري الآن دراسات بالمستوى نفسه حول نظام الامتحانات لهذه المرحلة بحيث يصبح هذا النظام محققاً لأهداف تعليمية وتربوية فعّالة لا مجرد سبر معلومات اكتسبها الطالب. هذا وتتجه النية إلى افتتاح مدرسة ثانوية أو أكثر للمتفوقين، ضمن التجارب التربوية التي تقوم بها الوزارة بغية تطوير مستوى التعليم الثانوي تطويراً يؤدي إلى تحقيق أهدافه بشكل ملموس. وتتضمَّن الخطة الخمسية افتتاح مدارس جديدة، وإنشاء ثلاثة مبان مدرسية ومكتبة ومختبرين للعام الدراسي 1392/1393هـ.



حسن جوني وبيروت

فيدل سبيتي

بعد 30 معرضاً فردياً و45 معرضاً جماعياً على مدى خمسين سنة، أصبحت لأعمال الفنان اللبناني حسن جوني بصمة خاصة، يسهل على العين أن تكتشف صاحبها من النظرة الأولى إلى أي من لوحاته المغمورة بالألوان الزاهية، والحاملة في طياتها موضوعين أثيرين على فؤاد هذا الرسام: أولهما المكان، وثانيهما شخصيات هذا المكان.

المكان في لوحات جوني هو القرية والمدينة على السواء، إلا أن مدينة حسن جوني أي بيروت، أقرب ما تكون إلى قرية، أو إلى "عنقود قُرى". فالرسَّام الذي وُلد في العام 1942م، أمضى طفولته وفتوته في حي زقاق البلاط البيروتي، الذي كان أقرب إلى قرية على ضفاف المدينة في تلك الفترة. وكانت منازل هذا الحي، على الرغم من فقر سكانه، مبنية وفق تصميم هندسي هو خليط بين النموذج التركي والفرنسي والقرميد الأحمر الآتي من القُرى الجبلية في لبنان.

كان جدُّ الرسام جوني قد ترك قريته في جنوب لبنان نحو بيروت المزدهرة اقتصاداً وأعمالاً وفنوناً وثقافة في خمسينيات القرن الماضي. وفي الحي الفقير الذي يستقبل فقراء النازحين، استأجرت العائلة غرفة صغيرة من بيت كبير، وسط جيران يجمعهم الفقر، ويكاد يتشارك معهم حتى الهواء. وُلد حسن الصغير وكبر يحيطه أناس كُثُر بمزاجات متفاوتة وأصوات مختلفة وأشكال كثيرة وحكايات كان يتابعها بصمت من وراء طفولته. ولذا يقول اليوم: "كلما عدت إلى ذاتي ألتقي بحشد من الناس ومظاهرة من الوجوه".

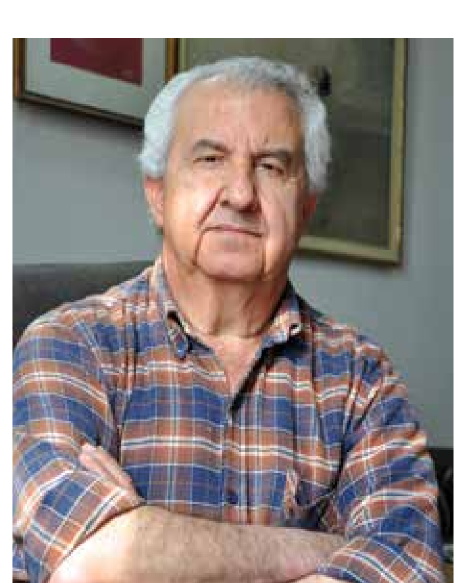
لكن بيروت حسن جوني وبيوتها تدمَّرت مرَّات ومرَّات، في الحروب اللبنانية ومن ثم في الاجتياح الإسرائيلي للبنان في عام 1982م، وخلال حرب يوليو 2006م، ومن ثم في الانفجار الكبير الذي ضرب بيروت في 4 أغسطس من العام الجاري. وهو على الرغم من ذلك لم يرسم الدمار، بل أصرَّ على الاحتفاظ ببيروت القديمة على قماش لوحاته كما تبدو له في الذاكرة. ولم يدفعه الدمار المتتالي إلى ألوان الحِداد القاتمة، بل ظلَّ وفياً لألوانه "القزحية" الفرحة التي تعجن القرية والطبيعة وألوانها والمدينة "القروية" في معجن واحد.

التأثير الاجتماعي البيروتي

ولادته في أسرة فقيرة وكان هو كبير إخوته، دفعته إلى تحمُّل المسؤولية صغيراً. فعرف شظف العيش والشروط الصعبة لتحقيق حلمه بحياة كريمة في سنٍّ مبكرة. وهذا ما شكَّل لديه إحساساً بالتعاطف والتضامن مع فقراء الأحياء البيروتية، ومع أناسها الذين يمضون نهاراتهم في أزقتها ومقاهيها القديمة التي كانت تنتشر في أنحائها. فتضيف شخصيات الرسَّام حسن جوني تعريفاً مختلفاً للمكان في لوحته، ممسوحاً بمسحة إنسانية وعاطفية. فالأمكنة المادية بأبنيتها ونوافذها وقرميدها وشرفاتها وأزقتها ومقاهيها وطاولاتها وكراسيها وصحفها والبحر الأزرق الذي غالباً ما يحضر في هذه اللوحات، كلها يُعاد تعريفها بأناسها وسكانها، بوجوههم وحركاتهم داخل اللوحة، التي قد تعبِّر عن فرح أو قلق أو حزن، أو اندماج في المكان. وكأن الألوان التي ترسم الناس وأماكنهم، تخلق كائناً واحداً مندمجاً ومتكاملاً.

بيروت حسن جوني عنقود القرى في العمران والاجتماع







من يحتضن الآخر: البحر أم بيروت؟

بيروت من نافذة الفنان وفي مخيلته

صمود الألوان الزاهية

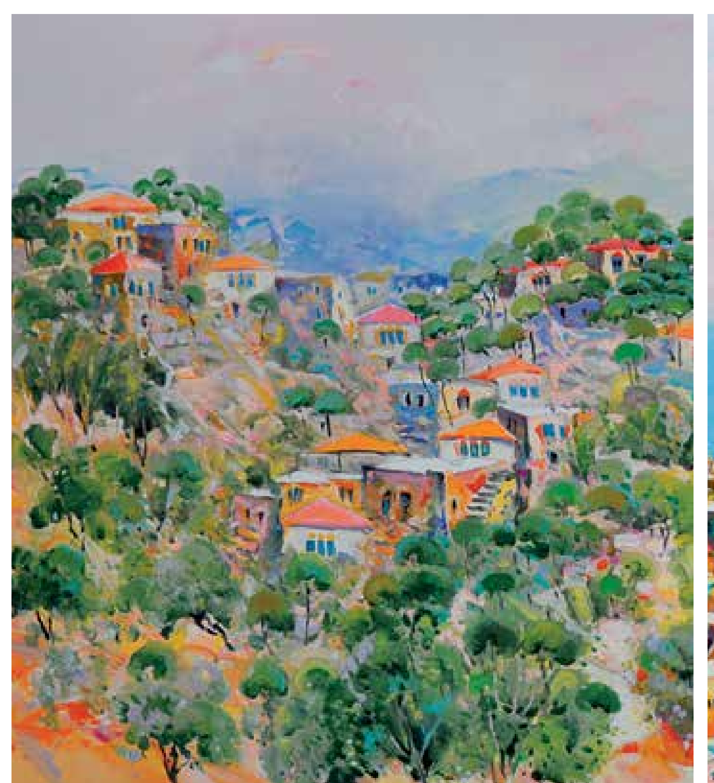
حسن جوني هو رسّام بيروت القديمة التي يحتفظ بها في ذاكرته، وبيروت هي موضوع حسن جوني الأثير. فيقول في إحدى مقابلاته محاولاً شرح سبب احتفاظه ببيروت القديمة موضوعاً للوحاته حتى الحديثة منها، أن هذه المدينة محكومة بلعنة تراجيدية من جهة، وبجمالها الاستثنائي من جهة أخرى، فهو هكذا يحاول عبر اللوحة القبض على المكان قبل تغيره أو زواله.

المشهد المديني أساس اللوحة "الجونية"، من المقهى إلى سلوكيات روّاد المقاهي، ومن الناس الذين يستريحون على مقعد في كورنيش البحر، إلى المحتمين من المطر بالمظلات، والباعة المتجولين، والذاهبين والآيبين من قراهم بالحافلات الكبيرة، وأصحاب الحوانيت والعشاق في ضوء القمر، والنازحين المهجّرين مع أمتعتهم على مناكبهم، قبل أن تحط الريشة رحالها على تصوير مشاهد الأبنية المترنحة والحافلات المشحونة بأهل القرى وألوان البساتين، والسائرين في شوارع المدينة التي يمنحها وجودهم واكتظاظهم وتحركاتهم وتنقلهم "مدينيتها".

حساسيات متناقضة

لا يبخل الرسّام اللبناني بشرح وجهة نظره حول المدينة، وتعينه حساسيته وولعه بالشعر منذ شبابه على تقديم وصف وجداني مغموس بالحنين الشاعري والموسيقى اللونية. فبعد أن كان يستخدم الألوان كنوتات موسيقية مجازاً، بات يشعر أن الموسيقى غابت عن لوحاته، وأن ثمّة لوحة داخل اللوحة. حيث انعكست المفاهيم التي صار يحسها تجاه أرضه وبيته وبحره وجبله وسهله. كان يريد للبيوت القرميدية أن تستكين لأنها للمبيت لا للرحيل. هذه البيوت المتشظية تشبهه، لكنه مضطر كرسام إلى إعادة بناء هذه الفوضى لتكون شهادة وشاهداً على هذا الزمن.

لكن في التجربة اللونية المديدة لجوني، هناك انقلابات في الموضوع والتعبير كانت تحدث في فترات متباعدة، فتعود إلى مناظر القرى الموزَّعة على سفوح الجبال، لتتخذ في لوحاته مزيجاً بين شكلها الواقعي وبين رغبته في ما يجب أن تكون عليه، كما لو أنها مشاهد من فردوسه الداخلي. فرسم وهاداً تغمرها أشجار الزيتون والتين وكروم العنب، وبيوتاً مُنارة بالألوان الزاهية المُفضية إلى انشراح الناظر، فأخذتنا ريشته من القمم المغطاة بالضباب إلى الوديان، ومن أخضر الأشجار وألوان الأزهار الربيعية إلى السفوح الصخرية الجرداء ومن القرى ووداعتها وسكينتها وبطء الحياة فيها إلى المدينة المتشكِّلة، ليس من تصميم عمراني واحد بل من علاقات اجتماعية معقّدة ومتشابكة. ←







شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine

فِلْم "المسافة صفر"..

بين السرد المتأنّي والغموض المُربك

خالد ربيع السيد



يسعى السرد الروائي السينمائي دائماً إلى أسر انتباه المشاهد منذ اللحظات الأولى لعرض الفِلْم، فيبذل المخرجون قصارى جهودهم ليضمنوا ذلك. وهذا ما سعى إليه المخرج السعودي الشاب عبدالعزيز الشلاحي في تحقيق فلمه الطويل الأول "المسافة صفر"، فهل نجح بالفعل في جعل فلمه هذا جذَّاباً وشيِّقاً وغامضاً في الوقت نفسه؟





عادة، يتوقَّف عنصر الجذب في اللحظات الأولى من أي فِلْم، ومن ثم طوال مدة عرضه، على توفُّر عدد من العناصر الأساسية التي غالباً ما تختلف بين فِلْم وآخر، ولكنها تبلغ أهميتها القصوى في أفلام التشويق والغموض.

ومن أهم هذه العناصر الممكّنة من الاستحواذ على انتباه المشاهد الإيقاع السردي المتسارع، والحدث المفاجئ، والمونتاج الذي يكفل تداخل اللقطات بمددها الزمنية التي يُستحسن أن تكون قصيرة، فتؤدي بالمشاهد إلى الترقُّب وتشدُّ حواسه وعقله، وغير ذلك.. ولكن الشلاحي لم يتبع كل ذلك في فلمه "المسافة صفر" الذي جاء بهذا العنوان للإشارة إلى أن لا مسافة على الإطلاق بين البطل والفاعل المؤثر في مجرى الأحداث.

تبلغ مدة عرض هذا الفلم 73 دقيقة، كتبه للشاشة مفرج المجفل، وأنتجته جمانة زاهد بدعم من مركز إثراء، وقام ببطولته كلٌ من خالد الصقر، ويعقوب الفرحان، وأسامة صالح، وعبدالله الزيد، وإبراهيم الحساوي، وإلهام علي.

ولو تأملنا التقنية التي اتبعها المخرج عبدالعزيز الشلاحي، سنجد أنه اعتمد على إيقاع بطيء، سواء في حركة الكاميرا أو طول اللقطات، وحتى في حركة الممثلين وحواراتهم، وكذلك في المؤثرات البصرية والصوتية والضوئية. وبالتالي، تخلَّى عن الإيقاع المحموم والحوارات المتوترة والأداء المشحون بالحركة السريعة والانفعالات العاطفية الحادة. فهل هذه ميزة الفلم أم نقيصته؟

الجريمة والغموض في الحبكة

تدور أحداث فِلْم "المسافة صفر" في عام 2004م، حول "ماجد" (خالد الصقر) المصوِّر الفوتوغرافي وصاحب استوديو تصوير في وسط العاصمة الرياض، ورفيقه "لامي" (يعقوب الفرحان) الذي أُودع السجن بتهمة الضلوع في الإرهاب.

وبعد أن هرب ماجد من ماضيه المضطرب، يجد نفسه وسط واقع غريب، عندما يعثر فجأة على علبة دواء لعلاج اضطرابات الذاكرة تحمل اسمه. كما يجد صورة لجثة على أرض شقته، ومسدساً ذا رصاصة ناقصة في سيارته، وغير ذلك من مفارقات وأمور غير متوقعة تؤكِّد إصابته بالألزهايمر والنسيان المتكرر، فيحاول جاهداً بمعاونة خطيبته "أبرار" (إلهام علي) إبعاد شبح المرض، ومن ثم الشبهة الجنائية التي حاصرته بها القرائن والأدلة من كل جانب.

منذ اللحظات الأولى، يبدأ الفلم ببث التشويق والأجواء الغامضة ليجعلهما يسيطران على المشاهد، ويزدادان مع مرور الأحداث، حيث تتولد الأسئلة: هل ماجد فاقد للذاكرة فعلاً؟ أم أن أحداً يريد أن يوهمه بذلك، ويُعد له العدة ويخطط بمكر ودهاء بمعاونة عدة أشخاص لتوريطه في جريمة قتل لم يقترفها؟ ثم ما الدافع للقتل؟

استرجاع متداخل

لا جدال في أن أفلام الجريمة تكون دائماً مغلَّفة بالغموض، ولها توليفة خاصة تعتمد على الحبكة المترابطة والمنسابة بإيحاء مكثَّف، لتوليد الأسئلة الحائرة لدى المشاهد، بهدف إثارة حب الاستطلاع والتنبؤ بما سيجري من أحداث لتبديد الغموض. وبالطبع، فإن ذلك يأتي وفق منطق القصة التي يكتنفها الغموض، ولا يكتمل حلّ خيوطها سوى في المشهد الأخير.

ولتحقيق التشويق، اتبع المخرج في سرده لأحداث الفلم على البدء من النهاية؛ أي إنه يطالعنا في المشهد الأول بمنظر جثة على الأرض غارقة في دمائها، فيما يقف ماجد مذهولاً من المنظر الذي أمامه. ثم يبدأ الفلم بالاسترجاع المتسلسل للأحداث؛ ليضع المشاهد في بؤرة الصراع الذي يفسِّر معنى وجود هذه الجثة. بما يؤكد بالقطع أن الميت تعرَّض للقتل، ولم يمت لسبب آخر كالانتحار أو السقوط من مكان عالٍ. ولكن منظر الجثة يفاجئ صاحب المنزل ماجد الذي يبدأ بالتقصي عبر "الفلاش باك".

غير أن استرجاع الأحداث لا يسير في وتيرة منتظمة؛ إذ يتنقَّل بين مشاهد عديدة متداخلة؛ فتظهر شخصيات جديدة في كل مرَّة، وفي ذلك ما قد يكون مربكاً للمشاهد، غير أن المخرج صاغها بمنطق يقبله العقل، وهذا ما أضفى على الفلم طابع الجذب الذي أشرنا إليه في البداية. وحرص صانع الفلم على تجويد محاكاة الفترة

الزمنية التي تدور فيها الأحداث، عام 2004م، فتذهب الكاميرا إلى الأماكن الحقيقية التي برزت في تلك الفترة، وتصوِّر الأحداث ضمن البيوت، والشوارع، والسيارات، ومدرسة البنات، وقسم الشرطة وغيرها، كما كان كل شيء في تلك السنة. وهي سنة ليس بعيدة كثيراً عنا الآن، لكن استرجاع التفاصيل الخاصة بها والمحافظة عليها تتطلب تركيزاً مكثفاً حتى لا يظهر ما يخل بزمن الرواية.

تميَّزت تلك الفترة الزمنية بتأثيرات التطرف الديني الذي أحدث تغييراً كبيراً في مفهوم الصحوة الدينية. وبسببه اختلت المفاهيم لدى الشباب المنحازين والمنضمين للتيارات الدينية المتطرفة. ولكن الفلم لم يكن واضحاً في طرحه، وبدا الأمر وكأنه إقحام غير متجانس مع قصة الفلم. فالحوار الذي يجري في المسجد يبدو حواراً منفصلاً لا يمت لقصة الفلم بصلة، رغم أنه مهم، إذ نخرج منه بفهم لمدى تأثُّر الشباب بشيوخهم، (وفاة الشيخ راجح). ورغم ما في المشهد من إجادة في الحوار والملابس والمكياج الذي بدا طبيعياً، نبقى نتساءل: من هما هذان الشخصان؟ الفلم لا يقدِّم تمهيداً منطقياً للتعريف بالشخصيتين.

تأصيل الواقعية

تشدِّد التفاصيل البصرية في هذا الفلم على جعله يبدو حقيقياً بلغة فنية تلامس الواقع. فبداية من عنصر التمثيل الطبيعي الذي أتقنه الممثلون جميعاً، فبدوا في حالة تقمص كاملة، إلى الاهتمام بدقائق الخصائص الاجتماعية التي تميِّز أهل منطقة الرياض، مثل العلاقات بين أصحاب المحال التجارية، والعلاقة بين شاب وفتاة تربطهما علاقة حُب ووعد بالزواج ضمن العادات والموروث الاجتماعي، وصولاً إلى الأماكن الحقيقية والاستعاضة عن مواقع التصوير المصنوعة، كل ذلك يعزِّز الشعور بالمصداقية الفنية والصناعة السينمائية المجوّدة.

كما أن فهم "أبرار" لحالة خطيبها "ماجد"، وتفسيراتها لما يحدث له بحس أنثوي يرجح أن ماجد بصحة جيدة، هو أيضاً من النقاط التي تقرِّب من الواقعية، إنه إحساسها الصادق، والتفسير الواعي بالمنطق العقلاني الأنثوي... (النسيان رجل والذاكرة امرأة) هكذا قالت أبرار لماجد.

وفي مشهد مهم، نرى شخصاً يدعى مروان، خارجاً من السجن، يقابل ماجداً ويقول له إنه مدين له بنصف ما يملك، وإن لديه يومين لتسديد ما عليه. ولا يكون هناك مبرر واضح لذلك التهديد.

في كل تلك الأحداث يحاول المتفرج إيجاد إجابة عن أسئلة من نوع: ما هو مبرِّر جريمة القتل التي حدثت؟ ومن هو القاتل؟ ولماذا يريد القاتل توريط ماجد والزج به في السجن؟

في المشهد الأخير من الفلم يكشف صديق ماجد، لامي، عن دافعه لقتل مروان، وتوريط ماجد في ذلك، فيقول: "أحياناً تحس بأن شيئاً خانقك، تحس أنك لا تستطيع أن تكمل حياتك إلا إذا قتلته. تقتله ليس حتى تفوز، حتى تتعادل؛ فقط تتعادل".

ينتهي الفلم ولا تزال الأسئلة حائرة.. ◼





المُخرج والفِلْم

- حصل المخرج عبدالعزيز الشلاحي على جائزة أفضل مخرج في مهرجان الأفلام السعودية عام 2016م.
- من أبرز أفلامه «عطوى» 2015م، و«كمان» 2016م، و«المغادرون» 2017م.
- بلغت تكلفة إنتاج فلم "المسافة صفر" نحو 350 ألف دولار.
- حاز جائزة أفضل سيناريو في مسابقة أيام الفلم في عام 2017م. وجائزة أفضل فِلْم روائي طويل في مهرجان أفلام السعودية 2019م. وجائزة أفضل إنجاز سينمائي في مهرجان الإسكندرية السينمائي 2019م.
- وشارك في المسابقة الرسمية في الدورة الثانية من مهرجان الدار البيضاء للفلم العربي الذي حاز فيه الممثل خالد الصقر شهادة.
- وشارك في الدورة السابعة من مهرجان الشارقة السينمائي الدولي.



حُبُّ الوطن ووعي المواطنة



د. محمد المسعودي

منذ بدء الأوطان في التاريخ، وهناك اصطلاحات ومقولات عن الوطن وحُبِّه والمواطنة. ولكن مفاهيمها "التطبيقية" تغيَّرت على مر الأزمان والأوطان. وإذا كنا نتحدث عن الوطنية ومصدرها واشتقاقها وتغيّرها، فلا بد من معرفة أن هذا التغيُّر أيضاً لا يلغي مطلقاً جوهرها ومعناها الحقيقي، ولكنه يحدِّدها بإطارات قد تكون فلسفية وجغرافية مختلفة.. ومن ثم يخرجها عن السياق التقليدي إلى سياق مستحدث تم تكوينه بفعل المتغيرات التي تحدث في العالم.

"كثيرون" عرفوا الوطنية وخافوا من الانزلاق في حساسية التعبير عن مترادفاتها. فالشعور المتنامي الزائد عن الحد في الانفعال يخلط الأوراق بين الانفعال الحقيقي والافتعال الزائف. وكثيرون تشدّقوا بحب الوطن، وهم ليسوا كذلك على أرض واقع وطن.. "فلا تخدعوا بنظرات الحنين الزائفة في وجه من يتظاهر بالوطنية، وهو غير ذلك!" هكذا قال أبو الأدب الأمريكي مارك توين، وهكذا عبَّر عن حبه للوطن.

وهناك من تخاذل في حب الوطن وأبحر في خلق الأوهام والأعذار وهو مكشوف، بل مخطئ بائس.. وهناك وطنيون "حقيقيون" يتنفسون حُبّ الوطن ويعيشون على أمجاده، لكنهم منفعلون ثائرون لا يقيمون للعقل والمنطق مكاناً بين مشاعرهم المخلصة السخية!

التعبير السائد عن حُبّ الوطن مفهوم ناشئ من العمق الحقيقي للتفاني من أجله، لتنشأ العاطفة التي تُلهم المواطن بما ينبغي له أن يقدِّمه لوطنه في كل المجالات، ثم تتكوَّن حالة الانتماء "القصوى" التي تجعل الفرد على استعداد كامل للتضحية من أجل الوطن ومن أجل المجتمع ورقيّه، تحدها المصلحة العامة بمنأى عن "شخصنة" الوطن.

فحُبُّ الوطن ليس تعبيرات رمزية لحظية، أو شعارات وصوراً وأعلاماً تبرز في يوم من أيام السنة، أو عبر يوم إجازة رسمية، أو برنامجاً إذاعياً مدرسياً أو إخبارياً، بل هو ثورة ذاتية ملتهبة في النفس، تصدر من عمق الأرض ورحمها، فترسلُ أشعة نورها إلى القلب، فتحرِّك حرارتُها الأعضاء وتنير أمامها سبيل الحياة.. تلك الوطنية والوطن، المصطلحُ الرائع بين الأمم والحضارات والشعوب على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وأديانهم ومذاهبهم ، يتغنَّون بنشيده، يمجِّدون تاريخه وأمجاده، ويصطبغون بلون ترابه وطهره، يرسمون بسمة فخر ونشوة فرح واعتزاز غامر "مستديم" يحتّم علينا تفهمه وتشبعه وإرضاعه للأجيال. يقول أكبر روائيي الأدب الروسي والأدب العالمي ليو تولستوي: "لا ينبغي لنا أن نحب الوطن حباً أعمى، فلا نرى عيوبه ولا نسعى لإصلاحها أو مواجهتها في الواقع". وتلك دائرة مهمة، تحتاج منا البدء بمعالجة "أنفسنا" أولاً، ثم محيطنا، ثم ننتقل إلى كل رقعة على أرضه وذرة في ترابه، نفتش عن العيوب التي أوجدناها ومشكلاته التي ورثناها ونبحث عن الحل كقضية تهمنا كمجتمع وليس كأفراد. لأن الوطن يبدأ من حيث ينتهي الفرد، ويبدأ بحلم كبير يستوعب أحلام الجميع، وتلك بديهيات نعرفها، وحان وقت تحويلها من مقولات نردِّدها بيننا وبين أنفسنا، وشعارات نتعاطف معها ونؤيدها.. فنحن دائماً نريد الصلاح والإصلاح، والأمن والأمان، والتقدُّم والرفاهية للوطن ولا يمكن أن نحقق ذلك من دون يقظتنا وإخلاصنا لرغبة كل منا دائماً في تغيير الواقع للأصلح والأفضل بطرق واعية متزنة.

المواطنة الصالحة هي أن يسعى الإنسان قدر جهده وفي مجاله ومسؤوليته إلى التغيير نحو الأفضل في وطنه ودفع الضر عنه بمقتضى العلم والعمل انطلاقاً من ثوابت الدين والعقل والحكمة. بقي علينا نحن السعوديين أن نسعى بعطاءاتنا وإخلاصنا وأكثر إلى التغيير بإيمانٍ ثابت، وبمقتضى الروح والعلم، والعمل لحاضر الوطن ومكتسباته، ودعم قيادة والدنا "سلمان الحزم" وأخينا "محمد العزم"، ورؤيته المبينة، ليبقى وطننا ساحةً خضراء، نقيّاً من الشوائب كما ورثناه. كما علينا مبادلة الوفاء انتماءً وولاءً حتى يكون أنموذجاً في البناء والتشييد بطريقة واعية ترى الأمور في نصاب لا تحيد أبداً عنه؛ لننعم في ظله الوارف خلوداً، وننشد قيثارة الأرض وزغرودة الوطن "للمجد والعلياء".



تصوير: عبدالله الشمري

مجموعة العشرين



نظمي الخميس وإيمان عبدالله

تحت عنوان "اغتنام فرص القرن الحادي والعشرين للجميع"، يترأس خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز قمة مجموعة العشرين الخامسة عشرة في الرياض، يومي 21 و22 نوفمبر 2020م. وسيلتقي في هذه القمة القادة والمسؤولون الذين يمثلون ثلثي الاقتصاد العالمي، إضافة إلى عدد من القيادات السياسية الأخرى ورؤساء مؤسسات اقتصادية ومنظمات مدنية، ليناقشوا جميعاً كيفية تحقيق هدف الاجتماع عبر ثلاثة محاور رئيسة:

1. تمكين الناس؛ بإتاحة الفرص للجميع خاصة الشباب والنساء للعمل والعيش والازدهار.
2. حماية كوكب الأرض؛ من خلال الحد من الانبعاثات وحماية الموارد.
3 . تشكيل آفاق جديدة؛ بوضع استراتيجيات طويلة الأمد وجريئة لمشاركة الابتكار والتقدُّم للتكنولوجيا بين الجميع.

نبذة عن نشأة مجموعة العشرين

على الرغم من أن الاقتصادات الصاعدة كانت قد أصبحت منذ أوائل تسعينيات القرن العشرين أنشط في الاقتصاد الدولي، لا سيما في الأسواق المالية، إلا أن هذا لم ينعكس في البنية المالية الدولية حتى اندلاع الأزمة المالية الآسيوية بين عامي 1997 و1998م. فقد بيَّنت هذه الأزمة مدى تأثير اقتصاديات شرق آسيا الصاعدة على الاقتصاد العالمي. ونتيجة لذلك، تأسَّست مجموعة العشرين في أواخر عام 1999م كمنتدى اقتصادي دولي دائم لتشجيع التنسيق بين الاقتصادات المتقدِّمة والناشئة. ومع ذلك، بقيت G20 منتدى ثانوياً لـ G7 وG8؛ إذ كانت الاجتماعات تُعقد في مجموعة العشرين مقتصرة على وزراء المالية ومحافظي البنوك المركزية، بينما كانت تعقد مجموعتا السبع والثماني اجتماعات على مستوى القادة، إضافة إلى وزراء المالية.

وانعقد الاجتماع الأول لوزراء مالية ومحافظي البنوك المركزية لمجموعة العشرين في برلين في ديسمبر 1999م، بمبادرة من الولايات المتحدة وألمانيا وكندا. في عام 2005م، تم منح الأسواق الناشئة مزيداً من النفوذ في المناقشات الاقتصادية الدولية عندما فتحت مجموعة الثماني أبوابها جزئياً.

ولكن مجموعة العشرين لم تنجح في اكتساب الزخم حتى أزمة 2007-2009م الاقتصادية العالمية. فقد شهدت تلك الفترة الولادة الحقيقية لمجموعة العشرين، عندما انتقل الاهتمام إليها بدلاً من مجموعة السبعة. وشكّل الاجتماع الخاص لمجموعة العشرين الذي عُقد في واشنطن في نوفمبر 2008م نقطة التحوُّل في تاريخها، إذ تم رفع اجتماع واشنطن لأول مرَّة إلى مستوى رؤساء الدول أو الحكومات.

تأسست مجموعة العشرين في أواخر عام 1999م كمنتدى اقتصادي دولي دائم لتشجيع التنسيق بين الاقتصادات المتقدِّمة والناشئة.



بيان القادة الذي يصدر بعد كل قمَّة، هو بيان عام يُدلي به القادة، وقد يحتوي التزاماً بسياسات محدَّدة على المستوى الوطني والدولي، والإجراءات العملية والمستقبلية التي ستتخذها الدول الأعضاء.

عضوية مجموعة العشرين

تضم مجموعة العشرين الدول الآتية: الأرجنتين، وأستراليا، والبرازيل، وكندا، والصين، والاتحاد الأوروبي، وفرنسا، وألمانيا، والهند، وإندونيسيا، وإيطاليا، واليابان، والمكسيك، وروسيا، والمملكة العربية السعودية، وجنوب إفريقيا، وكوريا الجنوبية، وتركيا، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية. وتتميز هذه المجموعة بأنها:

- تمثل حوالي 65% من سكان الكرة الأرضية.
- تشكِّل اقتصادات أعضائها حوالي 85% من الناتج الإجمالي العالمي.
- تستحوذ على 77% من التجارة العالمية.

آلية عمل مجموعة العشرين

على الرغم من الدور الكبير التي تضطلع به على الصعيد الدولي، لا تُعد مجموعة العشرين منظمة رسمية، فليس لها:

- إطار قانوني لتنفيذ قراراتها.
- ولا لها ميثاق ولا أمانة دائمة.
- ولا لها نظام تصويت رسمي.
- يتم تنفيذ جميع الاتفاقات والتعليقات والتوصيات والإصلاحات السياسية التي توصَّل إليها وزراء مالية مجموعة العشرين ومحافظو البنوك المركزية والقادة بتوافق الآراء.
- ليس لدى قادة مجموعة العشرين أي وسيلة لفرض اتفاقاتها.
- بعد الاجتماعات الأولية لوضع جدول الأعمال، يستمر تنظيم أنشطة العمل ووضع جدول الأعمال على نطاق واسع ضمن مسارين:

1. مسار الاقتصاد والمالية ومدخلاته:

- إطار للنمو القوي والمستدام والمتوازن
- إصلاح البنية المالية الدولية
- التنظيم المالي
- التمويل لبنود الاستثمار طويل الأجل/الضرائب الدولية

2. مسار المبعوثين الدبلوماسيين الذين يمثلون حكوماتهم:

يناقشون أولويات الرئاسة وبرنامج العمل، مثل:

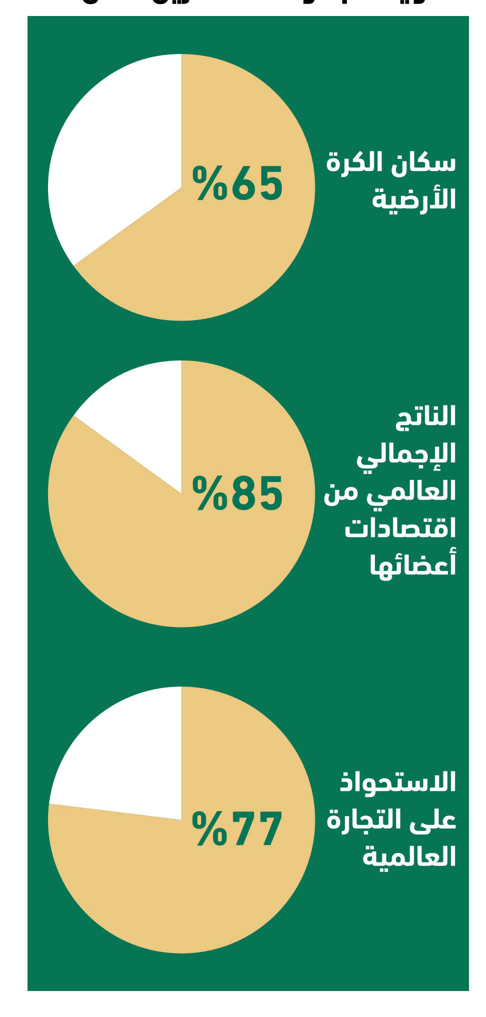
- التوظيف
- الطاقة
- التنمية الاقتصادية
- التجارة الدولية
- مكافحة الفساد
- بيان القادة الذي يصدر بعد كل قمَّة. وهو بيان عام يُدلي به القادة، وقد يحوي التزاماً بسياسات محدَّدة على المستوى الوطني والدولي، والإجراءات العملية والمستقبلية التي ستتخذها الدول الأعضاء.

علاقاتها مع المنظمات الدولية القائمة

حافظت مجموعة العشرين على علاقات وثيقة مع المنظمات الدولية الرسمية، وانخرطت في "علاقات شبكية متداخلة" مع "مجموعة واسعة من المنظمات الدولية والوكالات والشبكات الفنية". فلتحقيق أقصى قدر من الفوائد من الشراكة مع المنظمات الدولية، تلجأ المجموعة إلى لعب دور "المحفِّز" و"النواة للعمل المشترك والتنسيق" ونادراً ما تلجأ إلى



عضوية مجموعة العشرين تمثل





من فوائد عضوية المملكة في قمَّة مجموعة العشرين الحفاظ على توازن نسبي للمصالح الوطنية والمصالح العالمية ككل

"المعالجة الموازية" أو المنافسة على حوكمة القضايا مع المنظمات القائمة.

وقد بدأت مجموعة العشرين بالتدخل مباشرة في هذه المؤسسات، من خلال تحديد اتجاهات الإصلاح والبت في تحوُّلات حصص التصويت. ومن ناحية أخرى، فإن نسبة متزايدة من أعلى التعيينات في هذه المؤسسات تتم من خلال مجموعة العشرين. ويتخذ ذلك شكل ممارسة غير مباشرة لإخضاع هذه المنظمات وجعلها أكثر طواعية لمخرجات مجموعة العشرين واستراتيجياتها.

توسيع قاعدتي وضع جدول الأعمال والمشاركة في صنع القرار

تسعى مجموعة العشرين إلى توسيع قاعدتي وضع جدول الأعمال والمشاركة في صنع القرار بإشراك المجتمع المدني في صياغة جدول الأعمال والتأثير في عملية صنع القرار. فقد أصبح الحوار مؤسسياً وصوت المشاركين يزداد قوة. والفكرة وراء ذلك هي احتضان الجهات الفاعلة غير الحكومية كشركاء استراتيجيين في بناء القدرات وتعزيز التنفيذ محلياً وعالمياً. ويتم ذلك عبر ثلاثة مسارات:

1. المسار الأول يتمثل في دعوة مشاركين إضافيين من خلال الرئاسة، أي بعض الدول غير الممثلة وبعض المنظمات الإقليمية غير الحكومية، لحضور بعض اجتماعات مجموعة العشرين. وبالتالي، فإن قبول المشاركين هو وسيلة للاعتراف بأن قرارات مجموعة العشرين لها آثار عالمية، وأنه يجب إعطاء الدول غير الأعضاء في مجموعة العشرين وبعض المنظمات الفرصة للتعبير عن اعتباراتهم وشواغلهم. وعلى سبيل المثال، في عام 2020م، دعت الرئاسة السعودية كلاً من الأردن وسنغافورة وسويسرا كدول ضيوف. وكذلك تمَّت دعوة منظمات إقليمية أيضاً، بما في ذلك صندوق النقد العربي (AMF)، والبنك الإسلامي للتنمية (IsDB)، وكذلك فيتنام بصفتها رئيسة رابطة دول جنوب شرق آسيا (ASEAN)، وجنوب إفريقيا رئيس الاتحاد الإفريقي، والإمارات العربية المتحدة رئيسة لمجلس التعاون الخليجي، والسنغال رئيسة للشراكة الجديدة لتنمية إفريقيا (نيباد).

2. المسار الثاني يتمثل في تكوين "مجموعات المشاركة" غير الرسمية، التي تُعقد بالتزامن مع اجتماعات مجموعة العشرين. وتتكوَّن "مجموعات المشاركة" من طبقات اجتماعية مختلفة تمثل مجتمع الأعمال، والمجتمع العلمي والبحثي، والقطاع الخاص والنقابات، والنساء والشباب، وعمد المدن الرئيسة وكذلك المنظمات غير الحكومية. والمهمة الرئيسة لمجموعات المشاركة، هي:

- تسهيل التبادل بين المجتمعات القطاعية من مختلف البلدان.
- تطوير التوافق حول القضايا محل الخلاف.
- التأثير على عملية وضع جدول أعمال مجموعة العشرين.
- العمل كمصدر للأفكار لمجموعة العشرين.
- تجتمع مجموعات المشاركة بالتزامن مع اجتماعات مجموعة العشرين ويواصلون الحوار مع صنّاع السياسة.

3. المسار الثالث، إشراك البرلمانات الوطنية والأفراد المخضرمين في السياسة والاقتصاد في ما يطلق عليه "استشارات المتحدثين" التي تجري إلى جانب مجموعة العشرين. فمثلاً، تجمع هذه المشاورات ممثلين عن البرلمانات الوطنية وهؤلاء الأفراد المنتسبين لأعضاء مجموعة العشرين والبرلمان الأوروبي، بهدف معالجة القضايا العالمية على المستوى التشريعي للسياسات. وقد سمحت قابلية هذه المجموعة للتكيف بدمج المنظمات الاجتماعية التي تقدِّم توصيات ملموسة ومناقشة موضوعات محدَّدة قبل مؤتمرات قمَّة مجموعة العشرين.

جهود المملكة في مجموعة العشرين للحفاظ على الشعاب المرجانية

تعمل رئاسة المملكة العربية السعودية لمجموعة العشرين على تنسيق الجهود لحماية الشعاب المرجانية كنظام بيئي حيوي له دور رئيس في الحفاظ على كوكب الأرض، خاصة أن دول مجموعة العشرين تمتلك وحدها نحو 60% من الشعاب المرجانية في العالم. ويتخوف العلماء من أن يفقد العالم نسبة كبيرة من الشعاب المرجانية المتبقية بحلول عام 2050م، الأمر الذي ستكون له عواقب وخيمة على التوازن الحيوي في البحر، وبالتالي على نوعية الحياة الاقتصادية والغذاء في المناطق الساحلية عبر العالم. ولذا، تسعى المملكة لأن تتبوأ مكانة عالمية في المحافظة على استدامة المحيطات، وهي التي تقع بين مسطحين هما: البحر الأحمر والخليج العربي، اللذان يشكِّلان شريانين رئيسين من شرايين اقتصاد المملكة والحياة فيها.

والجهود السعودية القائمة لحماية وتنمية مصادر اقتصادية جديدة واعدة تعكس ما يُعرف باقتصاد المحيطات أو "الاقتصاد الأزرق"، وتتماشى مع أهداف رؤية المملكة 2030، التي تركِّز على إسهام مورد الاقتصاد الأزرق في بناء اقتصاد مستدام في المملكة، وباعتباره دعامة رئيسة لعدد من المشروعات العملاقة على طول البحر الأحمر مثل مشروع: نيوم وأمالا والبحر الأحمر. إضافة إلى تنمية عدد من الصناعات البحرية مثل مشروعات: تحلية المياه، والسياحة والرياضات البحرية، والاستزراع السمكي، والزراعة القائمة على مياه البحر، وتوليد الطاقة من أمواج البحر.

وفي السادس من شهر يناير 2020م؛ بارك خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز تأسيس مجلس الدول العربية والإفريقية المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن، ليكون من ضمن مهامها مواءمة السياسات للدول المشاطئة لتحقيق اقتصاد مستدام للمحيطات.

وفي 12 يوليو 2020م، عقدت المملكة ورشة عمل لتسريع عملية التنسيق والتعاون بين دول مجموعة العشرين لتطوير حلول عملية، وتجربة وتطبيق تقنيات تحسِّن من مقاومة الشعاب المرجانية للتدهور البيئي. إضافة إلى مواصلة جهود المجموعة في تحقيق الهدف الرابع عشر من أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة المعني بالمحافظة على الحياة تحت الماء، ومعالجة قضايا الحياة البحرية ودعم الاقتصاد الأزرق.

وتتطلع المملكة من خلال رئاستها لمجموعة العشرين إلى حث المجتمع الدولي على الاهتمام بالبيئة والمحافظة على استدامة التنوُّع الأحيائي الذي تزخر به المحيطات، باعتباره هو الأساس الذي يدعم جميع أشكال الحياة على الأرض وتحت المسطحات المائية. ومن خلال رئاسة مجموعة العشرين أيضاً، تستعرض المملكة نجاحاتها في الحفاظ على صحة الشعاب المرجانية في بحارها. وستطرح في هذا الشأن مبادرة دولية مشتركة لضمان صحة وحيوية الشعاب المرجانية حول العالم.



من أهداف قمَّة الرياض مضاعفة الجهود من أجل التنمية المستدامة من خلال تعزيز الترابط الإقليمي والتعاون التجاري والاستثماري والسياحة كمحركات للنمو والابتكار وخلق فرص العمل

وكجزء من عملها، تضع كل مجموعة مشاركة ورقة تحديد موقف من القضايا المطروحة وتوصيات للعمل على القضايا المدرجة في جدول أعمال مجموعة العشرين. وبهذه الطريقة، تحاول المجموعات ممارسة نفوذها وجعل آراء أعضائها مسموعة. ويتيح الحوار مع هذه المجموعات فرصة لمجموعة العشرين لتقديم نفسها على أنها منفتحة ومتاحة لاحتياجات ومطالب سكان الأرض قاطبة.

موضوعات قمم مجموعة العشرين

بعدما عُقدت القمم الأولى في واشنطن ولندن، تحت تأثير إدارة الأزمات، سرعان ما ظهرت علامات على توسيع وتنوُّع مجال نشاط مجموعة العشرين. فمنذ ذلك الحين، اقترحت الدول التي تتولى الرئاسة جداول أعمال تزداد اتساعاً من قمة لأخرى، لتسلط الضوء على القضايا ذات الأهمية الخاصة كما يلي:

- في عام 2010م، وتحت رئاسة كوريا الجنوبية، شكَّلت التنمية وتغيُّر المناخ ونظم الطاقة جوهر جدول الأعمال، ووضع كذلك الأعضاء خطة عمل لمكافحة الفساد.
- هيمنت في قمة كان بفرنسا عام 2011م أزمة الديون السيادية الأوروبية على جدول الأعمال. ومع ذلك، استمرت المناقشات حول القضايا الجديدة، واتفقت الدول على خطة عمل مشتركة للزراعة ومكافحة وارتفاع أسعار الغذاء.
- في عام 2012م، تناولت الرئاسة المكسيكية عدداً من القضايا مع التركيز على الاقتصاد الأخضر والعمالة.
- في قمة عام 2013م في سان بطرسبرج، نوقش تغير المناخ وجهود مكافحة الفساد والتنمية.
- في قمة عام 2014م برئاسة أستراليا، التزمت مجموعة العشرين بالعمل ضد المعوقات التي تواجهها المرأة في سوق العمل وكذلك محاربة بطالة الشباب.
- وركَّزت قمة عام 2015م في تركيا على إدماج الأقليات والمرأة والشباب وتحقيق المساواة.
- قمة 2016م في الصين كان عنوانها "نحو اقتصاد عالمي مبتكر، ونشط، ومترابط وشامل"، وناقشت المجموعة تعزيز الانفتاح الاقتصادي والعولمة والاقتصاد المبتكر والبنية التحتية والنمو الاقتصادي العالمي الشامل ونظم الضرائب العالمية ومكافحة الفقر والفساد.
- قمة 2017م في ألمانيا كانت بعنوان "تشكيل عالم مترابط"، وناقشت الهجرة ورقمنة الاقتصاد والسياسات الصحية وتمكين المرأة وخطر النفايات البلاستيكية. وأكد رؤساء الدول والحكومات ضرورة جعل العولمة الاقتصادية الدولية عادلة.
- التقى قادة مجموعة العشرين في بوينس آيرس في نوفمبر 2018م تحت عنوان "بناء إجماع من أجل التنمية العادلة والمستدامة"، واعتمدوا إعلاناً يركِّز على مستقبل العمل والبنية التحتية للتنمية ومستقبل غذائي مستدام وعلى المساواة بين الجنسين.
- في عام 2019م، اجتمع قادة المجموعة في اليابان، وتم التركيز على التجارة العالمية، والابتكار، والرقمنة، والمناخ والطاقة، والصحة، واقتصاد الهيدروجين، والمساواة الاجتماعية.



محاور جدول أعمال قمّة الرياض



تسعى مجموعة العشرين إلى توسيع قاعدتي وضع جدول الأعمال والمشاركة في صنع القرار بإشراك المجتمع المدني في صياغة جدول الأعمال والتأثير في عملية صنع القرار.

جدول أعمال قمَّة الرياض

جدول أعمال قمة الرياض حافل وطموح إلى حد كبير. فتحت عنوان "اغتنام فرص القرن الحادي والعشرين للجميع" تركِّز القمة على أربعة محاور رئيسة:

1. المحور الأول يتعلق بتمكين الإنسان، ويهدف إلى:
   - استحداث سياسات تؤدِّي إلى خلق الفرص الاقتصادية بالتساوي للجميع.
   - تهيئة الظروف التي تمكّن جميع الأفراد، وخاصة النساء والشباب، من شق طريقهم في سوق العمل بدعم من الاقتصاد الكلي.
   - دعم النمو القوي والمستدام والشامل وسط التقدُّم التكنولوجي المتسارع والتغيّر الديموغرافي والتغيرات في أنماط العمل.
   - مضاعفة الجهود من أجل التنمية المستدامة من خلال تعزيز الترابط الإقليمي والتعاون التجاري والاستثماري والسياحة كمحركات للنمو والابتكار وخلق فرص العمل.
   - مناقشة تطوير التعليم ليتواءم مع تطوُّرات القرن الحادي والعشرين.
   - تعزيز كفاءة القطاع الصحي كأهم الممكنات لإنشاء اقتصاد مستقر ومزدهر.
2. المحور الثاني بيئي يناقش "الحفاظ على كوكب الأرض" من خلال جوانب مختلفة:
   - مناقشة التغير المناخي كأحد أكثر التحديات العالمية لمفهوم التنمية المستدامة، ورسم خطط قابلة للتنفيذ لنُظم طاقة أنظف لعصرٍ جديد.
   - مناقشة مبادرة المملكة العربية السعودية الخاصة بالاقتصاد الدائري للكربون كأحد أفضل الحلول العملية للمواءمة بين كبح التغير المناخي بإيجاد نظم طاقة جديدة، والمحافظة على النمو الاقتصادي العالمي، وذلك بتقليص انبعاثات غازات الدفيئة إلى المستوى التعادلي للكربون في الغلاف الجوي من دون إحداث آثار اقتصادية سلبية.
   - مكافحة تدهور الأراضي والمواطن الطبيعية، وحماية المحيطات وتعزيز استدامة نظم المياه العالمية لتعزيز الأمن الغذائي العالمي.
3. المحور الثالث، رسم سياسات وأطر عمل تُفضي إلى تشكيل آفاق جديدة وتحقيق أقصى درجات الاستفادة من الموجة الحالية للابتكار وذلك من عدة جوانب:
   - مناقشة تعزيز التعاون في مجال الفضاء ومشاركة القطاع الخاص به. حيث يوفر اقتصاد الفضاء المتنامي فرصاً هائلة للعالم، ويتجاوز تأثيره الجانب الاقتصادي والصناعي المباشر.
   - مناقشة الاقتصاد الرقمي من جانب تأثيره المباشر وغير المباشر على نماذج أعمال الشركات والمؤسسات الوطنية.
   - توفير الاحتياجات المستقبلية للمهارات، وتمكين القطاع الخاص من الاستفادة من الاقتصاد الرقمي.
   - تحديد إطار عمل لاقتصاد موثوق يتمركز حول الإنسان، والاستفادة من التقنيات في البنية التحتية وتطوير المدن الذكية.
   - البحث في إيجاد حل عالمي مشترك لمعالجة التحديات الضريبية الناشئة عن رقمنة الاقتصاد ومعالجة مداخيل الشركات التقنية الكبيرة في المجال المالي.
   - التعاون لمواصلة تنفيذ خطة عمل مجموعة العشرين لمكافحة الفساد 2019-2021م، وتعزيز النزاهة باستخدام تقنيات المعلومات والاتصالات ومجالات الخصخصة والشراكات بين القطاعين العام والخاص.
   - تطوير وتنفيذ السياسات والاستراتيجيات الوطنية لمكافحة الفساد.
4. يأتي المحور الرابع في سياق استثنائي هذا العام، ويناقش جائحة كورونا المستجدة وذلك من خلال محاور عدة منها:
   - حماية الأرواح بمكافحة الجائحة وإتاحة العلاجات واللقاحات للجميع.
   - حماية وظائف الأفراد ودخلهم.
   - تقليل أثر الجائحة على سلسلة القيمة المضافة العالمية.
   - استعادة الثقة بالاقتصاديات المحلية، والمحافظة على استقرارها المالي، وإحياء النمو والتعافي بشكل أقوى، بتنسيق الجهود في الجانبين الصحي والاقتصادي للأزمة.
   - تقديم اقتراحات لمساعدة الاقتصاديات الأشد حاجة للمساعدة.

فوائد عضوية المملكة لمجموعة العشرين

إن آلية مجموعة العشرين غير الرسمية والمرونة في اتخاذ القرارات تتيحان للمملكة العربية السعودية تأدية دورها كقوة مؤثرة على المسرح الدولي وتحقيق الأهداف التالية:

- تعزيز وتحسين نشاطها في عضوية ورئاسة مجموعة العشرين لتحقيق أكبر عائد جيواستراتيجي واقتصادي وطني ممكن.
- الإسهام في وضع قواعد الانتقال إلى نظام عالمي جديد.
- تعزيز فعالية ومناعة الإدارة الاقتصادية العالمية وزيادة فعالية الأنظمة متعدِّدة الأطراف وأهميتها وكفاءتها.
- الاستجابة بسرعة لمواجهة الأزمات الاقتصادية العالمية وتخفيف آثارها السلبية.
- الاستجابة لتحديات التنمية العالمية المُلِحَّة خاصة فيما يتعلق بالدول النامية.
- بناء تقارب في الآراء بشأن القضايا العالمية المهمة، وجني فوائد اقتصادية وجيواستراتيجية لتحقيق المصالح الوطنية.
- زيادة التمثيل المؤثر في المنظمات الدولية الأخرى.
- الحضور الإعلامي على الصعيد العالمي، وتبادل المعلومات مع الأعضاء المؤثرين الآخرين.
- اكتساب وبناء القدرات والكفاءات الفنية والتقنية والعلمية والإدارية.
- الحفاظ على توازن نسبي للمصالح الوطنية والمصالح العالمية ككل والمصالح الفردية لكل دولة.
- منح المملكة صوتاً أقوى في صنع القرار الدولي من خلال:
  1. تحقيق أهداف رؤية المملكة 2030.
  2. تعزيز التموضع الجيوستراتيجي للمملكة.
  3. العمل على الحفاظ على النفط كسلعة استراتيجية تكون فيها المملكة هي اللاعب الرئيس.



جانب من أحد اجتماعات قمة مجموعة العشرين في الأرجنتين 2018م

مجموعات التواصل

تتمتع مجموعة العشرين بتقاليد في العمل مع مجموعة واسعة من المنظمات لتقديم وجهات نظر مختلفة حول التحديات المالية والاجتماعية والاقتصادية إلى طاولة مجموعة العشرين. مجموعات التواصل هي مجموعات مستقلة تقودها منظمات من الدولة المضيفة لوضع توصيات يتم تقديمها رسمياً إلى قادة مجموعة العشرين للنظر فيها.

















رئاسة المملكة لمجموعة العشرين

تتمثل مهمة الرئاسة في تعزيز التعاون، وإقامة روابط متعدِّدة الأطراف لتسهيل صنع القرار، خاصة مع أداة التصويت بالإجماع وصعوبة أخذه.

إن دور رئاسة مجموعة العشرين ينطوي على مفاوضات داخلية مضنية، رغم محاولات التنسيق الحثيثة بين الأعضاء. لذا فإن التخطيط الاستراتيجي والاستخدام الفعال لتكتيكات المفاوضات مهمان من أجل تلبية الاحتياجات والقيم التي تريد دولة الرئاسة تحقيقها.

كما تتيح رئاسة المملكة تعزيز تأثيرها في جمهور دولي أوسع، وتعزيز موقعها كقوة تجسير بين مختلف الأطراف المتباينة. فهي تتولى الرئاسة في لحظة حاسمة من تطور النظام العالمي وتغير قوانين اللعبة الدولية، وفي وقت توسع مجموعة العشرين آفاقها من خلال مضاعفة مجالات نشاطاتها. وليس هذا فحسب، فهي تعمق أيضاً مشاركتها من خلال تغطية مزيد من جوانب القضايا الفرعية. فمثلاً، تلعب مجموعة العشرين الدور الرئيس في تشكيل الحوكمة الاقتصادية العالمية، وهذا يشمل تعزيز وإصلاح النظام المتعدِّد الأطراف القائم على القواعد عند الضرورة. وهذا يمثل فرصة سانحة للمملكة لمواءمة رؤية 2030 وتأمين مستقبل النفط.

إن استضافة الرياض وترؤسها قمة مجموعة العشرين يؤكد الدور المتزايد للمملكة على الصعيد الدولي. ومدينة الرياض نفسها هي مثالٌ على ما يمكن أن تصنعه إرادة الإنسان من تقدُّم وازدهار على الصعيد الوطني من خلال الطاقات المحلية والدور الفعال في الخارج. ذلك يؤكد أن أهداف القمة ممكنة التحقيق فعلاً عند توفر الإرادات.

المصادر

- موقع رئاسة المملكة لمجموعة العشرين
- وكالة الأنباء السعودية (واس) الاخبارية
- مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية
- oceanservice.noaa.gov
- worldwildlife.org
- Claessens, S. (2019). Fragmentation in global financial markets: good or bad for financial stability?. BIS Working Papers No 815.
- Danielsson, J. (2019). Global Financial Systems. Presentation, London School of Economics.
- Heldt, O. F. (2019). Legacies and innovations in global economic governance since Bretton Woods. REVIEW OF INTERNATIONAL POLITICAL ECONOMY, VOL. 26, NO. 6, 1089–1111.
- Heldt, O. F. (2019). Legacies and innovations in global economic governance since Bretton Woods. Review of International Political Economy, 26:6, 10891111-.
- Zürn, R. B. (2019). Untapped potential: How the G20 can strengthen global governance. South African Journal of International Affairs.



شاركنا رأيك
Qafilah.com
@QafilahMagazine



الملف:

الهُدهُد

منذ أن راح الإنسان يسبغ دلالات رمزية على عناصر الطبيعة وعالَم الحيوان والنبات، حظي الهدهد بما لم ينله أي طائر آخر من الاهتمام. فبالتاج الذي يعلو رأسه وقامته الممشوقة وألوان ريشه، يأسر الهدهد الأنظار. وإذا أضفنا إلى ذلك بعض طباعه وسلوكياته لأمكننا، ربما، تفسير المكانة المتفردة التي يحتلها في مملكة الطير.

إنه طائر برّي، يعيش منفرداً، ويهاجر لمسافات طويلة، وهذا ما يضفي عليه بعض الغموض. ولكنه أقرب الطيور البرّية إلى الإنسان، فيدنو منه ولكن بحذر مُبرَّر. ويألف المزارعون مشاهدته في حقولهم. ولعل ثنائية الأُلفة والغموض هذه، تفسر ما حمّله الإنسان للهدهد من رموز ودلالات ثقافية في كل المجتمعات التي عرفته، وبشكل خاص في الثقافات الشرقية.

محمد محمد إبراهيم وبمشاركة من **فريق القافلة** يحاول في هذا الملف الترحال عبر عوالم هذا الطائر، مستقصياً مقام حضوره في الثقافات الإنسانية بدءاً بكونه مبعوث النبي سليمان - عليه السلام - إلى مملكة سبأ، وصولاً إلى ثقافات العالَم المعاصر وآدابه وفنونه.



عند البحث عن مقام الهدهد في ثقافات العالم، يمكن للمرء أن يجد كثيراً مما يتراوح بين الفن الصيني القديم والأدب الأمريكي المعاصر، علماً أن لا هداهد في القارة الأمريكية.

وفي بداياتها، أو في أبسط صورها، كانت علاقة الإنسان بالهدهد تتكوَّن في معظمها من أساطير وروايات شعبية. فالمصريون القدماء كانوا يقتنون الهداهد في بيوتهم، ويربطون ما بينها وبين "عين حورس" التي كانوا يعتقدون أنها قادرة على رؤية العوالم غير المرئية.

واعتقد الإغريق أن الهدهد قادر على فتح الأماكن المغلقة. كما تطلع إليه بعض أدبائهم على أنه "عقاب"، كما هو الحال عند الكاتب أريسطوفانِس في مسرحيته الساخرة "الطيور" (414 ق.م)، حيث يُعاقَب "تيريوس" ملك تراقيا، بمسخه إلى هدهد بسبب اعتدائه على شقيقة زوجته. ولربما وجد الأديب الإغريقي في الهدهد خير مسخ يمكن أن ينقلب إليه ملك، بسبب التاج الذي يعلو رأس الاثنين.

وخلال القرون الوسطى، كان سكان أوروبا الوسطى يتشاءمون من ظهور الهدهد، ويربطونه بقرب حلول كارثة طبيعية تنبئ بخسارة المحصول الزراعي. كما تشاءموا من صوته واعتقدوا أنه ينذر بموت قريب أو فناء قطيع المواشي. وبحلول القرن الخامس عشر شاع بين الألمان استخدام الهدهد في السحر الأسود لجلب الشياطين والجن.

وتؤمن بعض شعوب مناطق أستونيا الشرقية بأن مشاهدة طائر الهدهد هو دليل على حلول مجاعة قريبة في السنة المقبلة أو علامة مطر أو طقس سيئ. أما البولنديون فقد ظنوا لفترة طويلة بأن الهدهد هو طير جلبه اليهود معهم عندما أتوا ليستقروا فيها. أما العرب فقد نسبوا تاج الهدهد إلى أسطورة تتحدث عن فضيلة برّه بوالديه. إذ يروون أنه بعد وفاة والديه، جاب الأرض وهو يحملهما بحثاً عن قبر لهما. ولما لم تطاوعه نفسه أن يدفنهما في أي مكان، قرَّر دفنهما في وهدة خلف رأسه. واعتقد العرب أن تاج الهدهد مكافأة ربانية على صنيع بِرِّه، وتعويضاً عن وهدة القبر، ذاهبين إلى القول بأن رائحته النتنة تعود إلى حمله للجيفتين.



ينسب العرب تاج الهدهد الذي يميِّزه عن باقي الطيور إلى فضيلة برّه بوالديه



> **بالتدقيق في الدلالات والرموز التي حمّلتها الثقافات الشرقية للهدهد، يصبح بإمكاننا أن نرد جذور هذا الاهتمام إلى ما ورد بشأن هذا الطائر في القرآن الكريم، وشكَّل منعطفاً تاريخياً لحضور الهدهد في الثقافة الإنسانية.**



ففي الشرق عموماً كان للهدهد دلالات أكثر إيجابية مما هو حاله في الغرب. فهو في أفغانستان إشارة إلى السعادة والثراء وحُسن الصيت، وقيل في الفولكلور الأفغاني أن سكّان المنازل التي يختارها الهدهد ليحط عليها ويبني عشه، سيلحق بهم الحظ السعيد ويذيع صيتهم بالحظ والملكية. كما كانت بعض عائلات الأوزبك تزيِّن بيوتها برؤوس الهداهد كنوع من الطلاسم الجالبة للأمان والاستقرار.

وفي الفولكلور الفارسي القديم أسطورة تحاول تفسير وجود التاج على رأس الهدهد، وتقول إن الهدهد في حقيقة الأمر عروس وجدها والد زوجها تُسرّح شعرها أمام المرآة ذات صباح فخجلت كثيراً وهربت بمشط التسريحة الذي ظل لصيقاً بقمة رأسها إلى الأبد، والطريف في الموضوع هو أن اسم الهدهد بالفارسية "شانه به سر" يعني "الرأس المكلل". وعلى المنوال نفسه، يمكننا أن نجد مثل هذه النظرة إلى الهدهد أو تلك في كل ثقافات العالم.

ولكن، وبسرعة، يلحظ الباحث أن أقوى حضور للهدهد في ثقافات العالم وآدابه، هو في الثقافة الإسلامية ومن دون منافس تقريباً. والبيئة الجغرافية التي يعيش فيها الهدهد لا تكفي لتفسير هذا الاهتمام الشرقي بهذا الطائر المعروف جيداً أيضاً في جنوب أوروبا الغربية وكل أوروبا الشرقية وكل جنوب شرق آسيا. فبالتدقيق في الدلالات والرموز التي حمّلتها الثقافات الشرقية للهدهد، يصبح بإمكاننا أن نرد جذور هذا الاهتمام إلى ما ورد بشأن هذا الطائر في القرآن الكريم، وشكَّل منعطفاً تاريخياً لحضور الهدهد في الثقافة الإنسانية.

لوحة "طائر الهدهد"، واحدة من سلسلة من ثماني لوحات تسمَّى "جولة في ويلز" للكاتب والرحالة الويلزي توماس بينانت عام 1781م، يسجِّل فيها وجود الهدهد في بريطانيا

مبعوث النبي سليمان إلى مملكة سبأ

ورد ذكر الهدهد في القرآن الكريم في مقام واحد فقط، لكنَّه مقام استثنائي رفع الهدهد إلى ما فوق سائر الطيور، حيث ورد ذكره في مسار تبليغ رسالة التوحيد في رحلته الأولى إلى "قوم سبأ". فكان سبباً في خروجهم من ضلال عبادة الشمس إلى عبادة الله تعالى. وارتبط وروده بمملكة جمعت الإنس والجن والطير يدير شؤونها ملكٌ ونبيٌّ في الوقت نفسه هو سليمان - عليه السلام -، ولها نظام صارم ودقيق ومواقيت معلومة لا يخالفها أحد، ومن يخالفها يتعرَّض للعقاب الذي يحدِّده الملك. يدلّ على ذلك وعيد النبي سليمان للهدهد حين وجده غائباً لتأخره في رحلته الطويلة عن موعد الإياب إلى النبي والملك: "وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ" (النمل 20).

وغضب نبي الله سليمان - عليه السلام - لغياب الهدهد، وأقسم أن يُوقع به العقوبة ما لم يبرر غيابه: "لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ" (النمل 21). لكن الهدهد الذي كان يعرف ما ينتظره، دافع عن نفسه في محضر نبي الله سليمان - عليه السلام - وفق سياق شجاع ولافت لملك لم يَعُد يفكِّر أن أمراً بتلك الأهمية خارج دوائر معارفه، فأنصت - عليه السلام - وهو على رأس مُلكه وحشمه وخدمه وجنده مستمعاً للهدهد الذي يخاطبه مباشرة:





شعار الخبر اليقين

لأنَّ الهدهد أتى النبي سليمان - عليه السلام - بالنبأ اليقين، أصبحت صورة هذا الطائر رمزاً لصحة أي خبر. فكان من الطبيعي أن تصبح صورة هذا الطائر شعاراً لبعض وسائل الإعلام، خاصة في المجتمعات التي تعرف الهدهد عن كثب في حياتها الزراعية، كما في تراثها الثقافي، مثل اليمن على سبيل المثال. فعندما صدرت جريدة "سبأ" في مطلع الستينيات بمدينة تعز اليمنية على يد الصحافي محمد عبده صالح الشرجبي، اتخذت من الهدهد شعاراً بصرياً لها. كما هو حال وكالة الأنباء اليمنية "سبأ" التي اتخذت من هيئة الهدهد شعاراً وعلامة تجارية، ومن الآية الكريمة "وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ" (النمل 22) شعاراً مكتوباً للدلالة على الاتساق الموضوعي والوظيفي لوكالة أنباء إخبارية.
وحين أطلق الشاعر السوري المقيم في لندن محيي الدين اللاذقاني في العام 2009م، صحيفة "الهدهد" الإلكترونية الدولية، كأول صحيفة تصدر بخمس لغات عالمية، هي العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والفارسية، اتخذت المحطة شعاراً لها يقول: "نحلِّق بك بعيداً لنأتيك بالدهشة والنبأ اليقين". كما غزا اسم الهدهد عدداً من مواقع التواصل الإلكتروني والاجتماعي، ومنصات التراسل الفوري، ودخل فضاء التطبيقات الرقمية للمراسلات.



"أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ"، وبهذه العبارة الموجزة استأثر الهدهد باهتمام الملك الذي ازداد إنصاتاً للطائر البليغ وهو يخاطبه: "وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ" (النمل 22). لقد عمّد النبأ باليقين، وتفاصيله بالإحاطة، مؤكداً بقوله: "إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ" (النمل 23).

بعد هذه التفاصيل المهيبة عن حضور وعظمة ملكة سبأ، يأتي الهدهد على الأمر الأهم بالنسبة للنبي سليمان - عليه السلام -: "وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ" (النمل 24). لقد أحاط الهدهد بدقائق الأمور وطقوس القوم التعبدية، متوغلاً إلى قناعاتهم وعقيدتهم التي من الصعوبة بمكان تغييرها، وهذا أمر يتطلب من نبي الله سليمان دعوتهم إلى التوحيد الذي جاء به جميع أنبياء الله ورسله: "أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ○ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" (النمل 25-26). لقد ختم الهدهد الإدلاء بحجة غيابه بمفارقة بليغة تؤكد إيمان الهدهد بالله الواحد الأحد، وتفصح عن بيان الفرق بين جملة "ولها عرش عظيم"، في مقام الحديث عن الملكة بلقيس، و"العرش العظيم" في ختام بيانه الموجز، ففي الأولى الصفة والموصوف

الهدهد طائر بري يعيش حياة فطرية، وجاذبية هيئته جعلت حوالي أربعين دولة من الدول التي تعيش فيها الهداهد من المجر في أوروبا إلى كمبوديا في جنوب آسيا، مروراً بالبلدان العربية، ليكون على طوابعها البريدية تعبيراً عن الحياة الفطرية فيها، وجمالها أيضاً.



الهدهد حاضر على طوابع البريد في عديد من دول العالم



ورد ذكر الهدهد في القرآن الكريم في مقام واحد فقط، لكنه مقام استثنائي رفع الهدهد إلى ما فوق سائر الطيور، حيث ورد ذكره في مسار تبليغ رسالة التوحيد في رحلته الأولى إلى "قوم سبأ".

نكرتان، لارتباطهما بالملوك والسلاطين في الدنيا، وفي المقام الثاني الصفة والموصوف معرَّفان لارتباطهما بملك الملوك، مَن عرشه فوق جميع العروش "ربُّ العرش العظيم".

هذه الحجة الدامغة لم تجعل النبي سليمان - عليه السلام - يعفو عن الطائر الذي غاب من دون إذن، بل أحال الأمر إلى مسار النظر في صدقية ما جاء به الهدهد: "قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ" (النمل 27). وبدأ عليه السلام من تلك اللحظة بترتيب دعوة قوم سبأ إلى التوحيد وعبادة الله تعالى، موجباً على الهدهد إكمال المهمة: "اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ" (النمل 28). وذهب الهدهد في رحلته الدعوية الثانية، ولكن هذه المرّة بأمر مباشر من النبي سليمان - عليه السلام -. وهنا ينتهي دور الهدهد بالانتقال إلى ما دار بين الملكة وأمراء جيشها ومستشاريها.

وبصفته طائراً مختاراً لتبليغ رسالة التوحيد، وحامل الخبر اليقين، رسّخ الهدهد مكانته في الثقافة الإسلامية طائراً مرموقاً يسمو على غيره من الطيور، وقادراً على أن يحمل من المهمات والرموز ما لا يمكن لغيره من الطيور أن يحمله. وتعزَّزت هذه المكانة بما يُروى عن الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - في الحديث الصحيح من أنه نَهى عن قَتلِ أربعٍ من الدوابِّ: النَّملةِ، والنَّحلةِ، والهُدهدِ، والصُّرَد.

كما أن للهدهد حضوره اللافت في عوالم الثقافة، فالشاعر فريد الدين العطار، (المتوفى عام 1221م)، يخصّ الهدهد في مؤلفه "منطق الطير" بمكانة مركزية في عالم الطيور، لما فيه من صفات قيادية تتجلى في خطبة بليغة يروي فيها أسفاره عبر فضاء الأراضي المنبسطة والمحيطات والجبال والوديان والصحارى.. ويفاخر بنفسه على غيره من الطيور بقدرته على التحليق فوق الماء من دون رؤية لليابسة، وبأنه شرع في عهد النبي سليمان - عليه السلام - في "استكشاف حدود الأرض من الساحل إلى الساحل".

ومن أبرز أشكال حضور الهدهد في الثقافة الإسلامية الفارسية، ما نراه في بعض قصائد حافظ الشيرازي من تأثر واضح بقصة النبي سليمان - عليه السلام- وملكة سبأ، حيث يستخدم الهدهد رسولاً إلى من يحب، فيقول:

لك البشرى يا قلبي، فقد عادت ثانية ريح الصبا..
وقد رجع الهدهد السعيد بالأنباء السعيدة من سبأ

ويقول في موضع آخر:

يا هدهد الصبا إني مرسلك إلى سبأ..
فتتأمل من أين أنا أرسلك؟

ولكن قبل التوسع في حضور الهدهد في عوالم الثقافة، وخاصة الأدب العربي الحديث، حيث يحتل مساحة شاسعة، يجدر بنا التوقف أمام خصائص هذا الطير بحد ذاته.

مواصفات الهدهد وما يقوله عِلم الحيوان

ظل الهدهد حتى أواخر القرن العشرين موضع خلاف عند علماء الحيوان الذين حاولوا تصنيفه، فمنهم من قال إن فصيلته تشمل خمسة أصناف مختلفة، ومنهم من عَدَّ هذه الفصيلة نوعاً واحداً، لأن الاختلافات بين هذه الأصناف لا تستحق الذكر. أما أحدث محاولات التصنيف المعتمدة حالياً، فتعود إلى عام 1998م، وتوزِّع فصيلة الهداهد على ثلاثة أصناف، هي: الهدهد الأوراسي، والإفريقي، والمدغشقري. وتكاد أوجه الاختلاف أن تقتصر على بعض الألوان الإضافية في المدغشقري، واختلاف الأصوات وما شابه ذلك.

تعشش الهداهد بشكل خاص في إفريقيا المدارية والاستوائية جنوب الصحراء الكبرى، وفي شمال غرب المغرب وعلى طول الساحل الغربي للجزيرة العربية، وكل شبه القارة الهندية وبلدان جنوب شرق آسيا. وتهاجر موسمياً صوب الشمال إلى جنوب فرنسا وإسبانيا وكل أوروبا الشرقية حتى النصف الجنوبي من كل سيبيريا.

يتراوح معدل طول الهدهد بين 26 و28 سم، وطول جناحيه بين 42 و46 سم، ووزنه بين 47 و87 غراماً. وتبلغ سرعة طيرانه نحو 40 كيلومتراً في الساعة.

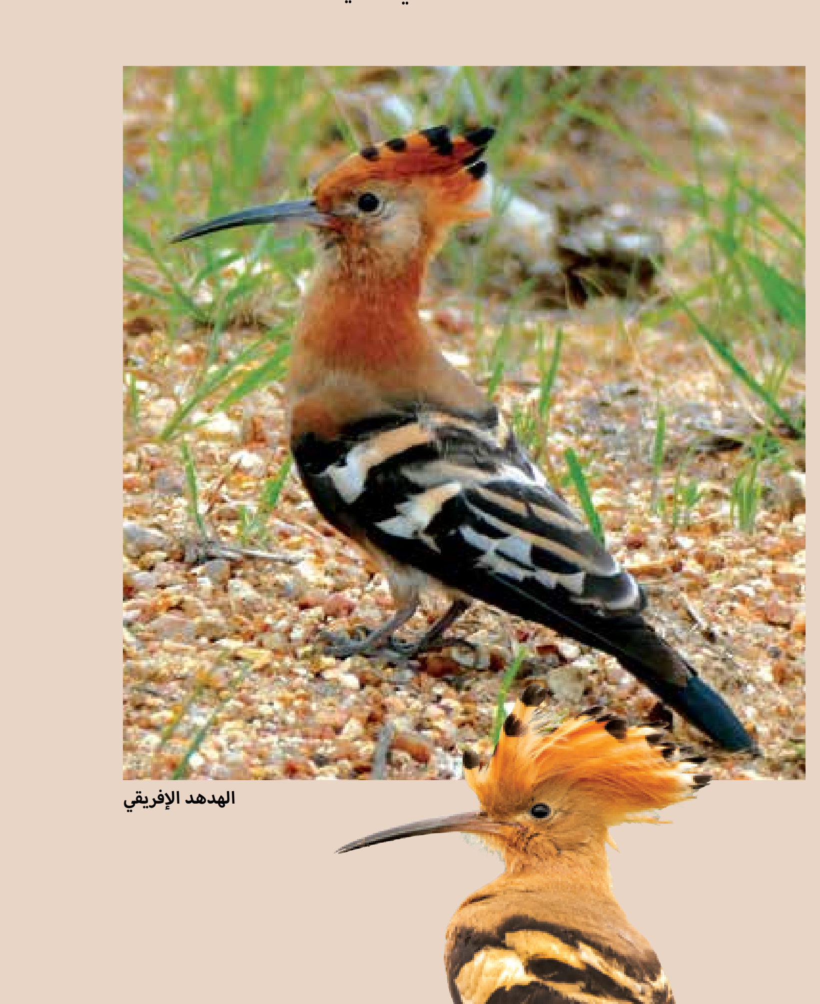
ألوان ريشه: بطنه أبيض موشى ببقع سوداء، وجناحاه شبه دائريين مخططين بالأبيض والأسود، عنقه ورأسه برتقاليا اللون وكذلك صدره، يعلو رأسه تاج من ريش برتقالي مرقط في أعلاه بالأسود.

منقاره طويل ومعقوف، وقوي إلى درجة تمكّنه من ثقب جذع شجرة. ولذا يخلط البعض بينه وبين "نقّار الخشب" المختلف عنه تماماً.

طعامه المفضل: الديدان والعناكب والحشرات الرخوة والسحالي الصغيرة، ولا يأكل العشب إلا نادراً.

والهدهد من الطيور التي لا تستقر في مكان واحد إلا خلال أسابيع التكاثر. ويمكن للهدهد أن يهاجر موسمياً لمسافات تصل إلى 8000 كيلومتر طلباً للطقس المعتدل، كما يفعل الصنف الأوراسي الذي يتنقل ما بين أوروبا وجنوب إفريقيا، أو ما بين الجزيرة العربية وجنوب القارة الهندية.

ومن طباعه المثبتة علمياً، ميله إلى التمرغ بالرمل، إما للتمويه والاختباء من المفترسات، وإما للاستمتاع بذلك فقط، ورفع الريش في الطوق الرأسي عند الانفعال أو الخوف، وبراعته الفائقة في العثور على المياه. وهذه الصفة الأخيرة كانت وراء نشوء معتقد شعبي يقول إن الهدهد إذا رفرف جناحيه فوق أرض ما، فهذا يعني أن في جوفها ماء.



الهدهد الإفريقي



الهدهد المدغشقري

الهدهد الأوراسي

مفارقات دلالية وسلوكية

ينطوي طائر الهدهد على مفارقات لافتة للنظر لا تزال محط أنظار الباحثين، ومن أهمها التناقض بين المظهر الجميل والرائحة النتنة، وهي مفارقة أخرج سرها العلم من دياجير الخرافة، عندما عرف أن الهدهد مزود بغدد زيتية تفرز سوائل كريهة الرائحة، بمقدوره إطلاقها حتى مسافة 30 سم، كلما استشعر أي خطر يحدق به من الحيوانات المفترسة أو الجوارح أو الإنسان.

ومن المفارقات أن طائر الهدهد يُعد أرق الطيور سلوكاً أسرياً وعاطفياً. إذ أثبتت الأبحاث أنه لا يتزاوج إلا مع أنثى واحدة فقط، ويكون هذا التزاوج برضى الأنثى، وإلا فإنه يذهب إلى البحث عن غيرها. وعندما يفقد أنثاه، يتحوَّل إلى أكثر أنواع الطيور حُزناً ووجداً، فلا يتزوج بأخرى حتى بعد موتها.

وفيما يتصل بغريزة الحفاظ على النسل والبقاء، تتكاثر طيور الهداهد في أعشاش تقوم بحفرها في جذوع الأشجار، أو تختار أعشاشاً محكمة في الجحور الصخرية والمدرجات الزراعية، حيث تضع أنثى الهدهد بين 6 و8 بيضات، ملونة بين الزرقاء والخضراء ثم ما تلبث أن تتحوَّل الى بُنِيَة اللون. وتربض الأنثى على بيضها نصف شهر أو 20 يوماً حتى تفقس صغاراً مكفوفي البصر.

ومن مفارقات الوفاء عند ذكور الهداهد، أن الذكر يقوم بمهمة تعهُّد صغاره وأنثاه بالطعام من الحشرات واليرقات وديدان التربة على مدار اليوم، ولمدة أقل من شهر وهي الفترة المحدَّدة لبقاء الأنثى في العش مع صغارها، تستمر خلالها بإفراز سوائل نتنة بغية حمايتهم من المفترسات، والأمراض البكتيرية. وبعد أسبوع من فترة التفقيس تصدر الصغار صوتاً يشبه فحيح الأفاعي، وذلك لإخافة الأعداء. وبعد حوالي 26 إلى 29 يوماً تصبح الفراخ مكتملة البناء فتخرج إلى عالم الطيور. لكنها لا تجتمع في أسرة واحدة بل تتفرق، ويذهب كل منها منفرداً في حال سبيله.

وقد نفت الدراسات الحديثة الاعتقاد الذي كان سائداً بأن الهداهد تطير على مستويات منخفضة فقط. فأهم ما يميز نمط طيرانها هو أنه شبيه بطيران الفراشات، إذ تتحرَّك الهداهد بشكل سريع وخاطف وغير منتظم ومتغير الاتجاهات بصور مفاجئة وفق خفقان أجنحتها السريعة التي تمكنها من الطيران على ارتفاعات عالية، خصوصاً إذا تعرَّضت لهجوم، أو في حال أرادت الهجرة الى أماكن أدفأ وأكثر اخضراراً مع تحوُّلات الطقس.

وأثبتت الأبحاث الصادرة عن الموسوعة العالمية للطيور (IOC) أن الهداهد تمتلك تقنية دفاعية خاصة بها، إذ يقوم الواحد منها بإلقاء

لم يغب الهدهد عن ذاكرة الثقافة الزراعية اليمنية، حيث يُطلق على الهدهد اسم "اليُبيُبي". فقد أورد مطهر بن علي الأرياني وصفاً مستفيضاً للهدهد في "المعجم اليمني في اللغة والتراث حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية"، وضمّنه بعض الحكايات الشعبية التي تُروى حول هذا الطائر، نقلاً عن الحكيم علي بن زايد الذي يُعد أحد أهم أعلام الثقافة الزراعية في اليمن ومواسمها ومواقيتها ونجومها



أهم ما يميز نمط طيرانها هو أنه شبيه بطيران الفراشات، إذ تتحرَّك الهداهد بشكل سريع وخاطف وغير منتظم ومتغير الاتجاهات بصور مفاجئة وفق خفقان أجنحتها السريعة التي تمكنها من الطيران على ارتفاعات عالية

نفسه على الأرض على ظهره جاعلاً منقاره المعقوف باتجاه الأعلى، كما يستطيع تغيير شكله فيفرد جناحيه وذيله عند تعرُّضه لأي هجوم ليوهم الأعداء أنه أكبر حجماً.

في الحياة الزراعية العربية

يرتبط ظهور الهدهد في شبه الجزيرة العربية والمناطق المجاورة، بموسم الصيف الدافئ وموسم التِلام بكسر التاء (البذار).. ما يجعل هذا الطائر رمزاً للخير عند المزارعين بشكل خاص، ولذا أطلقوا عليه في الجزيرة العربية واليمن "صديق المزارع"، خاصة أنه من الطيور التي تعتاش على الحشرات وليس الحبوب.

وتبعاً لذلك، لم يغب الهدهد عن ذاكرة الثقافة الزراعية اليمنية، حيث يُطلق على الهدهد اسم "اليُبُيْبي". فقد أورد مطهر بن علي الأرياني وصفاً مستفيضاً للهدهد في "المعجم اليمني في اللغة والتراث حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية"، وضمّنه بعض الحكايات الشعبية التي تُروى حول هذا الطائر، نقلاً عن الحكيم علي بن زايد الذي يُعد أحد أهم أعلام الثقافة الزراعية في اليمن ومواسمها ومواقيتها ونجومها.

ومن أغاني النساء العفوية المجسدة لاعتقاد المزارعين بأن الهدهد من ذوات الدم البارد، أي يموت طوال الشتاء ثم يعود للحياة في موسم بذار الحبوب أو الصيف:

يا ليت من مات موت اليبيبي
مِن عامْ إلى عامْ ويرجع بالتِّلامْ

أجمل رموز الحياة الفطرية

ولكن هذه الألفة ما بين عالم الزراعة والهدهد لا تعني أبداً أنه من الطيورة المستأنسة مثل الصقر أو الببغاء. فهو طائر بري يعيش حياة فطرية. ولكن جاذبية هيئته، جعلت منه واحداً من أجمل ما يعبّر عما في الحياة الفطرية. فاختارته أكثر من أربعين دولة من الدول التي تعيش فيها الهداهد، من المجر في أوروبا إلى كمبوديا في جنوب آسيا، مروراً بالبلدان العربية، ليكون على طوابعها البريدية تعبيراً عن الحياة الفطرية فيها، وجمالها أيضاً.

ألدّ أعداء الهدهد

نجا الهدهد من الصيد، إذ إن معظم الشرائع الدينية والقوانين الوضعية في معظم دول العالم حرّمت صيده ومنعته. ولكن الهدهد يبقى يواجه عداوات متعبة، مثل الجوارح الكبيرة والحيوانات البرية المفترسة. إضافة إلى المبيدات الحشرية المستخدمة في الزراعة التي تفتك بالحشرات والديدان التي يقتات عليها الهدهد، فتنتقل السموم إليه.

أما ألدّ أعداء الهدهد، فهو جهل الإنسان المتمثل في الشعوذة وبعض الأشكال غير العلمية في الطب الشعبي. فالمشعوذون والسحرة استغلوا عبر التاريخ ميّزات هذا الطير لإيهام البسطاء أن استخدام بعض أعضائه في أشكال معينة كفيل بحل مشكلاتهم. كما أن بعض "الأطباء" الشعبيين، يقتنون الهداهد المأسورة، لاستخدام بعض أعضائها في علاجات مزعومة. وهذه الممارسة لا تزال قائمة بشكل شبه علني حتى اليوم في بعض أنحاء الشرق الأقصى، وبعيداً عن أعين الرقابات الحكومية في شمال إفريقيا.



يرتبط ظهور الهدهد في شبه الجزيرة العربية والمناطق المجاورة، بموسم الصيف الدافئ وموسم التِلام بكسر التاء (البذار).. ما يجعل هذا الطائر رمزاً للخير عند المزارعين بشكل خاص

الهدهد في الأدب العربي
حيث الغلبة للشعر والشاعرية

بسبب جماله، وثنائية الغموض والألفة التي سبقت الإشارة إليها، كان من الطبيعي أن يفرض الهدهد نفسه مادة للشعر بالدرجة الأولى، وإن لم يغب عن النثر والرواية، حيث لم يخسر هذا الطائر طابعه وشخصيته الغنائية التي تُطلق المخيلة في كل اتجاه. ففي كتاب "الحيوان" للجاحظ مثلاً، نجده يقول عن الهدهد: "إن العرب والأعراب كانوا يزعمون - كما ذكرنا في المقدمة - أن القنزعة (التاج الريشي) التي على رأسه ثواب من الله تعالى على ما كان من بِرِّه لأمه عندما ماتت، حيث جعل قبرها على رأسه، فهذه القنزعة عوضاً عن تلك الوهدة".

وفي الشعر العربي القديم، نجد الشاعر "أمية ابن أبي الصلت" (550-624م) يعبّر في قصيدته التي عُرفت بـ "قنزعة الهدهد" عن إعجابه بجمال صنع الخالق المتمثل في هذا العُرف الذي يتوج رأس الهدهد، معتبراً أن هذا التاج مكافأة على ما يعتقد العرب أنه بِرٌّ بوالديه، حيث يقول الشاعر:



تعلــم بــأن الله ليــس كصنعــه
صنيــعٌ ولا يخفــى عــلى الله مُلحَدُ
غيــم وظلمــاء وغيــث سـحابةٍ
أيــام كفَّــنَ واســترادَ الهدهــد
يبغــي القــرار لأمــه ليجنَّهــا
فبــنى عليهــا في قفــاه يمهــدُ
مهــداً وطيئــاً فاســتقل بحملــه
في الطــير يحملهــا ولا يتــأوَّدُ
مــن أمــه فجــزي بصالــح حملها
ولــداً وكلــف ظهــره مــا تفقِدُ
فــيزال يدلــح مــا مــضى بجنــازة
منها ومــا اختلف الجديد المســندُ

ومن منظور مغاير للهدهد السليماني، يرى الشاعر عمارة اليمني (1121-1174م) الذي عاش في العصر الأندلسي أن الهدهد كان مؤشر بداية لنهاية حكم بلقيس ودولتها، وأنه هدم عرشها، فيقول في قصيدته التي جرت أبياتها مجرى الحكمة:

فقد هدَّ قدماً عــرش بلقيس هدهد
وخــرَّب فــأر قبــل ذا ســد مأرب

وتلوّنت الوظائف والصفات التي حمّلها الشعراء للهدهد عبر التاريخ وصولاً إلى الشعر المعاصر، حيث نجد هذا الطائر رمزاً للمقاومة والحرية والأمل عند محمود درويش. فقد حمَّل الشاعر الهدهد كل آماله وأحلامه وتطلعاته إلى الحرية والعودة إلى أرضه الأم، ورأى فيه رسولاً أميناً في صدارة الطيور المحلقة على الدوام. ففي قصيدته "الهدهد" التي شبّعها بالرمزية التاريخية، وضمّنها حواراً بين الهدهد المرموز به للشاعر المحلّق في سماء وطنه بروحه فقط، والطيور التي تعبت من أسفارها ومنافيها والمرموز بها لشعب فلسطين، يقول درويش:

"لم نقترب من أرض نجمتنا البعيدة بعد.
تأخذنا القصيدة
من خُرم إبرتنا لنغزل للفضاء عباءة الأفق الجديدة.
أسرى، ولو قفزت سنابلُنا عن الأسوار وانبثق السنونو
من قيدنا المكسور، أسرى ما نحبُّ وما نريد وما نكون
لكن فينا هدهداً يملي على زيتونة المنفى بريده

وفي مقام آخر من القصيدة، يخرج الشاعر بالهدهد إلى فضاء الحوار الرحب بينه وبين باقي الطيور حول قضية الحرية والوطن:

وإلى متى سنطير ؟ قال الهدهدُ السكرانُ : غايتُنَا المدى
قلنا : وماذا خلْفَه ؟ قال المدى خلفَ المدى خلف المدى
قلنا : تعبنَا. قال: لن تجدوا صنوبرةً لترتاحُوا.
سدى، ما تطلبون من الهبوط، فحلّقوا لتُحَلِّقوا.

و"الهدهد" هو أيضاً عنوان قصيدة للشاعر الأردني عبدالله أبو شميس، في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم -، من خلال مخاطبة هذا الطائر، فيقول:

يــا هدهـــد الأسرار إنـــا معشرٌ
داخـــت ركائبنـــا عـــلى وديانــه
يــا هدهـــد الأسرار، نهـــرك آسر
فدع الجمـــال يطيـــل في جريانه
أمطـــر علينـــا من شـــمائل أحمدٍ
مطـــراً يبـــل القلـــب في حرمانــه
قدر الطيـــور بأن تظـــل شريدة
يـــا ليتـــني حجـــر بنفـــس مكانه

وجملة مجموعات شعرية

ولو توقفنا عند بعض الإصدارات الحديثة، على سبيل المثال، لأن الحصر مستحيل، لوجدنا أن الهدهد خرج من متون القصائد وأبياتها، ليحتل الأغلفة، كعنوان حمّله المبدعون الحداثيون مغازي مجموعاتهم الشعرية، وجعلوا منه مدخلاً أخّاذاً إلى مضامينها. ومن أبرز هذه العناوين التي صدرت في السنوات القليلة الماضية، نذكر:

حديث الهدهد

مجموعة شعرية للأديب السعودي محمد الحربي، صدرت عن "أعراف الرياض" 2010م، وتضمَّنت خمس عشرة قصيدة في مجموعة شعرية تنفذ على أجنحة الهدهد من عتبتها النصية إلى عوالم شعرية تعكس الارتباط الوثيق بالأمكنة والأزمنة معاً.

هُدْهُدٌ وألف نبأ

عنوان مجموعة شعرية للشاعر اليمني أسامة المحوري، تُعد باكورة أعماله. صدرت عن مؤسسة روائع للثقافة والفنون والنشر في القاهرة عام 2019م. وتضم المجموعة 33 قصيدة من الشعر العمودي، جعل الشاعر من الهدهد فيها عتبة نصية ومدخلاً لألف نبأ. لكن هذه الأنباء لم تكن مقرونة باليقين، بل محمولة على أجنحة الشعر والخيال.



كان من الطبيعي أن يقدِّم الهدهد نفسه مادة للشعر بالدرجة الأولى، وإن لم يغب عن النثر والرواية، حيث لم يخسر هذا الطائر طابعه وشخصيته الغنائية التي تُطلق المخيلة في كل اتجاه.



الهدهد للمدح والقدح

من مفارقات مكانة الهدهد في الوجدان الشعبي، أنه استُخدم على ألسنة العامة للمدح تارة وللذم تارة أخرى. ففي مقام المدح، يُشبَّه الشخص حاد الذكاء وقوي البصر بالهدهد، فيقال: "أذكى من هدهد" أو "أبصر من هدهد". أما في مقام القدح، فقد ربطت بعض الصور الشعبية بين حُسن مظهر الهدهد والرائحة الكريهة التي تفوح منه أحياناً، لإسقاط هذا التناقض على الشخص الذي يكون حسن المظهر أو جميل الحديث ويكون باطنه سيئاً سلوكاً ونوايا فيقال له: "مثل الهدهد، ظاهره نظيف، وباطنه جيف".. أو يقال له: "أنتن من هُدْهُد".. وقال شاعر أجرى المثل الشعبي في أبياته المبطنة بالبوح بخيبة الأمل تجاه مَن يُؤمل فيه أمراً حسناً فبدر منه ما يعكر الود:

تشاغلت عنا أبا الطيب
بغير شهيٍّ ولا طيّبِ
كأنتن من هدهد ميت
أُصيب فكُفِن في جوربِ

هُدهُدٌ خارج نُبوءة المطر

مجموعة أخرى للشاعر الفلسطيني رشدي الماضي، صدرت في عام 2013م عن منشورات "مؤسسة الأفق للثقافة والفنون" في حيفا، وتضمَّنت 26 قصيدة.. ولعل أهم ما في عنوان هذا الإصدار هو الخروج عن سياق الظهور الموسمي للهدهد، الذي جاء في غير صيف وغير نبأ عن موعد المطر، لينجح الشاعر في أن يعيش حلماً ربيعياً، من خلال جعل الهدهد الذي جاء في غير نبوءة المطر مدخلاً يحتمل تعدد الأوجه الدلالية.

ما لم يأتِ به الهدهد

مجموعة شعرية تضم خمس عشرة قصيدة تفعيلية للشاعر المغربي الدكتور مولاي رشيد العلوي، صدرت عن مطبعة "وراقة بلال" بفاس، ضمن منشورات "منتدى الضاد للإبداع والتنمية" بالمغرب.

الإدريس والهدهد

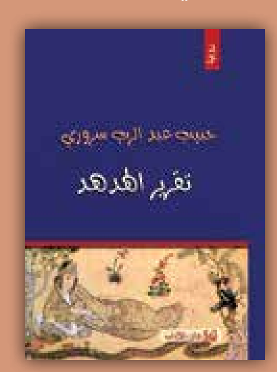
مجموعة شعرية حديثة للشاعر العراقي عبدالمنعم حمندي، صدرت عن "دار ينابيع للنشر" في دمشق. تضم هذه المجموعة قصائد كتبت ما بين عامي 2013 و2016م. والإدريس معناه (المُكرَّس) وهو اسم نبي الله إدريس - عليه السلام -، وأوَّل من خطَّ بالقلم وسُمي بإدريس لغزارة علمه وكثرة دراسته. وقد جمع الشاعر بين الإدريس والهدهد لمكانة هذا الطائر الذي هدى قوم سبأ إلى عبادة الله تعالى مع سليمان - عليه السلام -، وجعل الشاعر من الإدريس رمزاً للعلم، والهدهد رمزاً للخلاص والنجاة من الشدائد والعذاب.

وفي الرواية

أن تكون الغلبة للشعر على الرواية في احتضان الهدهد وتحميله ما شاء الشعراء، فهذا لا يعني أنه غاب عن الرواية العربية الحديثة. ومن أقرب الأعمال إلينا في هذا المجال نذكر:

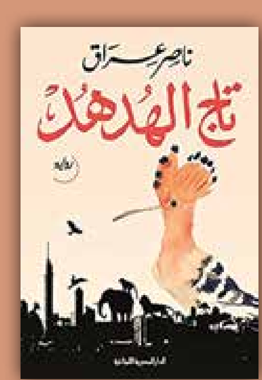
"تقرير الهدهد"

رواية للأديب البروفيسور حبيب عبدالرب سروري، صدرت عن دار الآداب في بيروت عام 2012م. تقع هذه الرواية في 400 صفحة من القطع المتوسط، وتدور أحداثها في أجواء وأزمنة وأمكنة افتراضية تجسر ما بين الماضي والحاضر زمناً، وبين الواقع والخيال مكاناً، وبين تعدُّد التراث الإنساني تناصاً. فقد جعل المؤلف من تقرير الهدهد عتبة نصية للرواية، في إشارة إلى خلاصة نبأ الهدهد اليقين الذي حمله من سبأ إلى سليمان - عليه السلام - بغية هداية القوم. ويجمع سروري في روايته هذه بين رموز العلم والمعرفة والفن من مختلف مناطق التاريخ الإنساني. ففي مكان افتراضي لا يخطر لأحد على بال، حيث السماء السابعة والسبعين، وفي مقهى صغير يُدعى "مقهى الكوكبة" يجمع المؤلف عظماء الأرض من آينشتاين وداروين إلى بيكاسو وابن رشد وأبو العلاء المعرّي.. جاعلاً من الأخير بطلاً لروايته التي تحوَّلت بفعل ثرائها إلى قاموس ناضح بالعلم والشّعر والحكمة والخيال الخصب البديع.



"تاج الهدهد"

عنوان رواية حديثة للروائي والصحافي المصري ناصر عراق، صدرت في عام 2012م، وتدور أحداثها في القاهرة حول قصة عاطفية تجمع المخرج الصحافي معتز مختار، المهووس بحب الطيور والحيوانات بزميلته. كما ترصد الرواية أجواء القاهرة قبل أحداث 25 يناير 2011م وعند بداياتها، حين وجد البطل وسط ميدان التحرير، يحار بين البكاء على هدهده الجريح، أو التحسر على حبيبته، أو الاستسلام لأوامر زميلته حنان التي أحبته بقوة وأنقذته من الموت.



الهدهد والكتابة للطفل

تزخر مكتبة الأطفال بالقصص والروايات التي كتبت للصغار، وكان للهدهد حظ وافر من عناوينها وصفحاتها. إذ رأى فيه الكتّاب موضوعاً و"بطلاً" يمكن لخيال الأطفال أن يحلق معه بعيداً. وهناك عشرات، إن لم نقل مئات، الكتب القصصية للطفل المصوّرة كلياً أو جزئياً. وعلى سبيل المثال، نجد في سلسلة قصص الحيوان في القرآن قصة "الهدهد والخبر اليقين" لمؤلفها وارث الكندي، وهي من تصميم وتنفيذ شركة نور لرسوم الأطفال، ومنشورات دار البراق للطباعة والنشر. وقصة "هدهد سليمان" لعبدالحميد عبدالمقصود، وأيضاً رواية "أنا والهدهد" للكاتب المسرحي والشاعر والروائي السعودي عمر الصاوي، الصادرة عن دار العبيكان للنشر في الرياض في عام 2008م.

وتُعد رواية "الهدهد يمتلك تاجاً" أنموذجاً مثالياً لماهية الأدب المصوّر للأطفال. ألَّف هذه الرواية الكاتب المصري عبدالتواب يوسف، زيَّنها بالرسوم الفنان ماهر عبدالقادر، صدرت عن دار المعارف المصرية. يرتكز نص هذا العمل على حبكة قصصية عاطفية، تخلقت مع مرور الوقت على مساحات العشب الأخضر بين الهدهد (هادي)، وبين أنثى الهدهد (هيفاء) التي رفضت الارتباط بهادي، واشترطت عليه أن يكون على رأسه تاج كتاج الملوك، فيظل هادي حزيناً شريداً في الغابات. لكن الحظ يبتسم له عندما يخرج الفرعون رمسيس الثاني للصيد ويضل الطريق، وتغرب الشمس وهو تائه مع جنوده، فيعرض الهدهد عليه بأن يدله إلى قصره، ويكافئه الملك بعد ذلك، حسب طلب هادي، بتاج من ريش يمكنه من العودة إلى هيفاء.

وما يميز الرواية أو القصة المطولة هو أنها قشيبة بالألوان والرسوم المدهشة والجميلة، من الغلاف للغلاف، لكنها نحت منحى أسطورياً بحتاً، نابعاً من المعتقدات الشعبية المصرية التي نسبت قصة حصول الهدهد على التاج من الفرعون رمسيس الثاني.. فحتى يومنا هذا، يبقى تاج الهدهد مادة محرّكة للخيال في كل الاتجاهات وجذّابة لأقلام الأدباء.

في الآداب الغربية حضور شاحب

مقارنة بما حظي به الهدهد في الثقافات الشرقية، يفاجأ الباحث بشحوبة هذا الحضور في الآداب الغربية. وتفسير ذلك ليس صعباً. فباستثناء جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية، لا يستوطن الهدهد أية بقعة في أوروبا، بل يعبرها عبوراً في هجراته السنوية. وخطوط هجرته لا تتجاوز في فرنسا على سبيل المثال المناطق الجنوبية من البلاد. أما في إنجلترا فتشير دراسات البيئيين إلى أن نحو 200 هدهد فقط يمرون بجنوب البلاد موسمياً. أما القارة الأمريكية فلا تعرف الهدهد بتاتاً.

إضافة إلى ذلك، من الملاحظ أن للثقافات وللشعوب ميولاً إلى اعتماد رموز محدَّدة وإبقائها خارج المنافسة. وتاريخياً، مال الأوروبيون إلى اعتماد الباز شعاراً وطنياً، من روسيا إلى فرنسا مروراً بالمجر والنمسا وألمانيا وغيرها... تماماً كما اعتمدت الهند الطاووس ملكاً على عالَم الطير ومادة ثقافية صدّرتها إلى الثقافات الآسيوية المجاورة. ومن المرجّح أنه لولا ورود الهدهد في القرآن الكريم كما أسلفنا سابقاً، لما تمكَّن هذا الطائر من استيقاف الثقافة والآداب العربية أمامه، ولخلا المجال لغيره من الطيور، كالصقر على الأرجح. ومع ذلك، يمكننا أن نجد بعض الشذرات الأدبية الغربية الحديثة، التي يحضر فيها الهدهد نتيجة اطلاع بعض الأدباء على الأساطير الإغريقية أو الآداب الشرقية.

فحتى في أمريكا، اقترن الروائي الأمريكي جون أبدايك بالهدهد في مؤلفه الذي يحمل عنوان "أمنية للهدهد"، وهو عبارة عن مجموعة شعرية نشرها عام 1959م، ويشير فيها إلى طائر الهدهد في إحدى قصائده لرمزيته في الثقافة الإغريقية. وقد عَدَّ أبدايك هذا الطائر رمزاً للحظ السعيد، لا سيما وأنه كتب لاحقاً عدة كتب لقيت كلها نجاحاً ورواجاً كبيرين.

كما يرد ذكر الهدهد في قصة "طائر المر والهدهد" للأخوين غريم التي يستخدمان فيها شخصية هذا الطائر للتأكيد على مفهوم الوسطية، والتحذير من مخاطر المبالغة في فعل الخير أو الشر على صاحبه. إذ يقوم الهدهد بخيار يحتم عليه أن يدفع ثمنه لاحقاً كما يتضح في نهاية الحكاية.

وحتى جَمَال الهدهد لم يغب عن بعض الأغلفة، فنراه يزيِّن غلاف رواية الكاتبة ليا كامينسكي "العظام المجوفة" وهي قصة تتحدث عن عالِم حيوان طموح يبحث عن الطيور الفريدة ويتصيدها في مناطقها الأم، فإلى جانب كون الهدهد رمزاً للتفرد والندرة، اختارته الكاتبة ليحتل غلاف روايتها فيشد اهتمام قرّاء لم يعرفوا الهداهد في بلادهم.

رمزيته في فن الرسم

استخدم المصريون القدماء الهدهد رمزاً في بنية الكتابة الهيروغليفية، بمعنى "عكازة". ويتضح ذلك عبر جداريات المعابد والبرديات الجنائزية والتوابيت. كما أنهم رسموه بألوانه الزاهية وهو واقف على جذع شجرة الطلح التي كانت الطيور في تلك البيئة تفضلها. ومن أشهر تصاوير الهدهد البارزة في الفن الفرعوني ما نجده في جدارية قبر الفرعون "خنوم حتب الثالث" في الموضع المسمى مقابر "بني حسن".

وفي الشرق الأقصى، يحتفظ متحف شانغهاي بالصين بمخطوطة حبرية على خلفية من الحرير القديم تعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي للرسام الصيني تشاو منغ فو (1254 – 1322م) بعنوان "طائر الهدهد على ساق البامبو"، وتصور الهدهد مستنداً بثقله على ساق البامبو الهش، في إشارة إلى السذاجة الإنسانية وطبيعة الغافل الذي لا يهتم بالنظر إلى الوراء معرّضاً نفسه للمخاطر.

أما في فن الرسم الأوروبي، فمن أشهر الأعمال التي تناولت طائر الهدهد لوحة تعود إلى بدايات عصر النهضة، وهي للفنان الإيطالي دومينيكو دي بارتولو (1362 – 1422م) بعنوان "خطبة فرانسيس للطيور" حيث تظهر مجموعة من الطيور وهي تصغي باهتمام بالغ



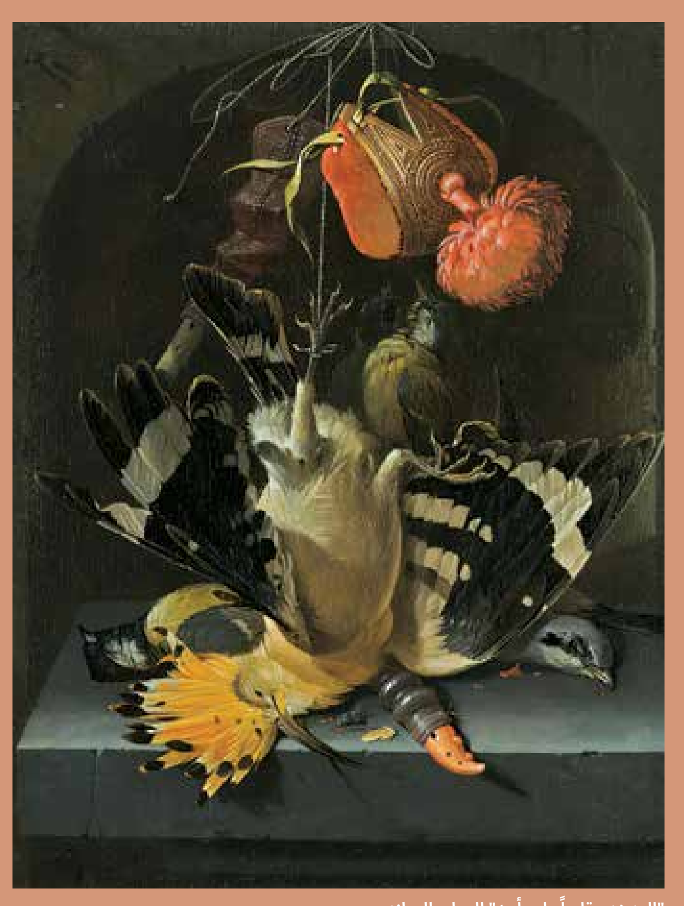
لموعظة عن عظمة الخالق، فنجد طائر الحجل والبط مع مجموعة طيور موزعة حول الشجرة، وطائر الهدهد في مقدّمة هذه الطيور جاثماً على الأرض، وهو ما يرمز في الغالب إلى حريته وتميّزه وسموه الروحي عن غيره من الطيور.

وفي لوحة شديدة السوداوية، نرى الرسام الهولندي أبراهام ميغنون (1640 - 1679م)، الذي اشتهر برسم مشاهد الطبيعة الصامتة يصور "الهدهد مقلوباً على رأسه" وطير القرقف مع غطاء رأس الصقر (الذي اصطاد الهدهد) وصفارة صيد في داخل حجرة شبه معتمة. ويرمز الهدهد في هذه اللوحة إلى النهاية المأساوية للكائنات الحية وانجرافها إلى التهلكة.



استخدم المصريون القدماء الهدهد رمزاً في بنية الكتابة الهيروغليفية، بمعنى "عكازة". ويتضح ذلك عبر جداريات المعابد والبرديات الجنائزية والتوابيت. كما أنهم رسموه بألوانه الزاهية وهو واقف على جذع شجرة الطلح التي كانت الطيور في تلك البيئة تفضلها. ومن أشهر تصاوير الهدهد البارزة في الفن الفرعوني ما نجده في جدارية قبر الفرعون "خنوم حتب الثالث" في الموضع المسمى مقابر "بني حسن".

"طائر الهدهد على ساق البامبو" للرسام الصيني تشاو منغ فو (1254 – 1322م)



"الهدهد مقلوباً على رأسه" الرسام الهولندي أبراهام ميغنون (1640 - 1679م)

عند التشكيليين العرب

ويظهر الهدهد كطائر خرافي الحُسن والبهاء لا فكاك من التأثر بمنظره الجميل في لوحات كثير من التشكيليين العرب. قد يكون أبرزهم الفنان المصري حلمي التوني، الذي تتألف مفرداته الفنية من بعض رموز الثقافة الشعبية المصرية، القديمة منها والإسلامية، مثل السمكة والحصان وأهرام الجيزة، وطبعاً الهدهد الذي نراه في عشرات اللوحات، ودائماً إلى جانب امرأة ذات خطاب اجتماعي وثقافي.

الأمر نفسه ينطبق على حضور الهدهد في أعمال الفنان اليمني مظهر نزار، حيث يلازم المرأة في لوحات مختلفة، في استيحاء واضح من قصة الملكة بلقيس والهدهد.

كما حضر الهدهد في أعمال الفنانة العراقية هناء مال الله، ككتلة بصرية تشكَّلت من تأثر الفنانة بالموروث الإنساني والعربي بالذات المتصل بعالم الطير.

أما الفنان الفلسطيني معتز نعيم، فقد عكس بعمله البصري "لوحة الهدهد" رؤية مغايرة لحضور هذا الطائر في الواحات الخضراء. فرسم الهدهد مشفوعاً بفضاء لوني وحركي مدهشين ولافتين من حيث وقفة هذا الطائر على جذع شجرة ميتة وجافة ينصت لصوت ما من كائن غير مرئي، في تعبير عن التمسك بالحياة وسط مساحات من الدمار والألوان القاتمة.

وخرج الفنان السوري نهاد عبدالقادر، بالهدهد عن الواقعية الشكلية إلى فضاء الفانتازيا، فرسمه بملامح بشرية.

وفي شهر ديسمبر من العام الماضي، أقام الفنان التشكيلي المصري حمدي عطية معرضاً في القاهرة تحت عنوان "هكذا تكلم الهدهد". وجسّد فيه قوة هذا الطائر وقدرته على مقاومة الأنواء وتحمل مشاق السفر منفرداً، والنجاة من الكوارث، منطلقاً في ذلك من الإعصار المسمى "إعصار هُدهُد"، الذي ضرب سواحل الهند الشرقية ومرتفعات نيبال، في شهر أكتوبر من عام 2014م. وعكس المعرض ما يراه الفنان من معاني حضور الهدهد في الأساطير والثقافات الإنسانية. فسمعناه يقول إن معرضه "مشروع فني يطمح إلى استكشاف سحر تلك العين الأسطورية الثاقبة اللاذعة لطائر يبدو كمتجول استقصائي محترف".

وفي فن الخط العربي رسم الخطاطون هيئة الهدهد في تكوينات مشكَّلة من البسملة وآيات كريمة أخرى. ومنها على سبيل المثال، لوحة الفنان التشكيلي والخطاط العراقي يسري المملوك، الذي استطاع توظيف مضمون النص في تشكيل هيئة الهدهد البصرية، فخط الآية العشرين من سورة النمل: "وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ" في عمله الفني على شكل هيئة الهدهد، راسماً الرأس والرقبة بالخط الديواني، والباقي بالخط الثلث.



الهدهد حاضر في لوحات الفنان المصري حلمي التوني



الفنان الفلسطيني معتز نعيم، "لوحة الهدهد"

بمناسبة اليوم الوطني السعودي 90

لا إله إلا الله محمد رسول الله

يوم العز والسؤدد



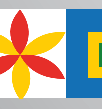
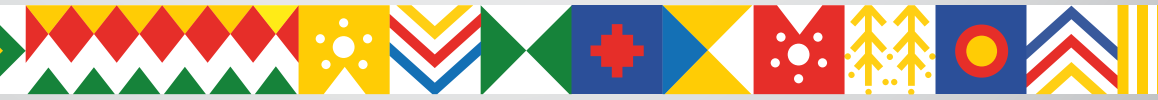
نتقدَّم بأسمى آيات
التهاني والتبريكات إلى مقام

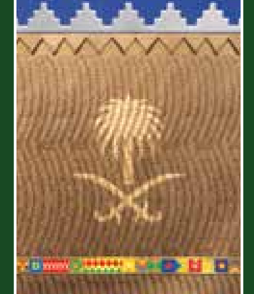
خادم الحرمين الشريفين
الملك سلمان بن عبدالعزيز

وسمو ولي عهده الأمين
صاحب السمو الملكي
الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز

والشعب السعودي الكريم

سائلين الله تعالى أن يديم على بلادنا
نعمة الأمن والرخاء



Al-Qafilah Bi-Monthly Cultural Magazine
A Saudi Aramco Publication
September - October 2020
Volume 69 - Issue 5
P. O. Box 1389 Dhahran 31311
Kingdom of Saudi Arabia
Saudiaramco.com


Saudi Aramco website


Qafilah website